سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة
المنتدى الأدبي

قراءات في فكر العوتبي الصحاري

حصاد الندوة التي أقامها المنتدى احتفاء بذكرى المرحوم العوتبي الصحاري

الفترة : من ١٦ - ١٧ رجب ١٤١٦هـ
الموافق ٩ - ١٠ ديسمبر ١٩٩٥م

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة
المنتدى الأدبي

قراءات في فكر العوتبي الصحاري

حصاد الندوة التي أقامها المنتدى احتفاء بذكرى المرحوم العوتبي الصحاري

أعده للطبع
محمد علي الصليبي

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

هـذا الاصـــدار

الحمـد لله العزيـز المتعـال القائل في محكم كتـابـه ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾ ونصلى ونسلم على رسـول الله أدى الامانة وصـدع بالحق المبين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين وبعد ؛

فقد شـاءت العنايـة الالهية لهذه الأمـة أن تكون أمـة رسالـة حق تحملها وتوصلهـا للبشرية كوكبـة من العلماء تصدروا بعلو همتهم وسعـة ثقافتهم مجالات الفكر والعلـوم ؛ لم تشغلهم الـدنيا بزخـرفها أو تبهـرهم النظـريات والاشكال البراقـة بوهجهـا؛ بل اصطنعوا بجـدهم واجتهادهم منـاهج علمية متكاملة طرحوا عبرها قضايا امتهم من اوسع أبوابها ؛ ساعدهم على هذا وذاك عقل متفتح جعلهم على مر التاريخ يفتخرون بسمو رسالتهم وعلو مكانتهم.

لقد كـان علماؤنا وادباؤنـا جهابذة في كل علم طـرقوه وقد عـرف بذلك الكثيرون نذكر منهم – على سبيل التمثيل لا الحصر – الامـام جابر بن زيد وابـا عبيـدة مسلم بن ابي كـريمـة والفراهيـدي وابن دريـد وابن بـركـة والكدمي والبسيوي وابا نبهان والخليلي والسالمي وغيرهم.

وقد نكون اقـرب من هذه النماذج في اشارتنا لهذا الاصـدار الذي نحاول فيه –عبر قـراءة تصبو إلى التـأني– سبر اغوار العلامـة المحقق والنسـابة اللغـوي الفقية المؤرخ سلمـة بن مسلم العوتبي الصحـاري الذي قـرأ عن الأولين والمتأخرين ؛ فأختزنت ذاكرته كل رائع جميل من علومهم.

والله نسأل التوفيق والهداية ، نعم المولى ونعم النصير

أسـرة المنتـدى الأدبـي

القـراءات

مرتبـة حسـب الاحـرف الهجائيـة

للعلمـاء والاسـاتذة المشـاركين

فـي النـــدوة

القراءة الأولى
معجم الابانة للعوتبي

المنهج ـ اللغة ـ المادة المعجمية
طبيعتها ـ مصادرها

د. ابراهيم الدسوقي
جامعة السلطان قابوس

١ – تمهيد

١– ١ – بين «علم المعجم» و «الصناعة المعجمية»

١ – ٢ – الشروط التى يجب توافرها فى المعجم وواضعه

١ – ٣ – العرب وصناعة المعجم

٢ – معجم الإبانة

٢ – ١ – المؤلف

٢ – ٢ – المنهج

٢ – ٣ – المادة المعجمية : طبيعتها ، مصادرها

٢ – ٤ – تفسير المعنى

٣ – اللغة فى معجم الإبانة

٣ – ١ – مقدمة

٣ – ٢ – الأصوات

٣ – ٣ – الصرف

٣ – ٤ – النحو

٣ – ٥ – الدلالة

٤ – الخاتمة

٥ – المصادر والمراجع

١ – تمهيد :

١ – ١– بين «علم المعجم » و « الصناعة المعجمية »

المعجم هو «مرجع يشتمل على كلمات لغة ما ، كلها أو جمهرتها ، مرتبة – فى الغالب – ترتيبًا هجائيًا مع تفسير معنى كل منها ، وذكر معلومات عنها ، من نطق ، وصيغ ، واشتقاق ، ومعان ، وتكون الكلمة مادته الرئيسية»[١] . فالكلمة من ناحية معناها ، ودلالتها المركزية هي بؤرة اهتمام المعجم ، والدلالة المركزية هي القدر المشترك من المعانى للكلمة فى السياقات المختلفة من غير أن يجوزها إلى التخصيص الذى تتطلبه الكلمة حين تدخل فى الاستعمال . فنحن ساعتئذ نكون أمام مستويين من مستويات المعنى .

١ – **المعنى المعجمي** : وهو المعنى العام المشترك فى كل السياقات .

والمعنى السياقي : وهو المعنى الخاص المرتبط بالكلمة المعنية فى سياق لغوى، أو غير لغوي معين .

وقد يكون المعجم أحادي اللغة ، أو ثنائي اللغة ، أو متعدد اللغات ، وقد يكون معجماً عامًا أو معجماً خاصًا ، وقد يكون معجماً للألفاظ ، أو معجماً للمعانى ، وقد يكون ترتيبه صوتيًا أو أبجديًا ، أو ألفبائيًا[٢] ، أو بحسب القافية فكل معجم منها يختط لنفسه هدفًا محددًا . ويصمم المعجم بحيث يؤدي إلى تحقيق هذا الهدف مع وفائه بوظيفة إزالة الإبهام والإخفاء عن الكلمات – كما يقول ابن جني – فإذا كانت (عجم) قد «وقعت فى كلام العرب للإبهام والإخفاء ، وضد البيان والإفصاح» فصيغة أَفْعَل «يراد بها السلب والنفي ، وذلك نحو أشَكيتُ زيدًا ، إذا أزلت له ، ما يشكو.»[٣] كما فى أشكلت الكتابَ . إذا أزلتُ إشكاله .

وقد ظهر في الوقت الحاضر مصطلحان يجب الإشارة إليهما وهما :

- **علم المعجم** **Lexicology**
- **والصناعة المعجمية** **Lexicography**

فعلم المعجم هو : «دراسة المفردات ومعانيها فى لغة واحدة ، أو في عدد من اللغات . ويهتم علم المعجم من حيث الأساس باشتقاق الألفاظ ، وأبنيتها ، ودلالاتها المعنوية والإعرابية ، والتعابير الاصطلاحية ، والمترادفات وتعدد المعانى»[٤] فهو منصب على دراسة

---

(١) المعجم العربى . بحوث فى المادة والمنهج والتطبيق . رياض زكي قاسم . دار المعرفة . بيروت ٧/د م ص ١٩ .
(٢) انظر معجم علم اللغة النظري. محمد علي الخولى . مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٧٤ .
(٣) انظر تاج العروس . مادة ع . ج . م .
– وسر صناعة الإعراب . ابن جني . تحقيق مصطفى السقا وآخرين . مطبعة مصطفى البابى الحلبي . القاهرة ، ١٩٥٤ ، ٣٨/١ – ٤٠ .
(٤) علم اللغة وصناعة المعجم . علي القاسم . عمادة شؤون المكتبات . جامعة الملك سعود . الرياض . ط٢ ١٩٩١ ص ٣
– وقضايا المعجم العربي قديماً وحديثًا . محمد رشاد الحمزاوي ، منشورات المعهد العالي لعلوم التربية . تونس ١٩٨٣ م ص ١٥٦ .

المعجم دراسة علمية من ناحية العلاقة بين الألفاظ والمعانى ، والعلاقة بين الألفاظ بعضها البعض ، والنظرية اللغوية التى يقوم عليها المعجم .

أما الصناعة المعجمية فهي : «تقنية تعتمد مناهج مختلفة فى جمع مادة المعجم ، ووصفها وترتيبها» وهي تقوم على خطوات أساسية خمسة وهى: «جمع المعلومات والحقائق ، واختيار المداخل ، وترتيبها طبقاً لنظام معين ، وكتابة المواد ، وأخيرًا نشر الإنتاج» [١] .

والفرق واضح بين المصطلحين ولكل طبيعة عمل مختلفة ، فإذا كانت الصناعة المعجمية هى «فن زخرفة» فإن علم المعجم يعتبر «علماً» يدرس فى بنية هذا الفن .

ولا غنى لأي لغة من اللغات عن «صناعة معجمية» وعن «علم المعجم» باعتبارهما مستوى من مستويات الدراسة اللغوية إلى جانب الأصوات ، والصرف ، والتركيب والدلالة والأسلوب ، واللغة العربية واحدة من اللغات التى برع أهلها فى هذا الجانب ، وخرجت المعاجم المختلفة من ناحية المادة ، أو من ناحية الترتيب ، ولا زال هذا العطاء مستمرًا بثراء.

١ – ٢ – الشروط التى يجب توافرها فى المعجم

المعجم الجيد هو «المعجم الذى تستطيع أن تجد فيه ما تريد ، وتجد ما تريد من المحاولة الأولى»[٢]. فمهمة المعجم هي أن يتناول «الكلمة ضمن حدود مرسومة لا يتجاوزها بقصد تحديد دلالتها ، أو تفسير معناها ، أو بيان مؤداها»[٣] . وعلى ذلك فهو يقدم لمستخدمه الكلمة وما يتصل بها من معارف صوتية وصرفية إلى جانب معناها المعجمي ، ومعناها السياقي – إن أمكن – ويكون ذلك فى الإطار المرسوم سواء كان هذا الإطار وصفياً (سنكرونيا) أو تاريخياً (دياكرونيًا) . ومن ثم يجب على المعجم لكي يفي بهذا الغرض أن يتوافر فيه الشرطان التاليان[٤] .

١ – **شرح الأشكال المختلفة للكلمة** سواء أكانت هذه الأشكال متعددة من وجهة النظر الوصفية ، أي في مرحلة معينة من مراحل اللغة ، كأن توجد الأشكال المختلفة فيها جنباً إلى جنبٍ فى زمن واحد ، أم من وجهة النظر التاريخية بأن يقول إن هذه الكلمة كانت فى القرن

---

(١) علم اللغة وصناعة المعجم ص ٣.

(٢) انظر : علم اللغة وصناعة المعجم . علي القاسمي ص ١٣٦ نقلاً عن :

Hass, Marty, R. "What belongs in a bilingual Dictionary" In householder and Sporta 48.

(٣) المعجم العربي . رياض زكي قاسم ص ٢٣٥ .

(٤) انظر مناهج البحث فى اللغة . تمام حسان . مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، ١٩٥٥ م ، ٣٥-٣٦ .

الفلاني كذا ، وأصبحت فيما بعد كذا ، ثم الت إلى كذا وهو ما يعرف بعلم الأصول اللغوية Etymology [1].

٢ – تقسيم المادة بحسب تعدد المداخل الفرعية فيها ، والاستشهاد على كل ما يقال مع الإتيان بتحديد صرفي لكل قسم فرعي . كأن يبدأ بالأفعال (الثلاثى ثم الرباعى ثم الخماسى ثم السداسى) ثم الأسماء ويكون الاستشهاد على المداخل من ناحية وضعها الصرفي ووضعها الدلالي . ويجب ألا يقتصر الاستشهاد على مرحلة زمنية بعينها . فكما يهتم باللغة القديمة عليه أيضاً أن يهتم بالتراكيب اللغوية المعاصرة ؛ فاهتمام المعجم الرئيسي «ينصب في حقيقة الأمر على اللغة فى حالتها الراهنة. وعلى هذا الأساس فإن للمحررين الحق في اقتباس الشواهد من المؤلفين المعاصرين . بصرف النظر عن أفضلية إنتاجهم الأدبي أو خلوده»[2] . ويدخل في إطار هذا الاستشهاد معان أخرى للكلمة حين تدخل فى سياقات أخرى مختلفة، فيصير المعنى متعددًا أو محتملاً في إطار المعجم بعد أن كان واحدًا محددًا في إطار سياق الجملة الواحدة . وهذا هو أهم ما يميز المعنى المعجمي عن المعنى السياقي «فتعدد المعنى واحتماله من جهة ، وتحدده وتعيينه من جهة أخرى هو الفارق الأساسى بين الكلمة التي في المعجم ، واللفظ الذى في السياق»[3]. فالكلمة في السياق لها معنى واحد ، وتتعدد معانيها بتعدد سياقاتها التى ترد فيها ، وتعدد المصاحبات التي تصاحبها **ويمكن التمثيل على ذلك بالفعل «ضرب» في السياقات التالية:**

– فاعل (إنسان)	+ مفعول (إنسان)	فى (ضرب زيدٌ عمرًا)	يكون المعنى: (عاقب)
– فاعل (لفظ الجلالة)	+ مفعول (معنوي)	فى (ضرب الله مثلاً)	يكون المعنى: (ذكر)
– فاعل (إنسان)	+ مفعول (جماد بناء)	فى (ضرب قبةً)	يكون المعنى: (أقام)
– فاعل (إنسان)	+ مفعول (جماد معدن)	ضرب العملة	يكون المعنى: (صاغ)
– فاعل (إنسان)	+ مفعول (معنوى)	فى (ضرب له موعدًا)	يكون المعنى: (حدّد)
– فاعل (إنسان)	+ مفعول (معنوى)	فى ضرب (٥ × ٦)	يكون المعنى: (حسب)
– فاعل (إنسان)	+ مفعول (طبيعة مجرور)	فى (ضرب فى الأرض)	يكون المعنى: (سعى)

---

(١) ليس فى اللغة العربية معجم تاريخي كامل على غرار معجم اكسفورد فى اللغة الإنجليزية ، اللهم إلا محاولات متناثرة هنا وهناك ، كما فى الجزء الأول من معجم «المرجع» للشيخ عبد الله العلايلي .

(٢) انظر علم اللغة وصناعة المعجم . على القاسمي . ص ١٤٣ نقلاً عن :

Marck wardt, Albert H. "Dictionaries and English Language" English Jornal 53 (1963).

(٣) انظر مناهج البحث فى اللغة . تمام حسان . ص ٢٤٤ .

- العرب وصناعة المعجم

برع العرب أيما براعة في صناعة المعجم ، فخرجت المعاجم متعددة الأهداف والاتجاهات وكذلك متعددة المناهج والأساليب . ويمكن أن نميز من بين هذه المناهج والأساليب ما يلي :

معاجم الألفاظ ، ومعاجم المعاني أو ما يسميه ابن سيدة : المعاجم المجنسة، والمعاجم المبوبة[1] وتضم معاجم الألفاظ هذه المعاجم التى تجمع المفردات وترتبها حسب حروفها ، أو حسب وزنها الصرفي وتضم معاجم المعاني المعاجم التي تجمع المفردات حسب المعنى كالألفاظ المترادفة ، والأضداد، والمشترك اللفظي ..... إلخ .

أما معاجم الألفاظ فقد ظهرت بأشكال عدة على النحو التالي[2] :

١ - معاجم الترتيب حسب مخارج الحروف ، وأشهرها : كتاب العين للخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) . وكتاب البارع لأبي علي القالي (ت ٣٥٦ هـ) وكتاب تهذيب اللغة للأزهري (ت ٣٧٠ هـ) . ومختصر العين للزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) والمحيط للصاحب بن عباد (ت٣٨٥هـ) .

٢ - معاجم الترتيب حسب الحرف الأخير ، وأشهرها . كتاب التقفية للبندنيجي (ت ٢٨٤ هـ) ولسان العرب لابن منظور (ت ٧١١ هـ) والقاموس المحيط للفيروزابادي (ت ٨١٧ هـ) وتاج العروس للزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) .

٣ - معاجم الترتيب حسب الحرف الأول وأشهرها : أساس البلاغة للزمخشري (ت٥٣٨ هـ) والمصباح المنير للفيومي (ت ٧٧٠ هـ) وكل المعاجم العربية التي ظهرت حديثًا ومنها المعجم الوسيط .

٤ - معاجم الترتيب حسب الوزن الصرفي كالأسماء والأفعال ، والأوزان المجردة والمزيدة كما في ديوان الأدب للفارابي (ت ٣٥٠ هـ) وشمس العلوم لنشوان .

وقد كان كل معجم من هذه المعاجم يحاول أن يكون مدرسة وحده بما يقدمه من جديد يميزه عن المعاجم الأخرى ، ولكن هذه المعاجم كانت تسعى لأن تكون موسوعات علمية وأدبية إلى جانب الأهداف الخاصة التى وضعتها نصب أعينها كخدمة الدرس الصوتى، أو خدمة الأدباء والشعراء ، أو خدمة القارىء العادي . وكان هذا الاتجاه الموسوعي على حساب المادة اللغوية ، فقد حظيت ببعض الجهد لا كله . وأدى ذلك إلى ظهور المآخذ التالية :

---

(١) المخصص. ابن سيدة. تحقيق عبد السلام هارون . دار الجيل . بيروت ط١ : ١٩٩١ م ص ١٠ .
(٢) المعجم العربي ، حسين نصار . مكتبة مصر . القاهرة ١٩٨٨ م . ص ١٧٤ وما بعدها .
والمعاجم العربية . عبد السميع محمد أحمد . دار الفكر العربى . القاهرة ١٩٨٤ م ص ٢٠ ومابعدها

١ – **عدم تحديد مستوى التدوين ، هل هو الفصحى أو اللهجات** . فالاقتصار يجب أن يكون على مستوى واحد منهما ، ولكن صانعي المعاجم العربية لم يضعوا ذلك نصب أعينهم ، ومن ثم جاءت مادتهم اللغوية خليطا من الفصحى واللهجة ، ولا شك أن هذا **الخلط بين اللهجات والفصحى** . قد أدى إلى جعل مهمة الوصول إلى الصيغة الصحيحة أمرًا صعبًا .

٢ – **عدم وجود ترتيب داخلي في مادة الجذر اللغوي** . وليس هناك تناول مطرد يبدأ بالأفعال ثم الأسماء ، وعند تناول الأفعال يبدأ المجرد بالثلاثي والرباعي ثم المزيد بحرف أو بحرفين أو بثلاثة أحرف ، وعند تناول الأسماء يبدأ بالمصدر ثم الأسماء المشتقة وكان من جراء غياب هذا المنهج في المعاجم الفرعية أن ظهرت مشكلات مثل :

معالجة الصيغة الواحدة في أكثر من موضع من المادة كما في مادة ح . م . ل في القاموس المحيط فنجده يعالج (احتمل). ثم (تحامل)، ثم (استحمله)، ثم عاد إلى الثلاثي مرة أخرى، وفي آخر المادة يعود إلى (احتمل) مرة أخرى[١].

٣– **الميل إلى الاستطراد أحيانـاً – بإيراد** كثير من الحكايات والمعلومات غير اللغوية التي تثقل كاهل المعجم . وكان بالإمكان الإشارة إليها في مظانها المتخصصة ، كحكاية بنات همام بن مرة . وحكاية البسوس ، وحكاية صنع الدواء وفوائده ، وفوائد بعض الأعشاب والنباتات..... إلخ[٢] مما ضخّم المعجم ، وكان على حساب مادته اللغوية .

٤ – **الإبقاء على الحوشي والمهجور** ، وربما يكون عذرهم في هذا أنهم يجمعون كل مفردات اللغة (المستعمل منها وغير المستعمل) فهم حريصون على تدوين كل ما يسمعون من العرب الأوائل . واكتفى اللاحقون بالأخذ عنهم دون فحص أو تدقيق ، ومن ثم اكتفوا بالنقل عنهم . وإن كان هذا الأمر قد استمر حتى وقتنا هذا . فقد وردت ألفاظ حوشية في المعجم الوسيط مثل الهصاهص ؛ أي القوي من الناس أو الأُسُود ، والهلواع : الناقة السريعة الشديدة . والناقة الدوصاء : التي تكّسرت أسنانها ، والدِّرفارس : أي الضخم العظيم من الإنسان أو الحيوان .

٥ – **كثرة التصحيفات التي راح يستدركها اللغويون** على واضعي المعاجم ، أو يستدركها واضعو المعاجم اللاحقون على السابقين كما في كتاب «التنبيه والإيضاح» لابن بري ، و «نفوذ السهم لخليل بن أيبك الصفدي ، «والتنبيه على حدوث التصحيف» لحمزة

---

(١) انظر القاموس المحيط مادة ح م. ل .
وانظر كذلك لسان العرب مادة ر. س. م حيث يعالج المصدر الرَّسْم . ثم رسَمَ والأسماء الرواسم ، ورَسْم (مرة اخرى) ، ورُوسم ، والرسيم ، والرسوم ، والرسم ، والفعل الثلاثي (مرة أخرى)
(٢) انظر القاموس المحيط مادة (ق . ن . ف) و (ب. س . س.) و (ت. ر. ق) .

الأصفهاني، و «الجاسوس على القاموس» لأحمد فارس الشدياق ، و «تصحيحات لسان العرب» لأحمد تيمور ... إلخ .

فقد حاولت المعاجم الحديثة تفادي الكثير من هذه المآخذ ؛ حتى تخرج ويشغل جانب اللغة فيها الجانب الأساسي ، وما عداه لا يكون إلا فى حدود توضيح المادة اللغوية ويمكن أن نمثل على ذلك بالمعجم الوسيط الذى صدر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

٢ – معجم الإبانة :

٢ – ١ – المؤلف :

معجم «الإبانة» من وضع «ابي المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبي الصحاري العمانى . وقد أضفى عليه المؤرخون كثيراً من الصفات منها ، الشيخ، العالم، العلامة، الماهر ، الحَبرْ ، الفقيه ، الطاهر[١] الإمام ، النزيه ، وإطلاق هذه الصفات دليل على أن شخصية المؤلف قد حوت التميز في العلم والدين معاً . ولم يعثر محقق كتاب «الأنساب» أو كتاب «الضياء» على ترجمة كاملة له ، وإن كان قد أرجع تاريخه إلى القرن الخامس الهجري[٢]. وله كتب كثيرة فى الفقه واللغة والتاريخ .

أما معجم الإبانة فقد نسخ الجزء الأول منه عبد الله بن عمر بن زياد بن أحمد بن راشد بتاريخ : نهار السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى من سنة سبع وستين وتسعمائة هجرية ، ونسخ الجزء الثانى سليمان بن ماجد بن ناصر الحضرمي الفَرْقى العمانى ، انتهى منه يوم الجمعة ليومين مضيا من شهر رمضان المبارك سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وأربعين حيث نسخه لسيده وربّ نعمته الشيخ العالم الرضي النزيه عامر بن خميس بن مسعود المالكي[٣] .

ويهدف المؤلف من وضع هذا الكتاب إلى إظهار معانى الكلمات التى اختارها ورتبها . والدليل على ذلك أنه أطلق عليه الإبانة يقول «وسميته بكتاب الإبانة ، ومعنى الإبانة فى اللغة الظهور والوضوح من قولهم : بان الصبح : إذا ظهر ضياؤه ...» [٣] وإن كانت هذه الكلمة تشير إلى معانى أخرى مثل الإعراب عن المعنى في : «قد أعرب فلان عن كذا » ؛ إذا أبان ، والانفصال في «بان الشيء » عن الشيء ، إذا انفصل ، ولكن المعنى المقصود فى هذه التسمية هو التوضيح والإظهار ، وقد ساعد على اختيار هذا الاسم لإطلاقه على المعجم ، أن الإبانة مظهر من مظاهر اقتدار العرب يقول «للعرب إقدام على الكلام ، وتوسع وهجوم على جليل المعانى، ودقيقها حتى انهم ليخرجون بكلام من رفع إلى نصب وخفض ، ومن نصب إلى خفض ورفع ، ومن خفض إلى رفع ونصب، ومن مذكر إلى مؤنث، ومن مؤنث إلى مذكر بالإضافة، كل ذلك لاقتدارهم على الفصاحة والإبانة، فهم يفصحون كيف نطقوا ، ويصيبون بما أطلقوا ، وهم يطيلون إذا كانت الإطالة أوضح للإبانة .....» [٤] .

---

(١) انظر الإبانة : ١/٥٥٥ ، ٢/١ ، ٥١٦ (مخطوط) .
(٢) انظر . مقدمة كتاب «الأنساب» للعوتبى . وزارة التراث القومى والثقافة . سنة ١٩٩٢م ص ٤ .
(٣) مقدمة الإبانة ١/١ ، ١/٥ .
(٤) الإبانة : ١/٢٢٥-٢٢٦ .

٢ - ٢ - المنهج :

وقد لخص العوتبي منهج هذا الكتاب بقوله «هذا باب تفسير شيء من الكلام الجاري بين الناس ، على توالي حروف المعجم إلى آخرها ، ثم نختتم الكتاب بشيء من الألفاظ العربية ، والمعانى اللغوية ، والأبيات المعنوية» [١].

فهذا النص يشرح منهج المؤلف بإيجاز شديد فهو :

* **يفسر شيئًا** ، وكلمة الشيء تفيد التبعيض هنا ، والتبعيض يعني أنه لا يجْمع كل مفردات اللغة ، بل يكتفي بقدر منها ، يرى المؤلف أنه فى حاجة إلى توضيح وإظهار .

* **وكذلك يشير إلى الأساس الذي تم عليه اختيار هذا الكم من المفردات وهو** الجريان على الألسنة ، فهي كلمات شائعة معروفة فى الاستعمال اللغوي ، لكن هناك من لا يعرف معناها ، فآثر أن يقوم بسد هذا النقص متخذًا هذا الهدف الذي وضعه نصب عينيه من البداية . يقول «فسرت شيئًا من الكلام الجاري على ألسنتهم لا يعرف معناه ، ولا يقف على فحواه دون الغريب الذى لا يتكلمه إلا متفيهق ، ولا يتكلفه إلا متعمق ، ولا يحسن أن يؤتى به إلا فى الشعر والخطب»[٢]، فالكلام هو الكلام الجاري على الألسنة وليس الغريب منها الذى لا يأتى إلا فى الشعر والخطب ، وعلى ألسنة المتفيهقين ، والمتعمقين .

* **وقد حدد المؤلف مساحة المفردات التى سيتعامل معها** ، اذ إن موقفنا من مفردات اللغة ينحصر فى مستوى من المستويات التالية :

- **هناك ما نعرفه ونستعمله .**
- **وهناك ما نعرفه ولا نستعمله ولكننا نفهمه حين يستعمله الآخرون .**
- **هناك ما لا نعرفه ولا نستعمله وهو الغريب.**

ويتعامل بذلك مع غير المفهوم من ألفاظ المستويين الأولين :

* **وقد رتب الكلمات التي وقع اختياره عليها «على توالي حروف المعجم إلى آخرها»**[٣] أى يعتمد جذر الكلمة ، ويرتبها بحسب الحرف الأول ، وفقًا لما تسير عليه المعاجم الحديثة ، ورأى فى هذا النظام مساعدًا على أن يكون المعجم « أسهل معرفة ، وأقل كلامًا[٤] .»

* **ويرى المؤلف أن هذا المعجم يجب أن يكون زادًا ثقافيًا لمستعمله** فأمده «بشيء

---

(١) السابق : ١/٣١٠ .
(٢) السابق : ١/١ .
(٣) السابق : ١/٣١٠ ، وانظر : ١/١ .
(٤) السابق : ١/١ .

من الألفاظ العربيـة ، والمعاني اللغوية» ، وكذلك لم يغفل الشعـر الجميل ، والحكمة فأمده بالأبيات المعنوية والأمثال المعروفة . والقصص المشوق – كما سيأتى بيانه .

إذًا – فالمعجم لتوضيح ما يجرى على ألسنة الناس ولا يفهمون معناه ، مرتبًا وفق حروف المعجم ، ومزودًا بالأمثال وأبيات الحكمة .

أما عن منهج المعجم في ترتيب مواده فيمكن ملاحظة ما يلي :

١ – **أنه يقـوم على ترتيب الكلمات بحسب الحرف الأول من الجذر** ، فيبدأ بحـرف الألف ثم الباء ، ثم التاء ، ثم الثاء .... إلى آخره حتى يصل إلى آخر حروف المعجم .

٢ – **أن ترتيب الجذور تحت الحرف الواحد يـدل على أن هذا المعجم كان محاولة أولية لحشد الجذور والكلمات التي ستعالج تحت هذا الحرف** ، وكانت هذه المحاولة في انتظار محاولة ثانية للنظر في ترتيب المفردات ترتيبًا داخليًا . ولكن هذا لم يتم ، وإن كنا لا نستبعـد أن يكون المؤلف قـد وضع هـذا في حسبانـه، ولكن هنـاك مـا منع من القيام بـه كالانشغـال بموضوعـات أخرى، أو لعجلة المنيـة التي وافته قبل القيـام بإتمام هذا العمل، فأثر تلاميذه الإبقاء عليه بشكله الذي تركه عليه شيخهم دون تدخل .

ويمكننا أن نستدل على ذلك بهذا الاختيار العشوائي من حـرف العين الذي جاء متتابعًا على هذا النحو :

ع.ص.ر / ع.ش.و / ع.ت.م / ع.ص.م / ع.ي.ش / ع.ق.ر / ع.ض.ل / ع.ن.ي / ع.د.ن / ع.د.د / ع.ر.ض / ع.ق.د / ع.ص.ي / ع.ط.د / ع.ر.ك / ع.ر.ق / ع.ب.ط / ع.ج.ب / ع.ى.ب / ع.ب.أ / ع.د.ل / ع.ب.ر / ع.ص.د / ع.ق.ر / .

فهـذه عينة وردت في الإبـانـة بنفس الترتيب . وهي في حـاجة إلى إعـادة نظـر لكي يتم ترتيبها وفقًـا للحرف الثاني والثالث من الجذر حتى يتحقق مبدأ السهولـة في الوصول إلى الجذر فتكون على هذا النحو :

ع.ب.أ / ع.ب.ر / ع.ب.ط / ع.ت.م / ع.ج.ب / ع.د.د / ع.د.ل / ع.د.ن / ع.ر.ض / ع.ر.ق / ع.ر.ك / ع.ش.و / ع.ض.د/ ع.ص.ر / ع.ص.م / ع.ص.ي / ع.ض.م / ع.ط.ع.ط / ع.ط.و / ع.ق.د / ع.ق.ر / ع.ن.ي / ع.ي.ب / ع.ي.ش .

وقس على ذلك أية مادة من أي حرف من حروف المعجم .

٣ – **كان يلجأ في علاج المادة إلى فكرة التقليب التي بدأها الخليل بن أحمد في معجم العين** ولكن هذا اللجـوء لم يكن شاملاً لكـل الجذور التي عالجها ، فجـاء متناثرًا في ثنـايا المعجم ومن ثم فهو تقليب جزئي كما في: أ.و.ب – أ.ب.و / ب.ي.ن – ب.ن.ي / ب.هـ.و –

ب.و.هـ / ب.غ.ي – ب.ي.غ / ب.ر.خ – ب.خ.ر / ب.ل.خ – ب.خ.ل / خ.ل.ب – خ.ب.ل / ج.ل.ف – ج.ف.ل / ج.ر.ج – ج.ج.ر / خ.ل.و – خ.و.ل / خ.ل.ب – خ.ب.ل / خ.رف – خ.ف.ر / ش.ت.م – ش.م.ت/ ع.ي.ب – ع.ب.ي / غ.ي.ض – غ.ض.ي / ق.ن.و– ق.و.ن / ق.س.ر – ق.ر.س / ق.أ.ر – ق.ر.أ / ق.ر.ب – ق.ب.ر ... إلى آخره .

فالتقليب لم يشمل كل الجذور المعروضة ، ولم يكن تقليبًا تامًا ، بل اكتفي بصورة واحدة من صوره . فلم يذكر عندما تحدث عن (خ.ر.ق) سوى التقليب (خ.ق.ر) ، ولم يذكر (ر.خ.ق) و (ر.ق.خ) وكذلك (ق.خ.ر) و (ق.ر.خ) التي ربما يكون قد عالجها تحت بابي الراء ، والفاء ، طبقاً للترتيب على حروف المعجم ، ويكون هذا تمشيًا مع ترتيب كلمات المعجم بحسب الحرف الأول فقط .

٤ – **قد يلجأ إلى معالجة الجذر الواحد في أكثر من موضع في الباب الواحد** ، ويمكن أن نستدل على ذلك بالجذور التالية :

(خ.ل.ف) الذي عالجه بعد : (خ.ج.ل) ، وبعد (خ.ر.غ) .

(ح.ل.ف) الذي عالجه بعد : (ج.ز.ف) ، وبعد (ج.ب.س) .

(ح.م.ل) الذي عالجه بعد : (ح.ن.ن) وبعد (ح.م.م)

(ح.ف.ظ) الذي عالجه بعد : (ح.ض.ض.) وبعد (ح.ب.ب)

(ح.ذ.ق) الذي عالجه بعد : (ح.م.د) وبعد (ج.ب.ر)

(ج.ب.ل) الذي عالجه بعد : (ح.ج.ج) وبعد (ح.ل.س)

(ر.ب.ب) الذي عالجه في أول الحرف ، ثم عالجه بعد : (ر.ب.و) وبعد (ر.و.ع) وبعد (ر.أ.ف) وبعد (ر.ج.ز)

(س.د.د) الذي عاجله بعد : (س.ى.د) وبعد (س.م.م)

(س.ن.ن) الذي عالجه بعد : (س.ب.ل) وبعد (س.و.ي)

(ش.م.ط) الذي عالجه بعد : (ش.م.ت) وبعد (ش.ي.ب)

(ق.ط.ط) الذي علاجه بعد : (ق.م.ط.ر) وبعد (ق.ط.ن) .

والأمثلة على ذلك جد كثيرة :

ومعالجة مثل هذه الجذور في حاجة ماسة لتجميعها في مكان واحد حتى تتمشى أيضًا مع عنصر «السهولة» فى تحصيل الإفادة .

٥ – **في علاجه للأجوف يعالج الذي عينه واو ، في نفس المكان الذي يعالج فيه الذي عينه ياء** ، كما في : س.ي.د – س.و.د / غ.و.ل – غ.ي.ل/ ف.ي.ج – ف.و.ج فليس هناك التزام بتقديم الياء أو الواو ، بل تارة يقدم هذه ، وأخرى يقدم تلك .

٦ – **أن التقسيم الكمي للجذور (من ناحية الثنائية والثلاثية والرباعية)** لم يكن له وجود في ترتيب جذور المعجم . فقد يرد الثنائي في آخر الباب كما في س.ن.ن ، س.ي.ي ، س.ب.ب .

وقد يكون في أول الباب كما في : ق.د / ق.ط / ق.د.د / .

وقد يكون متناثرًا في ثنايا الباب كما في : ق.ط.ق.ط / ق.م.ق.م / قُ.د.م.س / ق.ل.م.س / وبعد عدد من الجذور يكون . ق.ص.ق.ص. – وبعد عدد من الجذور يكون : ق.ن.ق.ن / وبعد عدد آخر يكون ق.ل.ي.س / ق.ل.ن.س / ق.ل.س.ن .

٧ – **أن القضايا اللغوية والدينية قد دخلت أساسًا في الترتيب** ، فنراه يبدأ الباب **بقضية لغوية** ، كما في حرف الألف حيث يبدأ بشرح وظائف الألف في اللغة ، والمعاني التي تحملها ، وكذلك الباء ، والتاء وما تتعرض له من إبدال في صيغة الافتعال ، والسين حيث يبدأ بكلمة سبعة ، والعين حيث يمكن قلبها همزة في «عن» التي تكون : «أن» وكذلك الفاء (وحروف العطف).

أو يبدأ الحرف **بقضية دينية** كما في باب الزاي حيث يبدأه بمادة «ز.هـ.د» فيشرح **معنى الزهد** يقول : «وقولهم زاهد ومزهد ، الزاهد : القليل الرغبة في الدنيا ، والمزهد القليل **المال**.....» [١] فالمفترض أن تكون بداية المادة «ز.أ.أ» . ولكنه يبدأها بـ (ز.هـ.د) ليتخذ من الزهد مادة يبدأ من خلالها حرفه المعجمي . وكذلك **الصاد حيث** يبدأ الحرف بمادة : «ص.ل.و» فيشرح معنى الصلاة يقول : «الصلاة مع العرب على **أربعة أوجه : تكون الصلاة المعروفة** التي فيها الركوع والسجود ، ومنه : «فَصَلِّ لرَبِّك وانحر» . ومنه الصلاة : الترحم .. ، والصلاة الدعاء ... والصلاة الدين» [٢] .

والضاد حيث يبدأ الحرف بمادة : «ض.ل.ل» فيشرح معنى الضلالة . يقول «وقولهم : فلان ضلٌ أي جائر عن القصد غير مهتد إليه ... ورجل مضلّل : لا يوفق لخير ، صاحب غوايات وبطالات وأضاليل ...» [٣] فبداية الحرف جذر يكون مدخلاً لقضية دينية .

---

(١) الإبانة : ٢/ ٧١ .
(٢) السابق : ٢/ ١٨٥-١٨٦ .
(٣) السابق : ٢٠/ ٢٢٨-٢٢٩ .

والطـاء والقاف ، حيث يبـدأ الحرف بمادة «ط.ه.و» و «ق» فيشرح معنى الأحـرف التي تأتي في أوائل السور : «فواتح السور» «ق» «طه» : أمـر من الله تعالى لنبيه – عليه السلام – أن يطأ على الأرض بجُمُع قدميـه ، وذلك أنه لما نزل عليه الوحـي كان يمشي على أطراف أنامله ... وعن بعض المفسرين أنه قال طه بالعبرانية : يا رجل...» [١] .

ويقول في **حرف «القاف»** قاف في القرآن مختلف فيه . قال مجاهد هو جبل أخضر من زمـرد محيط بالخلق ، قـاله الضحـاك . هو من زمـردة خضراء محيـط بـالسماء فخضرة السماء منه، «قال الحسن قـاف . فاتحة السورة ، وفي موضع آخر عنـه أنه اسم سمىّ الله تعالى به القرآن ، ثم أقسم به .. ويقال هو اسم من أسماء الله تعالى ....» [٢] .

ومن ثم كانت للقضايـا اللغوية ، والقضايا الدينيـة السيطرة على ذهن المؤلف حيث يبدأ الحرف بكلمة تكون منطلقاً لشرح هذه القضيـة أو تلك ، والاستفاضة فيها ، وتقديم الآراء المأخوذة عن العلماء والمفسرين بشأنها .

٨ – **أن الأوزان الصرفية ربما تكون أسـاسًا من أسس عرض المادة** ففي بـاب التاء نرى أنه يقوم على جمع لصيغ الأفعال التي تبدأ في الماضي بحرف **التاء** كما في وزن تُفعّل : تولّج ، وتـوسّم ، وتربّس ، وتَبَسّق ، وتجلّح ، وتبلّم ، وتعـذّر، وتَنَكّح ، وتخَيّل ، وتشرّد ، وتصلف ، وتبجّح ، تطوّل ، وتجَرّم وتَشعّب وتثبّت ، وتـدمّر ، وتشقّفَ ، وتقبّل ، وتمنّي ، تكفّل ، وتَلمّس وتفيّض ، وتردّي ، وتصوّر ، وتشبّث ، وتخلّص .... إلخ .

أو وزن **تفاعل** في تناوش ، وتعانق ، وتجانب ، وتبـاعد، وتعالى . وتفعلل في : تلألأ ، وتتمتم و تميمم .

وكذلك في حرف الألف يعالج الوزن الصرفي أفعل فيعالج أغمم ، وأنزع، وأقرع ، وأصلع ، وأمـرد ، وأحمق ، وأرذل ، والأفعـال مثل أضحى، أدرى ، وأبـرد ، وأسخن ، وأنشأ ، وأربى ، وأدلى .

في حين أنه كان يجب تجريد كل هذه الصيغ ومعالجة كل صيغة تحت الحرف الأول من حروف جذرها .

٩ – **تداخل مواد حرف معين في مواد حرف آخر كما في :**

مادة ج.ب.ل تحت حرف الحاء – ٥٠٦/١

مادة ج.هـ.ل تحت حرف الحاء ٥٠٦/١

---

(١) الإبانة : ٤٦/٢ .
(٢) السابق : ٤٧٨/٢–٤٧٩ .

مادة ج.ر.ع تحت حرف الحاء ١/٥١١

مادة و.ش.و.ش تحت حرف الشين ٢/١٥١

مادة أ.ب.ش . ر تحت حرف الشين ٢/١٥٢

مادة ق،ط.ع تحت حرف الطاء ٢/٢٤٣

مادة ى.ق.ن تحت حرف الفاء ٢/٤٠٩

مادةج.ف.ق تحت حرف التاء ١/٤٦٤

مادة ج.ف.ل تحت حرف التاء ١/٤٦٤

مادة ج.ل.ب تحت حرف التاء ١/٤٦٤

مادة ج.ب.ن تحت حرف التاء ١/٤٦٤

مادة ج.ز.ر تحت حرف التاء ١/٤٦٤

مادة ج.ر.ض تحت حرف التاء ١/٤٦٤

مادة ج.م.ش تحت حرف التاء ١/٤٦٤

مادة ج.ر.ش تحت حرف التاء ١/٤٦٤

مادة ج.ر.س تحت حرف التاء ١/٤٦٤

مادة ج.ر.ش تحت حرف التاء ١/٤٦٤

مادة ج.ل.س تحت حرف التاء ١/٤٦٤

مادة ج.ن.س تحت حرف التاء ١/٤٦٤

مادة ث.و.ى تحت حرف التاء ١/٤٦١

مادة ث.ى .ب تحت حرف التاء ١/٤٦١

مادة ث.ن.ى تحت حرف التاء ١/٤٦١

والأمثلة جد كثيرة متناثرة في ثنيا المعجم .

١٠- الاعتماد على المنهج المقارن (بين العربية والعبرانية) والمنهج التقابلي (بين العربية والفارسيـة) في علاج كثير من مـواد معجمه . وخاصـة عندمـا تكون الكلمـة من الدخيل .

---

(١) الإبانة : ٢/٤٢ .

ويمكن أن نستشهد على ذلك بمادة : ر.ع.ي يقول الشيخ : «قيل : أرعنا سمعك .. وكانت اليهود تتساب بينها بهذه الكلمة»[1] . ويقول أيضاً : « أن لفظ العرب والعجم إذا اتفقا ، حمِّل ذلك على المراد والمعنى لا على اللفظ .. مثل ذلك : أن الزور بالعجمي : القوة ، فإن شَهِد أعجمي بشهادة اللسان الأعجمي ، وقال بالفارسية : دادم بزور ، أي شهدت على فلاَن شهادة قوية ، ولم يصرف ذلك على أنه شهد بزور ، لأن الزور بالفارسية القوة . وبالعربية الباطل . وكذلك كل لفظة بالعربية شاكلت العبرانية والفارسية باللفظ **وفارقتها في المعنى** ، فالحكم للمعنى»[1].

٢ – ٣ – المادة المعجمية في الإبانة :

المعجم مرجع يلجأ إليه مستخدم اللغة أو مستقبلها للتعرف على معنى كلمة أو تعبير صادفه ، أو يريد أن يستعمله ، ولكنه لا يفقه معناه . ومن هنا يكون شرح المادة في المعجم كاملاً وافياً من ناحية المنهج إذا اشتمل على الأمرين التاليين[2] :

١ – **شرح الأشكال المختلفة للكلمة ، سواء** كانت هذه الأشكال متعددة من وجهة النظر الوصفية (السنكرونية) ، كأن يكون للكلمة أكثر من شكل أو أكثر من معنى في مرحلة زمنية معينة من مراحل اللغة ، أو كانت من الناحية التاريخية (الدياكرونية Diacronic) وذلك بأن يكون للكلمة أشكال مختلفة ، كل شكل منها يحقق مرحلة من المراحل .

٢ – **تقسيم المادة بحسب تعدد المداخل الفرعية فيها** ، والاستشهاد على كل مدخل مع الإتيان بتحديد صرفي لكل قسم فرعي : كأن يكون فعلاً ، أو اسماً ، وإذا كان فعلاً فترتب أوزانه المجردة ، والمزيدة بحرف أو حرفين أو أكثر .. وكذلك الأسماء .

ومعاجمنا العربية معنية بالجانب الوصفي للغة ، فليس هناك معجم تاريخي بالمعنى المشار إليه سابقاً كأن يقول : «إن هذه الكلمة كانت فى القرن الفلاني كذا ، وأصبحت فيما بعد كذا ، ثم آلت إلى كذا ....»[3] .

ومعجم الإبانة يدخل في إطار اتجاه المعاجم العربية وهو الجانب الوصفي ويقدم المادة ، ويعرض لضبطها ، والاشتقاقات الصرفية منها ، كالمصدر ، الاسم ، والجمع بأشكاله المختلفة ، ثم يعرض للمشكلات الصرفية التي تقتضيها معالجة هذه المادة ، مستعينًا في ذلك بالاستشهاد . ويمكن أن نستدل على ذلك بالمثال التالي في معالجته لمادة : ز.ر.ع يقول :

والزَّرْع : معروف ، والله يَزْرَعُهْ ، أي : ينمِّيه حتى يبلغَ غَايَتْه ، قال الله تعالى ﴿ أأنتم

---

(١) السابق : ٢/٤٣-٤٤ .
(٢) انظر : مناهج البحث في اللغة تمام حسان : ٢٣٥-٢٣٦ . وانظر : المعجم العربي – رياض زكي قاسم ص ٥٤٦-٥٤٧ .
(٣) المعجم العربي . رياض زكي قاسم : ص ٢٤٧ .

تزرعُونه أم نحنُ الزارعون ﴾[1] . والمَزْرَعَةُ : الأرضُ التي يُزْرَع فيها ، يقال فيها : مَزْرُعَة ومَزْرَعَة (بضم الراء وفتحها) ، ويقال للصبي : زَرَعَه الله ، أي : بلّغه اللهُ تمامَ شبابه ، والمُزْدرِع الذي يَزْرَع لنفسه زَرْعًا خصوصًا هو مُفْتَعِل ، دخلت الدال بدل تاء مُفْتَعِل . وكذلك يصير تاء افتعل بدل الزاي ، والدال ، إلا أنها تحْسُن مع الحروف ، وهم الذين يقولون : اجدمعوا ، بمعنى : اجتمعوا وهي أقبحها ، والمفعول به : مُزْدَرَع قال :

واطلب لنا منهم نخلاً ومُزْدَرَعًا كمـــا لجيراننا نخلٌ ومُزْدَرَعُ[2]

ففي هذا النص :

- **الصيغ الصرفية المشتقة من الجذر** الفعل يزرعه، والاسم الزرع ، والمزرعة وصيغة الافتعال : مزدرع .

- **الضبط للصيغة في** : مَزْرُعَة ومَزْرَعة (بضم الراء وفتحها) .

- **وزن الصيغة في** : مُزْدَرِع ... وهو مُفْتَعِل

- **تفسير معنى الصيغة في** : الله يزرعه ، أي ينميه حتى يبلغ غايته ، والمزرعة الأرض التي يزرع فيها ، والمزْدَرِع . الذي يزرع لنفسه زرعًا خصوصًا .

- **الاستشهاد على المعنى** سواء كان هذا الاستشهاد بالقرآن الكريم في الآية المذكورة بالنص ، أو بالشعر ، كما في البيت المذكور .

مصادر المادة :

وقد استقى العوتبي مادته من مصادر عديدة ، هذه المصادر تتراوح بين القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والشعر العربي الأصيل ، وأقوال العرب . وهي المصادر التي اعتمدت عليها المعاجم العربية لكي تقدم اللغة العربية الصحيحة . وإن كان من حقه أن يعتمد اللغة المعاصرة له ، حيث ينبغي أن يكون اهتمام المعجم الرئيسي هو اللغة في حالتها الراهنة . من ناحية الاعتماد على المؤلفين المعاصرين ، بغض النظر عن أفضلية إنتاجهم الأدبي أو خلوده ، ولكنه لم يفعل ، واعتمد على النصوص القديمة فقط وما رواه اللغويون من اللهجات .

واعتمد كذلك تفسيرات الصحابة كأبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب وكذلك عائشة ، وابن عباس ، وأبي هريرة – يرضي الله عنهم – وغيرهم .

---

(١) الواقعة : ٦٤ .
(٢) الإبانة : ٢/٩٠-٩١ .

واعتمد كذلك على أقوال اللغويين في كثير من المسائل مثل : أبي عمرو ابن العلاء (ت ١٤٥ هـ) والخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) ، والأخفش (ت ١٧٧ هـ) ، والمفضل الضبي (ت ١٧٨ هـ) والكسائي (ت ١٨٢ هـ) وقطرب (ت ٢٠٦ هـ) والفراء (ت ٢٠٧ هـ) وأبي زيد النحوي (ت ٢١٥ هـ) والأصمعي (ت ٢١٦ هـ) والسجستاني (ت ٢٤٨ هـ) والجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) وابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) وابن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) ... وغيرهم كثيرون .

وأحياناً يقول : «قال النحويون»، و «قال جماعة من أهل اللغة » ، و«قال بعض أهل اللغة» و«من أقوال اللغويين » و« يقول بعض اللغويين» و«قال ذلك أهل اللغة» [١] .

وورد في نص المعجم ذكر لكثير من علماء الحديث والقراءات والفقه من أمثال مجاهد ، وعكرمة ، وشهر بن حوشب،وأبي عبد الكريم ، سعيد ابن المسيب، والعبرانى ، وابن رحالة وسعيد بن مسموح ، واللحياني، ومحمد ابن الحنفية، والجرمازي، والحسن، وحمزة، وأحيانًا يقول : «أصحاب الحديث» .

ولا يفوته أن يشير إلى مصدر اللغة الأصلي وهم العرب قائلاً : «قول بعض العرب» ، «لأن العرب تقول» ، «وحُكي عن بعض العرب» [٢] . ويمكن أن نستشهد بالمثال التالي : يقول الشيخ في علاجه لمادة : ب.ض.ع :

والبضْعُ من العدد : ما بين ثلاثة إلى عَشْرة ، وقيل تسعة ، وفسر قوله «في بضْعَ سنين»[٣] أي سبع سنين ، وقيل تسع ، وقال أبو عبيدة : ما لم يبلغ العقد ولا نصفه ما بين الواحد إلى الأربعة ، وقيل من ثلاثة إلى تسعة ، وعن أبي عبيد ، ما بين ثلاث وخمس. (وقال قتادة: ما بين الثلاث والتسع والعشر. (وقال الأخفش : من واحد إلى عشرة ، (الفراءفي قوله تعالى ﴿ فلبث في السجن بضعَ سنين ﴾[٤] ذكروا أنه لبث سبعًا بعد خمس بعد قوله: ﴿اذكرني عند ربك﴾[٥] قال والبضع ما دون العشرة ، ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿الم ، غُلِبَتْ الرومُ﴾[٦] ناحب أبو بكرٍ قريشًا فقال له رسول الله – ألا أخبطت ، فإن البضع ما بين السبع والتسع[٧] .

٢ – ٤ – تفسير المعنى :

---

(١) انظر على التوالي : ١/ ٥٢٠ ، ٥٢٧ ، ٥٣٩ ، ٢/ ٢٣٤ ، ٣٩٦ .
(٢) انظر ايضًا على التوالي : ١/ ٤٥٠ ، ٢/ ١٣١ ، ٣٨١ .
(٣) الروم : ٤ .
(٤) يوسف : ٤٢ .
(٥) يوسف : ٤٢ .
(٦) الروم : ١ و ٢ من سورة
(٧) الإبانة : ١/ ٤١٥ .

يأخذ تفسير المعنى لدي واضعي المعاجم العربية شكلاً من الأشكال التالية:

١ – **التفسير بالمغايرة** : أي باستخدام كلمات مثل ضد ، وخلاف ، ونقيض، كالخفّة ضـد الثقل ، والضعـف خلاف القوة ، والسُهد والسُهاد نقيض الرُقاد .

٢ – **التفسير بالكلمة الواحدة كما في** جبخ : تكبر ، التربُخ الاسترخاء .

٣ – **التفسير بأكثر من كلمة** : من خلال استخدام العبارة المصدرة بكلمات مثل إذاً ، والذي وهو ، وما ، وأي ، كما جملت الجيش تجميـلاً : إذا أطلت حبسه ، والأعجم: الذي لا يفصح ، والنارجيل ، وهو : الجوز الهندي. والعجامة :ما عجمته ، وجزيت فلانًا حقه أي . قضيته .

٤ – **تفسير الدخيل** أي تفسير كلمة دخلت العربية ، وهي غير عربية ويفسرها بالعربية كما في السُبْخَة . قميص له جيب . قالوا هو بالفارسية شَبْي[١] .

٥ – **التفسير بالسيـاق اللغوي** وهو اعتماد المصاحبـة . فعلاقة المعنى «لا ينبغي أن تفهم على أنها علاقـة ثنائية بين اللفظ وما يشير إليـه ، بل على أنها مجموعة من العـلاقات المتعددة الأبعاد، وهي أسـاس علاقة وظيفية بين اللفظة في الجملة ، وسيـاقات حدوثها كما يقول مالينوفسكي[٢] .

٦ – **تفسير المادة بالسياق السببي** ، وهو التعليل لاستعمال الصيغة اللغوية على النحو الذي ذكرت فيه ، ويتم ذلك بـاستخدام : لأنّ ، وإنما، ولمَ ، كما في تفسير ابن فارس لكلمة السـاق يقول : والسـاق لـلإنسان وغيره ، والجمع سُـوقَ ، وإنما سميت بـذلك لأن الماشي ينساق عليها»[٣] ، و «إنما سمي الإعراب إعرابًا لتبيينه وإيضاحه» واختلف الناس في العرب لم سُمُّوا عربًا»[٤] . فهذه وسائل يعتمد عليها واضع المعجم .

٧ – **تفسير المادة بالسيـاق الاجتماعي** : أي الاهتمام بنبض الواقع الاجتماعي الذي تدوولت فيـه الكلمة في أدق ملامحهـا ، ويحمل هذا التفسير الاجتماعي إلينـا «سياق الحال الذي عاشته دلالتها نطقاً بين الناس». من أمثال القصص التي تحكي ، والأمثال التي ترد .

فعند تحديد معنـي الصيغة قد يذكر الشيخ الضـدّ ، أو المرادف ، أو العبارة التي تشرح المعنى مستعيناً بالسياق اللغوي ، والسياق الاجتماعي الذي وردت فيه ، معللاً لهذا التفسير إن كانت هناك ضرورة لذلك ، وإن كـان لم يعتمد طريقه الاستعانة بـالصورة كما تعتمدها

---

(١) مقاييس اللغة : ١٢٥/٣ .
(٢) انظر المعجم العربي : رياض زكي قاسم ص ١٣٣ .
(٣) مقاييس اللغة : ١١٧/٣ .
(٤) اللسان مادة : عرب .

المعاجم الحديثة واكتفى بالتفسير بالوسائل السابقة .

والنص التالي يمكن أن يكون دليلاً على هذا القول . يقول في تفسير مادة ر.و.ع «والأَرْوَع من الرجال : من له اسم ، وخفارة ، وفضل وسُؤْدَد ، وهو بَيِّنُ الرَّوْع . وتقول : رَاعني سمعك . أو أَرَاعني أي استمعَ . وأرعي فلان إلى فلان أي استمع إليه . وكان المسلمون يقولون : يارسول الله – راعنا أي استمع منا . فخرقت اليهود فقالت : رَاعنا يا محمد ، ويُلحدون إلى الرعونة ، يريدون النقيصة ، والوقيعة فيه . فلما عوتبوا قالوا : نَقول كقول المسلمين . فنهي الله عن ذلك ، فقال : ﴿ لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا ﴾[1] وكان الحسن يقرأ: «وراعنًا ليًا بالسنتهم» بتنوين، ومعناه : لا تقولوا حمقًا ، من الرعونة . وتقرأ بلا تنوين في البقرة ، (قال الزّجاج . قد قيل في «راعنا» بلا تنوين ثلاثة أقوال : مثل أَرْعنَا سمعك ، وكان المسلمون يقولون للنبي ﷺ – أَرْعنَا سمعك ، وكانت اليهود تتساب بينها بهذه الكلمة ، وكانوا يسبون النبي – عليه الصلاة و السلام – في بيوتهم ، فلما سمعوا هذه الكلمة اغتنموا أن يُظْهروا سبّه بلفظ يسمعُه ، ولا يلحقهم في ظاهره شيء ، فأظهر الله النبي ﷺ والمسلمين على ذَلك ، ونهي عن الكلمة . (وقيل هو من المراعاة ، والمكافأة ، فأمروا أن يخاطبوه بالتعزير والتوقير ، فقيل لهم : (لا تقولوا راعنا) ، أي كافئنا في المقال كما يقول بعضكم لبعض ، وقولوا (انظرنا) أي : أمهلنا واسمعوا ، كأنه قيل لهم اسمعوا .

وقال قوم : راعنا : كلمة كانت تجري مجرى الهزؤ والسخريا فنهوا أن يلفظوا بها في حضرة النبى عليه افضل الصلاة والسلام – وقول اليهود: اشتقوه من أَرْعَن ، والأرعن : الأحمق قالوا : إنا لنشتمه في وجهه ، فلما نزلت هذه الآية قال سعد لليهود : لئن قالها رجل منكم لأضر بنّ عنقه . (وقال أبو صالح : راعنا هي بلغة اليهود سَبٌ قبيح ، فلما قال المسلمون للنبى عليه الصلاة والسلام – راعنا سمعك، قال اليهود : هذه أحبُ إلينا من كذا وكذا لأنها سبّة ، وكنا نسرها ، فالآن نظهرها إذ قالها المسلمون . قال أبو عبيدة هذه من راعيت ، (ويقال : أَرْعنى سمعك ، ورَاعنى سمعك أي: اسمع إليّ وراعنا (بالتنوين) كأنها سبّة وبالعربية (قال الحسَن بن إسماعيل[2] : وفي نهي الله عن قول «راعنا» وهي عربية لا مكروهة لأنها شاكلت بالعبرانية معنى مكروهًا دليل على أن لفظ العرب والعجم إذا اتفقا، حمُل ذلك على المراد والمعنى ، لا على اللفظ ، وكان الحكم فيها مصروفًا إلى المعنى ، مثل ذلك أن الزَور بالعجمي : القوة فإن شهد أعجمي بشهادة اللسان الأعجمي وقال بالفارسية: دادم بزور ، أي : شهدت على فلان شهادة قوية ، لم يُصرف ذلك إلى أنه شهد بزور، لأن الزور بالفارسية القوة، وبالعربية الباطل ، وكذلك كل لفظة بالعربية شاكلت العبرانية والفارسية باللفظ وفارقتها في معنى[3]،

---

(١) البقرة : ١٠٤ .
(٢) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي المعروف بابن سيدة : صاحب كتاب المخصص (ت ٤٥٨هـ) .
(٣) معجم الإبانة : ٥/٤٢-٤٤ .

فالحكم للمعنى وتقول : رَعَن الرجلُ يَرعَنْ رعنًا ، وهو أرعن أهوج ، والمرأة رعناء ، والرعن من الجبال ليس بطويل، وجمعه رعون ، وقيل هو الطويل ...».

هذا النص – على طوله – يمكن أن يكون صورة لطريقة الشيخ في معالجة المادة المعجمية ، فهو :

يفسر المعنى : فيفسر الأروع ، وراعني وارعني ، وارعي فلان إلى فلان ، والرَّعَن ويستشهد بالآية القرآنية : ﴿ لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا ﴾[1] وقوله تعالى ﴿وراعنا ليًا بألسنتهم﴾[2] ويستعين بالقراءات وكان الحسن يقرأ : ﴿ورَاعنًا ليًا بألسنتهم﴾ بتنوين ويشير إلى التخريجات الواردة في الكلمة، (قال الزجاج قد قيل في راعنا بلا تنوين ثلاثة أقوال : قيل ارعنا سمعك .. وقيل هو المراعاة والمكافأة .. قال أبو صالح : راعنا هي بلغة اليهود سب قبيح .. وقال أبو عبيدة : هذه من راعيت ، ويقال ارعنى سمعك وراعني سمعك أي اسمع ... .

ثم يستفيد من القصص في تفسير معنى كلمة وهي قصة اليهود مع كلمة راعنا، ويجد نفسه أمام مقارنة بين اللغة العربية واللغة العبرية في تفسير كلمة، وهي «راعنا» فيذكر قصة اليهود الذين استخدموا كلمة «راعنا» بمعناها في لغتهم وهو السبّ والسخرية ، على مسمع من العرب حيث يكون معناها من المراعاة، فظن اليهود أنهم بذلك قد نجوا من ناحية الظاهر من لوم المسلمين في نفس الوقت الذي عبرّوا فيه عما في نفوسهم المريضة ، فاظهر الله الرسول الكريم والمسلمين عليهم ، ونهاهم عن استخدام هذه الكلمة ، وخرج بهذا الحكم وهو أن «لفظ العرب والعجم إذا اتفقا ، حمل ذلك على المراد ، والمعنى لا على اللفظ ، وكان الحكم فيه مصروفًا إلى المعنى ».

وهو على هذا النسق يمضي مع مواد معجمه ، بحسب ما يقتضيه سياق الشرح فيقدم في التفسير الوسيلة المناسبة ، وفي الاستشهاد ما يراه مؤيدًا للمعنى المشار إليه قرآنًا ، أو حديثًا ، أو شعرًا ، أو نثرًا ، مؤيدًا قوله بأقوال المفسرين ، واللغويين ، وأهل الحديث .

---

(١) البقرة : ١٠٤ .
(٢) النساء : ٤٦ .

٣ – اللغة في معجم الإبانة :

٣ – ١ – مقدمة :

المعجم هـو عرض ألفبـائي للكلمات التي تشكل متن اللغـة ، مع جميع الحقائق المتعلقـة بالصيغـة والمعنى والتاريخ ، وطريقة التلفظ والتطـور . ويشمل تقديم المعلومات الصـوتية والصرفيـة الخاصة بـالكلمة التي تسـاعـد في فهمها ، سـواء كان هـذا العرض وصفيًـا أو تاريخيًا، وتشمل الحقائق المتصلة بالمعنى دلالة الصيغة سواء كانت هذه الدلالة قاموسية ، أي المعنى العام للصيغة أم كانت دلالة سياقية ، أي يعرض لها من خلال سياقات مختلفة . (هذا يعني أن المعجم ملتقى للدراسات الصوتية والصرفية والتركيبية في هذه اللغة إلى جانب الدلالـة، ومن ثم يجب أن يكـون واضع المعجم ملماً بهذه الدراسـات كي يقدمهـا في سياق مادته المعجميـة . وإن كان غير ملزم باتباع مـدرسة بعينها أو نظرية بـذاتها، ولعل هذا ما حدا بالبعض إلى القول بأن الصنـاعة المعجمية «ليست علماً بل هي فن» و «ربما لن تصبح علماً أبدًا فهـي فن معقد ودقيق ، وبـالغ الصعوبـة أحيانـاً يتطلب تحليلاً ذاتيًـا ، وقرارات اعتباطية واستنتاجات حدسية»[١].

وحينما ننظر في معجم الإبـانة نرى أن اللغة بمستـوياتها المختلفة ، تمثل ركنًا أسـاسيًا من أركانه . والدليل على ذلك أنه عالجها في صورتين :

أولاً : في هذه المقدمة التي وضعها لمعجمه ، فهذه المقدمة تستغرق من الصفحة الأولى إلى الصفحة التاسعة بعد الثلاثمائة (١–٣٠٩) يعـالج فيها الكثير من مسائل اللغة الصوتية . كأمراض الكلام ومـا منع منه اللسان كاللفظ بالساكن ، والـوقوف على متحرك ، واللفظ بحـرف واحد، والجمع بين سـاكنين ، وأصـوات العـربية الأصليـة والفـرعية ، والأصيلـة والدخيلة ... إلخ . والمسائل الصرفية كالاشتقاق ، والتقسيم الكمي للكلام الثنائي أو الثلاثي والربـاعي ، وأسماء الأفعال ، وخصـائص الكلمة العربيـة ، ومما ليس في الكـلام العرب ، وأوزان كلام العـربي في الأسماء والأفعال ، وصياغـة المصدر ... إلخ . والمسـائل التركيبية كالكـلام وأقسام الكلام ، وأنماط الكلام ، وصحيح الكـلام ، والمستقيم والغلط ، وأصناف كلام العرب : الحديث ، والخبر ، والخطبة ، والرسائل ، واللغـو . ومعانى الكلام من ناحية الخبر والإنشـاء ، والاستفهـام والـدعـاء والأمـر ، والنهـي والطلب ، والتمني والتعجب والعرض ، والمستقيم فى الكلام ومالا يستقيم ... إلخ .

ولم يغفل الشيخ التعـرض للصحة الجماليـة بعد أن عـرض لهذه القضايـا التى تخص

---

(١) علم اللغة وصناعة المعجم . على القاسمى ص ٤ ، ٥ .

الصحة اللغوية . فعرض للسان والفصاحة ، وفصاحة الرسول والفصحاء من أهل عمان ، وقصص من أسواق العرب ، ومن بلغاء العرب وزهادهم ، والبلاغة ، والحقيقة والمجاز ، والتشبيه والاستعارة والكناية ، والإيجاز والاطناب والمساواة ، .... إلخ . والمقدمة متن في اللغة وقضاياها سواء على مستوى اللغة أو على مستوى البلاغة والفصاحة .

ثانياً : معالجة اللغة فى ثنايا المادة المعجمية ، ويمكن أن نجد مستويات اللغة المختلفة متناثرة في ثنايا المعجم على مستوى الأصوات ، والصرف ، والتركيب ، والدلالة ، كل بحسب حاجة المادة المعجمية التي يعالجها . وقد نظن للوهلة الأولى أن هذا يعتبر تكرارًا ، والحقيقة أن هناك تكرارًا في بعض الموضوعات كمخارج الأصوات حيث عالجها في المقدمة ، وعالج كل صوت على حدة في بداية بابه ، ولكن هناك كثيرًا من الموضوعات كانت دراستها في المقدمة دراسة نظرية بينما هي مدروسة في سياق المادة المعجمية دراسة تطبيقية على مادة بعينها وعلى كلمة بذاتها . وكذلك قد يكون في المادة المعجمية باعتبارها واقعًا مدروسًا ، مجال لأفكار أخرى لم ترد في المقدمة النظرية ، وإذا جاز لنا أن نصف هذه العلاقة بين اللغة في المقدمة النظرية ، واللغة في المادة المعجمية لكانت العلاقة بينهما هي علاقة التكامل ، فهما وجهان يكمل كل منهما الآخر ، لا يغنى أحدهما عن الآخر وفيما يلي عرض لبعض القضايا التى تناولها في المقدمة أو في المادة المعجمية .

٣ - ٢ - الأصوات :

لا غنى لواضع المعجم عن معرفة القواعد الصوتية للغة التي يضع في مفرادتها معجماً ، لأن معرفة هذه القواعد ستعينه على معرفة كيف تلفظ الكلمة، وهي مهمة أساسية من مهام المعجم ، «والتلفظ جزء أساسى من الوصف اللغوي الذي تهتم به المعجمات» [١] ونظرًا لهذه الأهمية لتلفظ المفردات فقد ظهرت في الإنجليزية معاجم متخصصة في توضيح طريقة التلفظ حيث «تشمل الطرائق المتباينة لتلفظ كل كلمة من غير أن يتطرق إلى معانى الكلمات أو تاريخ تطورها أو غير ذلك»[٢] .

فالأصوات ذات أهمية إذا «أدت إلى اختلاف في الكلمات ، وتعد الفروق في الكلمات هامة إذا أدت إلى فرق في معنى الجمل»[٣] وهنا تظهر قيمة المعنى باعتباره «صورة من صور القيم الخلافية»[٤] التى تفرق بين كلمة وأخرى تقف جنبًا إلى جنب مع المقطع ، والنبر ، والتنغيم لتحديد هوية الكلمة ، وبالتالي تحديد معناها المعجمي ، ووظيفتها فى بنية الجملة .

(١-٢) انظر: علم اللغة وصناعة المعجم .. علي القاسمي ص ٥٢ ، ومن معاجم التلفظ هذه معجم كينون ونوت A . Konyon and Knott pronouncing Dietionary of American English: Spring field, Mass: G & C Marrian Co 1944.

(٣) علم اللغة وصناعة المعجم ص ٧٧ عن Hill; "Lexicoeraphers Dhers and Linguistics" Language 46,1970: 245-258.

(٤) مناهج البحث فى اللغة : ٢٣٢ .

ومعاجمنا العربية لم تغفل هذا الجانب ، فقد كانت - وإن لم تكن كلها - تولي اهتمامًا لأصوات اللغة كلسان العرب ، ومتن اللغة ، والمعجم الوسيط «ففي هذه المعاجم نجد الإشارة إلى أصوات اللغة في صدر كل باب من الأبواب، وجاءت على نسب متفاوتة من ناحية شرح طريقة نطق هذه الأصوات، ومخرجها من الفم ، وبيان خصائصها مستعملة في اللغة ، أو طريقة ائتلاف هذه الأصوات في التركيب اللغوى»[1] .

ومعجم الإبانة واحد من هذه المعاجم التي اهتمت بالأصوات ، من ناحية المخرج ، والجهر والهمس ، والشدة والرخاوة ، والقلقلة والانحراف ، والإطباق والانفتاح والاستعلاء ، وما هو من أصوات العرب وما ليس فيها ، والصامت والحركة ، والتسمية بالتقليد الصوتي . ووظيفة الصوت في بنية الكلمة ، وعلاقة الأصوات بالمعانى . وإن كان في استخدام المصطلحات قد تبع السابقين في ذلك . أما عن وصف الأصوات العربية عند العوتبي ، وما يقابلها في الوصف الحديث فيمكن أن يوضحه الجدول التالي[2] :

الصوت	في معجم الابانة			في الوصف اللغوي الحديث		
الالف	حرف لين	هوائي - شديد	مجهور منفتح	حنجري	انفجاري	(لا بالمجهور ولا بالمهموس
الباء	شفهي	شديد	مجهور منفتح	شفوي	انفجاري	مجهور مرقق
التاء	نطعي	شديد	مهموس منفتح	اسناني لثوي	انفجاري	مهموس مرقق
الثاء	لثوي	رخو	مهموس منفتح	مما بين الاسنان	احتكاكي	مهموس مرقق
الجيم	شجري	شديد	مجهور منفتح	لثوى حنكي	مركب	مجهور مرقق
الحاء	حلقي	رخو	مهموس منفتح	حلقي	احتكاكي	مهموس مرقق
الخاء	حلقي	رخو	مهموس منفتح	اقصي الحنك	احتكاكي	مهموس مرقق
الدال	نطعي	شديد	مجهور منفتح	أسناني لثوي	انفجاري	مجهور مرقق
الذال	لثوي	رخو	مجهور منفتح	مما بين الأسنان	احتكاكي	مجهور مرقق
الراء	ذلقي	تكرار منحرف مكرر	مجهور منفتح	لثوي	تكراري	مجهور مرقق
الزاى	أسلي	رخو	مجهور منفتح	لثوي	احتكاكي	مجهور مرقق
السين	أسلي	رخو	مهموس منفتح	لثوي	احتكاكي	مهموس مرقق
الشين	شجري	رخو	مهموس منفتح	لثوي حنكي	احتكاكى	مهموس مرقق
الصاد	أسلي	رخو	مجهور مطبق	لثوي	احتكاكي	مهموس مفخم
الضاد	شجري	رخو	مهموس مطبق	أسناني لثوي	انفجاري	مجهور مفخم
الطاء	نطعي	شديد	مجهور مطبق	أسناني لثوي	انفجاري	مهموس مفخم
الظاء	لثوي	رخو	مجهور مطبق	مما بين الأسنان	احتكاكي	مجهور مفخم
العين	حلقي	رخو	مجهور منفتح	حلقي	احتكاكي	مهموس مرقق

(١) المعجم العربي . رياض زكي قاسم ص ٢٤٢ .

(٢) انظر : مقدمة معجم «الإبانة» ص ٣٦ وما بعدها ، وانظر : بداية كل حرف من حروفه وقد كان متأثرًا بما قاله الخليل بن أحمد في مقدمة كتابه «العين» . من ناحية تسمية المخارج وتوزيع أصوات اللغة على هذه المخارج . وهي إلهوائية (الواو والياء . الألف اللينة والهمزة) والحلقية (ع.ح.غ.خ) واللهوية (ق ك) والشجرية (ج.ش.ض) والأسلية (ص.س.ز) والنطعية (ط.د.ت) واللثوية (ظ.ذ.ث) والذلقية (ر.ل.ن) والشفوية (ف.ب.م) . انظر : العين . الخليل بن أحمد . تحقيق عبد الله درويش . مطبعة العاني . بغداد : ٦٤-٦٥ .

الصوت	في معجم الابانة			في الوصف اللغوي الحديث		
الغين	حلقي	رخو	مجهور منفتح	أقصي الحنك	احتكاكي	مجهور مرقق
الفاء	شفوي	رخو	مهموس منفتح	أسناني شفوي	احتكاكي	مهموس مرقق
القاف	لهوي	شديد	مجهور منفتح	لهوي	انفجاري	مهموس مرقق
الكاف	لهوي	شديد	مهموس منفتح	حنكي قصي	انفجاري	مهموس مرقق
اللام	ذلقي	متوسط	مجهور منفتح	أسناني لثوي		مجهور مرقق
الميم	شفوي	متوسط	مجهور منفتح	شفوي - أنفي		مجهور مرقق
النون	ذلقي	متوسط	مجهور منفتح	أسناني لثوي أنفي جانبي		مجهور مرقق
الهاء	حلقي	رخو	مهموس منفتح	حنجري	احتكاكي	مهموس مرقق
الواو	هوائي		مجهور منفتح	خلفية ضيقة	مجهورة	
الألف	هوائي		مجهور منفتح	متسعة	مجهورة	
الياء	شجري		مجهور منفتح	إمامية حنيفة	مجهورة	

مما سبق يتضح ما يلي :

١ - أن هناك اتفاقًا في استخدام بعض المصطلحات بين الاستخدام القديم والاستخدام الحديث كما في مصطلحات المخارج . شفهي : ب ، وحلقي : ع ، ح ، ولهوي : ق ، والمجهور والمهموس .

٢ - ان هناك اختلافًا في استخدام بعض المصطلحات الدالة على المخرج ، وعلى حالة مرور الهواء ، ووضع غرفة الرنين في مؤخر اللسان ، الحنك وجاءت هذه الاختلافات على النحو التالي :

في القديم	في الحديث	الاصوات
نَطْعِي	أسناني الثوي	ت.د.ط
لثوي	مما بين الأسنان	ث.ذ.ظ
شجري	لثوي حنكي	ج.ش
	أسناني لثوي	ض
ذلقي	لثوي	ر
أسلي	لثوي	ز.س.ص
شفوي	أسناني	ف
حلقي	أقصي الحنك	غ.خ

فهذا الجدول يعبر عن المخرج باسمين مختلفين في القديم والحديث : كاللثوي الذي يعبر عنه بالذلقي . فى الراء ، والأسْلى فى الزاي ، والسين، والصاد .

ويشير المصطلح القديم الواحد إلى مصطلحين حديثين كما في «الشجري» الذي يشير إلى «اللثوي الحنكي» في الجيم والشين ، و «الأسناني اللثوي» في الضاد ، ويستخدم مصطلحٌ قديم مختلف ليشير إلى نفس المخرج وهو مصطلح النطعي الذي يشير إلى الأسناني اللثوي في التاء والدال والطاء .

أما في المصطلحات الدالة على طريقة مرور الهواء فهناك :

الأصوات الشديدة ، وهي التي يشار إليها في الحديث بالانفجارية ، حيث يحْبس الهواء الخارج من الرئتين حبسًا تامًا في منطقة المخرج ، ثم يفتح فتحًا فجائيًا ، فيخرج الهواء محدثًا فرقعة كما في الباء ، والتاء ، والدال والطاء ، والقاف .

والأصوات الرخوة . وهي التي يشار إليها في الحديث بالاحتكاكية حيث يتم تضييق مجرى الهواء في منطقة المخرج ، ويسمح للهواء الخارج من الرئتين بالمرور من هذا المخرج الضيق ، فيندفع الهواء محدثًا احتكاكًا بسقف الحنك واللسان ، وهذا ما يحدث في أصوات مثل الثاء ، والحاء ، والخاء ، والذال ، والزاي ، والسين والشين ، والصاد والظاء والعين والغين والفاء ... .

أما في المصطلحات الدالة على وضع غرفة الرنين في مؤخر اللسان والحنك ، فهناك الإطباق ، ويقابل في الحديث «التفخيم» ، حيث تتكون غرفة الرنين مع الصوت المعين ، فيكون مفخماً كما في : الصاد ، والضاد والطاء ، والظاء.

والانفتاح ، ويقابل في الحديث «الترقيق» حيث لا تتكون غرفة الرنين هذه فيخرج الصوت مرققاً كما في الباء ، والتاء ، والثاء ، والجيم ، والحاء ، والخاء ... إلخ .

ويقول الشيخ معللاً تسمية الحروف المطبقة ، والحروف المنفتحة «وسميت مطبقة لأن اللسان ينطبق عليها» ، والحروف المنفتحة هي «كل ما كان غير منطبق من الحروف»[1] .

٣ – أن هناك في القديم اعتمادًا في التسمية على عضو واحد ، في حين أنها في الحديث تعتمد على عضوين كما في «الشفوي» الذي يقابل في الحديث «الأسنانى الشفوي» في وصف صوت الفاء .

---

(١) الإبانة : ١/٥٢ .

٤ – أن هناك اختلافًا في وصف بعض الحروف على النحو التالي :

الصوت	في القديم	في الحديث
الجيم	شجري شديد مجهور منفتح	لثوي حنكي مركب مجهور مرفق
الضاد	شجري رخو مهموس مطبق	أسنانى لثوي انفجاري مجهور مفخم
الكاف	نطعي شديد مجهور مطبق	أسنانى لثوي انفجاري مهموس مفخم
القاف	لهوي شديد مجهور منفتح	لهوي انفجاري مهموس مرفق

فوصف الجيم الفصحى بأنه شديد يختلف عنه عند قراء القرآن الكريم حيث يتركب من الانفجار والاحتكاك .

ووصف الضاد بأنه رخو مهموس يختلف عن الوصف الحديث حيث تكون شديدة مجهورة ، ووصف الطاء والقاف بأنهما مجهورتان ، وهما فى الوصف الحديث مهموستان

هذا ربما يكون ناتجًا عن الملاحظة الذاتية التى اعتمد عليها القدماء فى وصف الأصوات أو ربما كانوا ينطقون هذه الأصوات بطريقة تختلف عما ننطقها به الآن ، وحدث تطور كان من نتائجه هذا الاختلاف فى الوصف[1] .

ويحصر الشيخ أصوات العربية ، وما يتولد عنها من مستحسن الأصوات ومستقبحها يقول «والكلام كله أجمع من تسعة وعشرين حرفاً مع الهمزة ، غير أن الهمزة لا تقع في الكتاب ، وهي حرف كسائر الحروف . ويتولد من هذه الحروف ستة أحرف وهي من كلام العرب وغيرهم، وهذه الستة الأحرف هي:

الهمزة التي بين بين ، وذلك أنها ليست بهمزة مخففة ، ولا ألف ساكنة .

ألف الإمالة: نحو قولك : بُشْرَى وسلمى ، فهذه ألف ممالة ، وإمالتها أنهم فتحوها نحو الياء ، وليست بياء .

ألف التفخيم: نجو ألف الصلاة ، يكتبها أهل الحجاز بالواو ، وإنما هي الصلاة إلا أنها فخمت وكتبت واوًا .

---

(١) انظر : الأصوات اللغوية د. كمال بشر . مكتبة الشباب . القاهرة د.ت ص ١٠٢ – ١٠٨ ، ١٠٩–١١١ ، ١٢٥–١٢٩ .

النون الخفيفة : التي في عنك ومنك .

والشين التي كالجيم : نحو أشدق في العظيم الشدق ،فلا هي شين ولا جيم .

والصاد التي كالزاي : نحو مصدر فلا هي صاد صحيحة ، ولا زاي خالصة ، ولكن بينهما فذلك خمسة وثلاثون حرفًا.

ثم تصير اثنين وأربعين حرفاً مع سبعة أحرف ليست من كلام العرب ، ولكنها من كلام الفرس والنبط ، وبعض أهل اليمن وغيرهم وهي :

الجيم : بين الكاف والجيم ، نحو قول بعض أهل اليمن في الشرج الشرك وفي لجام لكام ، فلا هي جيم صحيحة ولا كاف .

الضاد الضعيفة : كقول أهل عمان ضربنى ، فلا هي صاد ولا ضاد ولكن بينهما .

الصاد التى كالسين نحو : كلام أهل بغداد سدق . يريدون صدق .

الطاء التى كالتاء نحو: كلام النبط يقولون عن علي بن أبي تالب ، يريدون: طالب فيجعلون الطاء تاء .

الظاء التى كالطاء : يقولون طلمنى ، يريدون . ظلمنى ، يجعلون الظاء طاءً .

الجيم التى كالشين : يقولون : قوم شعفر ، يريدون جعفر .

الباء التى كالفاء : يقول بعضهم فابهم يريدون بابهم فيجعلها بين الفاء والباء[1] .

فكل حرف من حروف اللغة يتضمن مجموعة من الخصائص المميزة التي تفرده عن غيره من الحروف الأخرى ، ويورد الشيخ على لسان ابن شبيب «الذي فصل بين الحروف التي يتألف منها الكلام سبعة أشياء هي : الهمس والشدة ، والإرخاء والإطباق ، والجهر والمدّ ، اللين ، ويعلل لهذه الخصائص بقوله : « لأنك إذا فعلت هذا اختلفت الحروف ، واختلف الصوت . ولو كانت مخارج الحروف واحدة لكانت بمنزلة أصوات البهائم ، ولم يفهم بها الكلام»[2] فكل صوت له مخرج محدد ، وطريقه في مرور الهواء ووضع للأوتار الصوتية بين الاهتزاز وعدمه ، ووضع لغرفة الرنين في مؤخر اللسان والحنك ، من حيث التكون أو عدم التكون ، ولا يتفق صوتان اتفاقًا تامًا في كل هذه الخصائص ، إذ لابد أن يختلف الصوت عن الأصوات الأخرى ؛ إما في المخرج كما في الدال (الأسناني اللثوي) أو الباء (الشفوي). أو طريقة مرور الهواء كما في : الضاد (الانفجاري) والصاد (الاحتكاكي)

---

(١) انظر : معجم الإبانة : ١/٣٦-٣٧ .

(٢) السابق : ١/٥٣ . فالبهائم تصدر صامتًا واحدًا متبوعًا بحركة طويلة وتغلقه الهمزة مثل «ماء . باء وهي من المقطع المديد (ص.ح.ح.ص) .

أو في وضع الأوتار الصوتية كما في الزاي (المجهور) والصاد (المهموس) أو في تكوين غرفة الرنين كما في الظاء (المفَخّم) والذال (المرقق) .

ثم يتطرق إلى قضية التشكيل الصوتي ، فالأصوات لا تستخدم مفردة ، بل تتضام فيما بينهـا لتشكل المقـاطع ، وتتضـام المقـاطـع لتشكل الكلمات التي هي مجال اهتمام مجال الصرف. وعن العلاقة بين الصـامت والحركة يقول الشيخ: «والكلام كلـه بالعربي وغيره ، ألف من أربعـة أشيـاء : الحرف المتحـرك . والحرف السـاكن ، والحركـة ، والسكـون ، والحرف المتحرك أكثر من الساكن ، لأن الحرف المتحرك هو حرف وحركة ، والساكن إنما هو حرف فقط ، والحركـة أكثر من السكون ، لأن الحركة تـرجيع ، والساكن ميت»[1] ويقـول : «والحرف قبل الحركـة . لأنك تجد الحرف ولا حـركـة ، ولا تجد الحركـة إلا في حـرف . والحركـة أيضًـا حـرف إلا أنها أقل مـن الحرف ، لأن الحرف مستقل بنفسـه ، والحركـة لا تقوم بـذاتها حتى تكـون مع الحرف ، والحركـة هي التي تبين الحرف، وهي التي قشعت الحرف بذلك ..»[2] فهو بذلك يتابع فكر اللغويين العرب كالخليل ، وسيبويه ، وابن جني في إدراك الـدور الـذي تقوم بـه الحركـات القصيرة فهي تبين الصوت وتجعلـه مُرَجّعًا ، فهي تحرك الحرف وتقلقله ، أو تجذبه نحو الحروف التي هي أجزاؤها . فالفتحة تجذبه نحو الألف ، والكسرة نحو الياء ، والضمة نحو الواو[3] .

ورغم أنهم اهتموا بـوصف الحروف والحركات الطويلـة وأوجدوا لها رمزًا كتـابيًا فإن اهتمامهم هذا لم يمتد ليشمل الحركات القصيرة .

ولا يفوته أن يعرض لبعض أمراض الكلام الصوتية مثل[4] :

الرُتَه : عجلة من الكلام

والتمتمة : أن ترى اللسان يخطىء موضع الحرف ، فيرجع إلى لفظ كأنه الباء أو الميم

والثأثأة : التردد في الثاء

والفأفأة : التردد في الفاء

والعُقْلة : إلتواء اللسان عند إرادة الكلام

الحُبْسة : تعذر الكلام عند إرادته

---

(١) الإبانة : ٥٣/١ .
(٢) السابق : نفس الصفحة .
(٣) انظر : كتاب العين . الخليل بن أحمد ص ٦٤/١ ، ٦٥ .
(٤) انظر : الإبانة : ٢٦/١-٢٨ .

والقفل : إدخال حرف في حرف

والغمغمة : أن تسمع الصوت ولا يتبين لك الكلام

والطمطمة : أن يكون الكلام مستعينًا بكلام العجم

اللُّكنة : أن يتعرض عن الكلام باللغة الأعجمية

واللُّثغة : أن تعدل بحرف إلى حرف

والغُنَّة : أن يشوب الحرف صوت بالخيشوم

والخُنَّة : أشد منها

والترخيم : حذف الكلام

واللَّفف : ثقل في الكلام

والعُجْمة : تكون في الأعجمي ، وهو عند العرب الذي في لسانه عجمة

ويعرض الشيخ لكثير من القضايا الصوتية عند معالجته للمادة المعجمية[1] ، ويمكن أن نستشهد بهذا المثال الذي يدور حول قلب السين صادًا يقول في مادة س.ل.ق.[2] . «سلقه بلسانه أي اسمعه ما يكره ، ولسان مسلق وحديد مسلق . منه : ﴿سلقوكم بألسنة حداد﴾[3] أي أذوكم بالكلام ، وصلقوكم : لغة فيه ، ولا يقرأ بها ، وأصل الصَّلْق : الصوتّ . قالّ لبيد :

فَصَلَقْنَا في مُرادٍ صلقةً وصداء ألحقتهم بالثلل[4] .

صلقنا من الصوت ، يقال سمعت صلقة القوم ، أي صوتهم .....» .

والكتاب غني بالإشارات الصوتية سواء في مقدمته اللغوية أو في مادته المعجمية .

---

(١) انظر الإبانة ٢/ ١٣١، ٢٨٤، ٢٨٥ كإشباع الحرف ، والإبدال الصوتي (معهم : محهم) (وأن وعن) .

(٢) السابق : ٢/ ١٣٤-١٣٥ .

(٣) الأحزاب : ١٩ .

(٤) ديوان لبيد . دار صادر بيروت ١٤٦ . وصلقنا : صحنا ، والثل : الهلاك .

٣ – ٣ – الصرف :

إن معالجة الصيغة صرفيا جزء أساسي من عمل المعجم ، فكما يضبط الصيغة ليوضح كيف تنطق فهو كذلك يعالجها من ناحية الوزن ، والاشتقاق ، والنحت ، وما يطرأ عليها من ظواهر صرفية معينة كالجمع بين ساكنين ، والإعلال والإبدال والترخيم والإدغام ، والنقل والعدل . والحكم على الصيغة بأنها من كلام العرب أو ليست من كلام العرب. ومعجم الإبانة غنى من هذه الجهة ، فقد عرض لهذه المسائل فى المقدمة ، وعرض لها كذلك أثناء معالجته للمادة المعجمية ، وهاك حديثا موجزاً عن كل نقطة من هذه النقاط :

١– الأوزان :

يقول الشيخ محدداً أوزان الكلمات في العربية وأشكالها : « وكلام العرب مبني على أربعة أصناف ، الثنائي ، والثلاثي ، والرباعي ، والخماسي . فالثنائي منه مايكون على حرفين نحو : قد ، وهل ، وبل ونحوه . والثلاثي نحو : ضرب وخرج ودخل . والرباعي نحو : دَحْرَجَ ، وقَرْطَسَ ، وهمْلَجَ ، وعَقْرَب ، وقَرْعَب ، وما أشبهه . والخماسي : اشْحَنْلَلَ ، واقشَعَرّ ، واسخَنْفَر ، وسَفَرْجَل ، وشَمَرْدل وكَنَهْبل»[١] . فالكلمة العربية لا تخرج عن وزن من هذه الأوزان فهي إما ثنائية ، أو ثلاثية . فَعَل ، أو رباعية : فعلل ، أو خماسية : افعنلل ، وافعللّ ، وفعلّل ، وفَعْلُول ، وفَنَعْلَلْ . وهذه أوزان ذكرها الشيخ على سبيل التمثيل . فيقول أيضاً : «وليس للعرب بناء في الأسماء ، ولافي الأفعال أكبر من خمسة أحرف ، فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في اسم أو فعل ، فاعلم أنها زيادة على البناء ، وأنها ليست من أصل الكلمة مثل : قُرَعْمِلاَنة ، إنها أصل بنائها قُرْعمل وهي دويبة ، ومثل عنكبوت ، وإنما هي من عَنْكب والاَسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف : حرف يُبْتَدأ به ، وحرف تحشي به الكلمة ، وحرف يوقف عليه مثل : سعد وعمرو ونحوهما من الأسماء[٢] . فالكلمة لاتقل عن حرفين في الأدوات ، ولا تقل عن ثلاثة في الأسماء والأفعال . ولا تزيد عن خمسة في الأدوات أو الأسماء أو الأفعال .

وفي إطار هذه الأوزان المحددة الصارمة في اللغة تكون الصيغ الصرفية حيث تملك العربية من الحروف اثنين وأربعين حرفاً « فكل كلام الناس لا يخلو من هذه الحروف أو من بعضها ، والذى كثرّ الكلام منه حتى لا نهاية له .. أن تقدم الحروف وتؤخرها ، وتزيد وتنقص ، وتسكّن وتحرك ، وتكسر وتفتح ، وتكرر الحرف .. وتثقله وتخففه ..»[٣] وهو هنا يشير إلى قواعد الاشتقاق حيث يعتمد على :

---

(١) الإبانة ١/٣٨ .
(٢) الإبانة : ١/٣٨ .
(٣) السابق ١/٣٧-٣٨ .

الحـــــــذر : وهو ما يتألف من الصوامت .

الحركـــات : القصيرة (وهي الفتحة والكسرة والضمـة) والطويلة (وهي الألف والياء والواو) .

أحرف الزيادة : وهـــي المحصورة فـــي اللغة العربية في أحـرف : سألتمونيها .

ويمكـن التمثيل علـى ذلك بالمادة : خ. ل. د. حيث نقـول خَلُدَ ، وتقـول : خُلْد . فالأولى فعل مـاض ، والثانيـة مصدر لهذا الفعـل . والذي فـرق بينهما هو الحركـات ، ويمكن أن نستعين كـذلك بالحركـات الطويلـة فنقول : خـالـد ، ونقول : خلـود ، فالأولى اسم فـاعل والثانية : مصدر .

ولا يقتصر الأمر على هذا الحد بل نلجأ إلى التقليبات فنشتق من هذه الصيغ التالية :

خ. ل. د – خ د ل / ل خ د – ل د خ / د خ ل – د ل خ / ونستخدم منهـا ما نحن في حاجة إليـه ، ويبقي ما لم يستخدم رصيدًا تلجأ إليه اللغة وقت الحاجـة . فكل جـــذر من هذه الجذور يصبح مادة تشتق منها الأفعال ، والأسماء ، والأوزان المختلفة .

٢- الاشتقاق :

ويشير الشيخ إلى اشتقـاق المصدر من الفعل الثـلاثى ، وغير الثلاثى يقـول: « واعلم أن المصـادر[١] تختلف ولا تجيء على قياس واحد نقـول ضرَبَ ضرْبًا : فَعْلاً . وتقول : ضرب الفحلُ الناقةَ ضرابًا ، فجاء على فعَال ... ولا يختلف[٢] منها ما كان على أربعة أحرف نحو : أخبر إخباراً ، وأرسل إرسالا . وَمـا كان على فعلل : فإن مصدره : فعللة يقـولون : دحرج دحرجة ، وجلجل جلجلة ... وما كـان على انفعل فمصدره : انفعال كما في : انكسر انكسارًا وانحدر انحدارًا ، وماكان على فَاعَلَ فمصدره فعَال ومفاعلة نحو : قاتل . قتالا ومقاتلة»[٣] . ويمضى الشيخ في سرد الأوزان الصرفية للأفعَال وأوزان مصادرها .

وكما يكـون الاشتقاق من الجذر يكـون أيضـا من الاسم ، أو الصفة ، أو اللـــون ، أو الفـــعل ، ويمثـــل الشيـــخ لذلك بتسميـة الإنسان « إنسانا لنسيانه ﴿ولقد عهدنا إلى آدمَ مـن قبـــل فَنَسِيَ﴾[٤] وقيل سمّي إنسانـاً لأنسه ، كما سمّي القلـب قلبـاً لتقلبه ، وسميت قريش قريشا ، لأنهم كانوا أصحاب تجارة ، ويقـال : قَرش الرجل شيئاً يَقْرشه إذا كسبه وأخذه ، وتقرّش فلان مالاً إذا أخـــذه أولاً فأول . ويقال : اقترشت الرماح اقتراشاً إذا وقع

---

(١) « من الثلاثى » عبارة غير واردة فى النص.
(٢) مصدر الأفعال .
(٣) الإبانة ١/٤٨ – ٤٩ .
(٤) طه / ١١٥ .

بعضها على بعض . وقروش : أسم رجل مشتق من قريش » [١] .

٣- النحت :

وقد يكون الاشتقاق من أكثر من كلمة وهو ما يسمى بالنحت ، « فالعرب قد تأخذ الحرف من الكلمة فتجمعه إلى حرف آخر من كلمة أخرى فتجمعها كلمة تامة »[٢] كما في : حيعل ، وسَبْحَل ، وهيلل ، وحمدل ، وحوقل ، وجعفل ، وتبهيم « إذا أتى بفعل البهيمة » ، وتمهجر « إذا نسب إلى المهاجرين ، واستنوق « صار الجمل ناقة » ، وتمذهب : « اعتقد ذلك المذهب » ... الخ من الأمثلة[٣] .

٤- ما يطرأ على الصيغة :

أما صيغة الكلمة ، وما يطرأ عليها من مشكلات فنذكر منها مايلي :

أ- الجمع بين ساكنين بين المنع والجواز :

يشير الشيخ إلى أن الجمع بين الساكنين يمتنع في مواضع ، ويجوز في مواضع أخرى . فيمتنع الجمع في بنية الكلمة ، ويجوز ذلك في الوقف ، أو إذا كان الساكن الأول واوًا ساكنة أو ياءً ساكنة ، أو ألفا ساكنة يقول الشيخ « واعلم أنه لا يوصل في الكلام إلى أن يجمع بين حرفين ساكنين البتة.. » . « ويجوز أن تجمع بين الساكنين في الوقف ، لأن الساكن الأول أصله السكون ، والثاني إنما يسكن بسكونك عليه وذلك نحو قولك : زَيْد .... ويجتمع ساكنان في الكلام إذا كان الساكن الأول واوا ساكنة أو ياء ساكنة أو ألفاً ساكنة ، وما كان الساكن اليائي حرفاً مدغماً نحو قولك ماء حارٌ ... »[٤] ويعلل الشيخ لعدم اجتماع حرفين ساكنين ، أو لعدم البدء بساكن في حديث مسهب طويل[٥] .

ب- الإبدال :

وهو قلب صامت إلى صامت آخر لقرابة بينهما في المخرج كما في مدحته ومدهته . وهتنت وهتلت ، والكتل والكتن ، وسجيل وسجين ، وطامة وطانّة ... إلى آخره من الأمثلة التى ذكرها الشيخ[٦] فيتم القلب بين الهاء والحاء (هام - حام) والهاء والعين والهاء والهمزة (هراق . أراق) .

والنون واللام (سجيل - سجين) والنون والميم (ابن وابم) .

---

(١) الإبانة ١/١٠٧ - ١٠٨ .
(٢) السابق ١/١٦١ .
(٣) انظر السابق ١/١٦١ - ١٦٣ .
(٤) الإبانة ١/٥٣ - ٥٤ .
(٥) انظر السابق ص ١/٥٤ .
(٦) انظر ص ١/١٢٣ - ١٢٥ .

والباء والفاء (فناء – بناء) والفاء والثاء (المعافير – المعاثير) .

والتاء والدال (هرت – هرد) .

الذال والثاء (جذوت وجثوت) .

والصاد الزاي (الصراط والزراط) ، والصاد والسين (الصقب والسقب)

الضاد والدال (نبض – نبد) .

والياء والسين (السادس – السادي) والياء والجيم (علىّ – علجّ)

والقاف والكاف (القهر – الكهر)

هذه هي صور الإبدال كما تعرضها أمثلة الشيخ[1] .

جـ– القلب :

وقلب الحروف هو تقديم بعضها على بعض كما في : دَقَمَ فَاه ودمقه ، وطمس الطريق وطَسَم ، وقاع الفحل على الناقة وقَعَا ، واضمحل الشيء وامضحلّ ، وصعق الرجل وصقع ... الخ من الأمثلة[2] . ويدخل هذا في باب التقليب عند الخليل بن أحمد .

د – النقل أو الإعلال :

وهو ما يطرأ على أحرف العلة في بنية الكلمة من تغير ، فهو كما يقول الشيخ « ما نُقل من الكلام عن أصله ، وأكثر ما يكون في المعتل »[3] ويمثل الشيخ لهذه الظاهرة بالكثير من الأمثلة ، ونأخذ منها اسم الله– سبحانه وتعالى – القيوم ، يقول : « وأصل القيّوم : القَيْووم . فلما اجتمعت الياء والواو ، والسابق[4] ساكن ، جعلتا ياءً مشدّدة ... وأما القَيّام فأصله : القيوام ، فلما اجتمعت الياء والواو والسابق ساكن ، جعلتا ياء مشددة . وأما القيّم فأصله القَيْوُم ، فلما اجتمعت الياء والواو ، والسابق ساكن ، أبدلوا من الواو ياءً، وأدغموا فيها الياء التي قبلها مضارعاً ياءً مشدّدة»[5] . فهذا تحليل لأصل الصيغة ، وما تطورت إليه . ويذكر لذلك أمثلة كثيرة منها . الإله ، والحي ، والمهيمن، والإنسان، والديار، وجهنم ، واللهم ، وخاف ، ونام ، والكساء ، والعطاء، ويعد وميعاد ، وميراث وميقات ، وميزان ، وموازين ، ومواقيت ، ومواريث ، والأيام ، وأحد ، وامرأة ..... إلخ[6] .

---

(١) تناولت كتب الصرف القديمة هذه الظاهرة تحت عنوان الإبدال ، وتناولتها كذلك كتب معاني القرآن ، ويمكن أن نستشهد بكتاب معاني القرآن للفراء (ت ٢٠٧هـ) تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخرين . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م ١/٤١ . ٢/١١٦ ، ٣٨٤ على سبيل التمثيل .

(٢) انظر الإبانة ١/١٢٢ – ١٢٣ .

(٣) الإبانة ١/١٢٧ .

(٤) وهو الياء أي المتقدم من حرفي العلة المذكورين وينسحب هذا على « السابق » التي ترد في النص .

(٥) الإبانة ١/١٢٧ .

(٦) انظر الإبانة ص ١/١٢٧ – ١٣٣ .

هـ- العدل :

والعدل مصطلح صرفي يصف حالة تحولت فيها صيغة الكلمة من وزن معين إلى وزن آخر ، كما في عُمر التي هي على وزن فُعَل ، فهي معدولة عن عامر على وزن فاعل ويذكر الشيخ أمثلة لهذا المعدول في أسماء النساء رَقاش ، وغَلاب ، وحَذَام ، وقَطَام ، ولكاع ، وفَسَاق ، فهذه الأسماء معدولة عن فاعلة فحَذَام معدولة عن حاذمة ، ورَقَاش عن راقشة ، وقَطَام معدولة عن فاطمة ، وغَلاَب عن غالبة ، وفَسَاق عن فاسقة . وأهل الحجاز وناس من بني تميم يكسرون ذلك بغير تنوين على حال فيقولون : هذه حذامِ ورأيت حذامِ ، ومررت بحذامِ ، وإنما كسروه لأنه معدول .. وما كان من هذا في الفعل أو في الصفات فهو مكسور في اللغات كلها لا يختلف فيه ، وقولك للرجل : تراكِ ونزالِ تعني : اترك وانزل ويذكر أقسام المعدول وهي :

ما عدل عن اسم : حذام وقطام .

أن يكون نعتا غالباً نحو قولهم للمرأة يا فُسَاق ، ويا خُبَاث ، ويا لُكاع ، ويا فُجَار . وهو ذَمٌ .

ما يكون معدولا عن مصدر مؤنث نحو : والخيل تعدو بالصعيد نُدَاد .

ما يكون في موضع أمر نحو : حَذَارِ وقناعِ[1] .

و- الإدغام :

والإدغام هو «أن يدخل حرف في حرف حتى يصير مثل المدغم كقوله عزَ وجل ﴿بل رَان على قُلُوبهم﴾ [2] صارت اللام راء حين أدغمت في الراء » [3] .

- يجوز إدغام الحرفين المثلين - إذا كانا في كلمتين وتحرك الأول ، وترك الإدغام أحسن . كما في قوله تعالى ﴿ الذي جعل لكم ﴾ [4] .

- الألف لا تدغم في شيء ، ولا يُدْغم فيها « لأنها حرف ميت » .

- الياء لا تدغم في ألف ولا تدغم ألف فيها .

- السين لا تُدغم فيما قرب منها . لأن فيها تفشيا فلو أدغمت ذهب الحرف وذهب تفشيه .

---

(١) انظر الإبانة ١/١٤٩ - ١٥٠ .
(٢) المطففين /١٤ .
(٣) الإبانة ١/١١١ .
(٤) غافر / ٦٤ .

- ولا تدغم السين في الجيم .
- ولا تدغم الراء فيما قرب منها . ولا تدغم في اللام كما أدغمت اللام في الراء .
- والنون تدغم في الميم نحو : عَمَّن ، يريد : عن . مَنْ .
- ولا تدغم الميم في النون فتقول قم نذهب .
- والنون تدغم في اللام .
- وحروف الفَمّ أقوى على الإدغام من حروف الشفتين كما في : « من الخير والشرِّ » .
- ومن الحروف مالم تدغم فيما قرب منها ، فالهمزة لا تدغم في شيء ، ولا يدغم فيها شيء[1] .

ويشير الشيخ إلى كثير من القضايا كقضية الوقف في القراءات على الحروف ، وإدغام لام هل في تاء الفعل التالي لها . هل تعلم ، واللام في اللام بعد حذف الهمزة : وأنزل إليك . انزليْك . ويختم حديثه في ذلك بقوله : « وللإدغام شرح طويل فاختصرتُه » [2] .

ز- النقص والزيادة في الصيغة :

فالنقص هو : « ذهاب بعض الكلمة »[3] كما في « ق » : لتدل على قفي ، « ويا » لتعني هيا . ويمكن أن ينطبق ذلك على الترخيم في اللغة لأنه « قطع للحرف .... فهو حذف آخر حرف من الاسم »[4] كما في : « بُثَيْنْ » ترخيم بثينة ، وعزٌّ ترخيم عزَة . و « حارِ » ، و «عامِ» ، و «مالِ» ترخيم : حارث ، وعامر ، ومالك .

والزيادة هي : زيادة حرف على أصول الكلمة ، ويضرب لذلك مثالاً هو زيادة الواو . يقول الشيخ : « والواو تزاد في نحو : قسور لأنه من : قَسرَت ، ويذكر الشيخ المواضع التي تزاد فيها الواو فهي « لاتزاد أبدًا أولا ، وتزاد ثانية في : حوقل ، وجوهر ، وكوكب ، لأنه فوعل ، فالفاء والعين من الأصل ، والواو زائدة ، وتزاد ثالثة في قَسْوَر ، وَجَهْوَر لأنه من قسر وجهر . وتزاد رابعة في مفعول نحو : مفقود ، وفي مغلول نحو : جمهور فهي زائدة[5] .

٥- الدخيل :

مما لاشك فيه أن اللغة العربية قد دخلها ، ويدخلها ، وسيدخلها الكثير من الكلمات

---

(١) انظر الإبانة ١/١١١ - ١١٣ .
(٢) انظر الإبانة ١/١١٤ .
(٣) السابق ١/١٦١ .
(٤) السابق ١/١٠٨ .
(٥) السابق ١/١٧٠ .

الأجنبية ، وتعامل هذه الكلمات الأجنبية معاملة الكلمات العربية من ناحية التعريف والتنكير ، والاشتقاق ، وشغل المواقع الإعرابية المختلفة كما في « مونتالأ » فيكون هناك المونتالأ ، ومَنْتَج يُمَنْتِج مَنْتَجَة فهو ممُنْتِج وُمَنْتَجَ ، وكذلك في مونتالأ الفيلم ، والمونتالأ الجيد ، والمونتالأ رائعَ ... إلخ .

وتبقى مشكلة تمييز الكلمة الدخيلة من الكلمات العربية الأصيلة . وما هي الأسس التي نلجأ إليها لإصدار حكم على كلمة ما بأنها دخيلة أو غير دخيلة يقول الشيخ : « فإن وردت عليك كلمة خماسية أو رباعية معراة من حروف الذلق أو من الشفوية ، ليس فيها حرف واحد أو اثنان ، أو فوق ذلك من هذه الحروف ، فاعلم أن تلك الكلمة محدثة ، وليست من كلام العرب »[1] ويستعين الشيخ بقول الخليل « والكلمة المبتدعة التي تكون غير مشفوعة بشيء من هذه الحروف مثل : الخضعثج ، والكَشْعَفج وأشباه ذلك ، فإن جاءت كلمة خماسية ليس فيها حرف أو حرفان من الحروف الذلق ، فاعلم أنها ليست بعربية ، وهي مثل العضائج لأنها ليس فيها من الستة الأحرف شيء »[2] ولعل هذه الإشارة تدل على وعي الشيخ بهذه القضية ، وقد ظهر هذا الوعي كذلك في إطار معالجته للمواد المعجمية التالية[3] في : جهنم، وأخ، وإيل ، وإبراهيم ، والبُدُّ ، وجهنم ، أخ ، وإبراهيم، والبُدّ ، وبغداد ، والحداد ، وشراهيا ، وربانى، ودهل ، والترجمان ، وفرزان والقالب .... الخ .

وكثير من القضايا الصرفية يمكن أن نجدها في كتاب الإبانة سواء في المقدمة أو خلال معالجة المادة المعجمية[4] ويمكن الرجوع إليها في المخطوط ، ونستشهد بهذا المثال من مادة ذ.ر.ر. يقول الشيخ : « والذُرّيّة : النساء في حديث عمر – رحمه الله – وقيل الأولاد وأولادهم ،والذرية : الآباء ، لأن الذرية وقع منهم ، وهو من الأضداد ، والذرية : النسل ، وأصله الهمزة ، فترك لكثرة الاستعمال ، والذرا : واحد . وقال بعض النحويين . تقدير ذرية : فُعْلِيَه ، من الذرّ لأن الله أخرج الخلق من صلب آدم كالذّر ، ﴿ وأشهدَهم على أنفسهم ألستُ بربكم ، قالوا بَلى ﴾[5] . وقال غيره : أصل ذرية : زُرْوُوّة تقديره : فُعْلُوَة ، فلما كثر التضعيف ، أبدلت الواو الآخرة ياء فصارت ذُرْوية ، ثم أدغمت الواو في الياء فصارت ذرّية.

وقيل: ذرّية . فعول من ذرا الله الخلق ، فأبدلت الهمزة ياءً كما في بَنِى .

---

(١) الإبانة ١/٣٨ – ٣٩ . والحروف الذلقية هي « ر ل ن » والحروف الشفهية هي « ب. م. ن » وانظر العين . الخليل بن أحمد .. ص ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) انظر الإبانة ١/ ٣٦٠.

(٣) انظر على التوالي ١/٣٥٥ ، ٣٦٨ ، ٣٨٠ ، ٤٠٣ ، ٤٤٠ ، ٤٧٢ ، ٢/١٥٤ . ٢٩٨ ، ٣٢٤ ، ٣٨٠ ، ٤٣٢ ، ٤٥٤ .

(٤) انظر ٢/١٣١ ، ١٣٣ ، ١٤٧ ، ١٥٤ ، ٢٦٧ ، ٣٩٤ .

(٥) الأعراف / ١٧٢ .

قال ابن الأنباري: ذريّة فيها أوجـه ، أحدها أن يكون من ذرا اللهُ الخلق ، فيكون ذروّة . ترك همزهـا ، وأبدل من الهمـز ياءً فصارت ذُرْوُيَـة ، فلما اجتمعت الياء والـواو والسابق ساكن أبدل من الـواو ياءً ، فأدغم في الياء التي بعدها وكسرت الراء لتصبح اليـاء. والوجه الثاني : أن تكون منسوبة إلى الذّر ، والثالث . أن تكون من ذروت ، فتكون فعولة ، ويكون أصلها ذروة ، فأبدل من الراء التي بعد الـواو ياءً ، وأبدل من الواو ياءً ، وأدغمت في الياء التي بعدها .

ومنهم من يكسر الـذال ، فيقـول الذِّريـة ، وقـرأ زيـد بن ثابت ﴿ذرّيَـة مَنْ حملنـا مـع نوح﴾[1] وقرأ بعضهم : ذَرِيّة بفتح الذال وتخفيف الراء ، فأخرجها مَخرج ألبرِيَة ، ويقال : ذُرِّيّة ، وذِرِّيّة لغتان[2] .

وهذا النص يعتبر خير مثال للمعالجة الصرفية ، من نـاحية ضبط الصيغة، وأصلها وما طرأ عليهـا من إعلال أو إبدال ، مستعينا بأقـوال العلماء ، وكذلك ما جاء فيهـا من قراءات مختلفة .

---

(١) الإسراء /٣ .
(٢) الإبانة ٢/٢١ – ٢٢ .

٣ - ٤ - النحو :

يتناول علم اللغة ، اللغة من خلال مستويات محددة هي : الأصوات ، والصرف ، والتركيب ، والدلالة ، والأسلوب ، والمعجم . ويعتبر العلاقة بين المعجم وعلم اللغة ، أو المعجم وفروع علم اللغة الأخرى كالأصوات ، والصرف والتركيب من الأمور المثيرة للجدل . ولعل مشكلة العلاقة بين النحو والمعجم هي أظهر مثال على هذا الجدل .

فيختلف العلماء فيما بينهم حول العلاقة بين النحو ، والمعجم اختلافاً واضحاً . فمنهم من يرى وثاقة الصلة بينهما كبلومفيلد زعيم المدرسة البنيوية الأمريكية حيث يرى أن المعجم « فهرس للنحو » ، وإذا كان بينهما من فرق فهو فرق قائم على النوع والعضو « فالنحو يقرر الأنواع والأصناف ، ويعتني بالعلاقات القائمة بينهما ، أما المعجم فمسئول عن القضايا المتصلة بالأعضاء التي تنتمي إلى تلك الأنواع »[١] . فالنحو يقسم الكلام إلى أنواع مثل الاسم والفعل والحرف ، ثم يقسم كل نوع إلى أصناف مثل تقسيم الفعل إلى لازم ومتعد ، أما المعجم فيوزع مفردات اللغة على تلك الأنواع والأصناف ، فيقول أن كلمة «ضرب» فعل متعد مثلاً .

فإذا كان النحو يتناول « نظامًا مغلقًا » للاختيار بين مفردات عدة ، فالمعجم يتناول «نظامًا مفتوحًا للاختيار بين مفردات فقط» كما ترى المدرسة اللغوية البريطانية ، فالاختيار المغلق في النحو بين أسماء الإشارة ، وأسماء الموصول ، والضمائر ... الخ . أما الاختيار المفتوح فيكون بين مفردات اللغة المترادفة مثل كرسي ، مقعد ، بكة ، أريكة .... الخ [٢] .

وبناء على ذلك يعتبر أن النحو والمعجم « قسمان مهمان من البنية المعجمية »[٣] يكمل كل منهما الآخر . أما الاتجاه الأخر فيرى أن هناك فروقاً بين النحو والمعجم منها :

١- أن المعجم يهتم بالكلمات فقط ، أما النحو فيهتم بكل شيء آخر .

٢- أن المعجم يهتم بمفردات اللغة ، أما النحو فيهتم بالعلاقات المجردة التي تدخل فيها هذه المفردات .

٣- أن المعجم مختص بالمعنى ، أما النحو فمختص بالشكل .

وهذا الرأي مردود ، فالمعنى اللغوي الكامل لأية عبارة منطوقة يتألف من المعنى

(1) Gleason H. A. J.: "The relation of lexicon and grammar" in Householder and sporta 94. وانظر علم اللغة وصناعة المعجم علي القاسمي ص٥١

(2) Halliday M. A. K. Angus Mc Intosh and Peter strevens "The Linguistic Sciences and language teaching" (Bloomington: Indiana University Press 1965 P.23.

(3) Martin Somuel E. "Selection and presentation of ready equivalents in a translation dictionary" In Householder and sporta. p368.

المعجمي لمفرداتها مضافًا إليه المعني البنيوي ، ويتألف نحو اللغة من المعانى البنيوية . والمعجم والنحو يتناولان مفردات اللغة ، والعلاقات المجردة التي تدخل فيها . والعلاقة بين الشكل والمعنى علاقة لا يمكن فصلها ، فكل منهما يكمل الأخر . وهناك المعنى النحوي والعلاقات المعجمية التي تعين على تقديم المعنى فى أوضح صورة . فنحن « نفضّل الكلمات عندما نكون بفعلنا هذا قد صُنّا من الخلل ، قاعدة نحوية تثبت فائدتها فى مكان آخر فى وصف البنية المعجمية[1] .

ومعاجمنا العربية لا تغفل هذه العلاقة . فهي لا تكتفي بتقديم المعنى المعجمي للكلمة فى المدخل الذى تعالجه ، فهي تشير إلى أن هذه الكلمة اسم أو فعل ، أو حرف ، وتشير إلى حركة عين الفعل ماضيا أو مضارعاً ، بالحركات ، أو بذكر المثيل ، أو بهما معًا ، وأحياناً بتعيين الحركة بالألفاظ ، وتشير إلى المصدر ، والمشتقات ، والجمع ، وجمع الجمع ... إلخ .

ويقنع بجانب من أبواب النحو ، فهو يتعاطى الفعل من حيث اللزوم والتعدى ، لمطاوعة ، ويتناول الجانب النحوى فى الحروف ، ويعرض للتراكيب النحوية كالجملة .سمية ، والجملة الفعلية ، والجملة المنسوخة ، والمكمِلات فى الجملة ، والنواسخ . فالمعجم يستعين ، وينتفع بما تقدمه له الأنظمة اللغوية الثلاثة : النظام الصوتى ، والصرفى ، والنحوى ، وهى النظم المسئولة عن تحديد المعنى الوظيفى »[2] .

ومعجم الإبانة تابع للمعاجم العربية القديمة فى الاستعانة بالجانب النحوى، فقد عرض فى مقدمته النظرية لكثير من موضوعات النحو مثل الإغراء ، والتحذير ، والتوكيد ، والقلب فى الكلام ، والبدل ، والجر ، والنصب على المجاورة ، وزيادة عناصر لغوية فى بنية الجملة ، والتقديم ، والتأخير ، والالتفات ، كمخاطبة الواحد بلفظ الاثنين والاثنين بلفظ الواحد ، والشاهد بلفظ الغائب ، والغائب بلفظ الشاهد ، ودخول بعض حروف الجر على بعض ، واستخدام الفعل لازماً ومتعدياً وغيرها كثير[3] .

ويمكن أن نلاحظ على عرضه للموضوعات النحوية ، أنه لم يكن عرضاً لموضوعات النحو – كما هي فى كتب النحاة – ولكنه كان يعرضها فى إطار المعنى ، فيختار التراكيب التى تدل على المعنى كالتهديد ، والتوكيد ، والتعظيم ، ويمكن أن نستشهد بتراكيب التعظيم التي ذكرها الشيخ، يقول : « قولهم: رجلٌ ما رجلٌ ، ورجل أيّ رجل ، ورجلٌ قدّك به رجلاً ، أى : حسبك به رجلاً ، وقطك به رجلاً ، أى : حسبك به رجلاً ، وقدك وقطك

---

(1) Hill Laymen, "Lexicographers, and Linglistics" Language, 46. 1970. p 250.

(٢) المعجم العربي . رياض زكي قاسم . ص ٢٤٥ .

٢٣) انظر على التوالي : ١/١١١ ، ١١٤ – ١١٥ ، ١١٩ – ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٢٦ – ١٢٧ ، ١٧٠ – ١٧٤ ، ١٧٨ – ١٧٩ ، ١٨٦ – ١٩٤ ، ١٩٨ ، ٢٠٥ – ٢٠٦.

بمعنى واحد . وكذلك قولهم : ناهيك بفلان . أي : أنه غاية يَنْتَهي إليها الفضل . وقال الخليلُ: قولهم : رأيت رجلاً ناهيك من رجل ، ونهاك من رجل . فإن الكاف فى هذا الكلام كاف مخاطبة وتفسيره : قد انتهى الرجل فى كماله إلى الغاية . وقال بنو الشيخ الذي حدثت عنه : نهاك الشيخ مَكْرُمَةً وفخرًا ، ويقال : نهُت بالشيء ، ونوّهت به . إذا رفعتُ بذكره . وكذلك : بخ . بخ هو تعظيم عندهم للشيء ، وإعجاب به ، وهو يُثَقّل ويخفف . بخ بخ بهذا كرماً فوق كَرم ، ومنه قوله ا عز وجل ﴿ القارعة ما القارعة ﴾[1]،﴿ وأصحابُ المَيمنة ما أصحابُ المَيمنة ، وأصحابُ المشأمة ما أصحابُ المشأمة ﴾[2] ،﴿ وأصحابُ اليمين ما أصحابُ اليمين ﴾ [3] ،﴿وأصحابُ الشمال ما أصحابُ الشَمال ﴾[4] أى شأنهم عظيَم . وكل ما فى كتاب ا عزّ – وجل – من نحوَ هذا فمعناه التعظيم ، أى : ما أعظمه . وقولهم أخى ما أخى كقول العرب : زيدٌ ما زيدٌ : أى : عظيم الشأن . كذلك قولهم : صولة هى ما هي ، وحاجة هي ما هي » [5] وقس على ذلك ما قام بمعالجته من موضوعات . وهذا يعتبر منهجاً لايتبع النحو فى التراكيب اللغوية ، بل يتتبع المعنى ، ويجمع المتشابه منها لتقديم إمكانية فى التعبير .

ويمكن أن نذكر أيضا هذا الباب فى التهديد[6] فيذكر من هذه التراكيب التى تفيد التهديد.

عُدْ مرةً أخرى لنرى ما تصير إليه : وهم لا يريدون أن يعود

﴿ اعملوا ماشئتم ﴾[7] ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾[8] .

سأتفرغ لك للنظر فى أمرك . وليس القائل لذلك مشغولاً ، والمعنى فيه التهديد يريد : سأجدُّ فى أمرك والنظر فيه .

والأمثلة على ذلك جد كثيرة متناثرة فى ثنايا المقدمة .

أما المادة المعجمية فلم تغفل الجانب النحوى فى اللغة فقد كان يعرض له كلما كانت هناك ضرورة لذلك[9] . ويمكن أن نستشهد بهذا النص من المادة المعجمية « ح. ى. ث» يقول الشيخ بعد أن يشير إلى : أصل الياء (وهو الواو) ، وأوجه ضبط هذه الصيغة الواردة عن العرب وهى (حَوْثُ أو حَوْثَ ، و حيثُ أو حَيْثَ) نراه يعرض لحكم الاسم الواقع بعدها حيث يكون مرفوعاً ، ولا يفوته حكمها على بعض اللغات مؤيداً ذلك بالأمثلة . يقول الشيخ : « واللغة العليا : حَيْثُ ، برفع الثاء ، وبها جاء القرآن ، وفيها اختلاف . قال بعضٌ : هى مبنية على الضم ، وقال بعضٌ : على الفتح ، وقال بعضٌ : تجرى بالإعراب . وهى أداة للرفع ، ترفع الاسم بعدها . وعن العرب أن اليمن وبنى تميم ينصبون « حيث » فى

---

(١) القارعة /١ . (٢) الواقعة / ٨ ، ٩ . (٣) الواقعة / ٢٧ . (٤) الواقعة / ٤١ .
(٥) الإبانة ١/١٨٤ – ١٨٦ . (٦) السابق ١/٢٥٢ – ٢٥٣ . (٧) فصلت /٤٠ . (٨) الكهف / ٢٩
(٩) انظر على سبيل المثال ١/٤٨٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٥٠١ ، ٥٠٣ ، ٢/١٤٨. ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٨٣، ٢٨٥ ، ٢٨٩ .

موضع نصب ، يقولون : حَيْثَ لقيته ونحو ذلك . وقال ابن الأنباري : أصلها حَوْث فعدلت عن الواو إلى الياء ، وجعلت ضمة الثاء خلفا من الواو ، وهذا قول الكسائى . وقال الفَرّاء : ضمت لتضمنها حالين ، فإذا قلت : عبدُ الله حيثُ زيدٌ ، فمعناه : عبد الله فى مكان فيه زيد ، فلما قامت حيث مقام محلين أُعْطِيَتْ أثقل الحركات وهى الضمة فى كل حال ثم قال : حيثُ ، شبهها بقولهم من قبلُ ومن بعدُ . ومن قال : حيثَ ، شبهها بسوفَ وكيفَ ، ومن قال حَوْث قلب الياء واوًا ، لأن الياء أخت الواو وأجود ، وتقول قعدتُ حيث قعد زيدٌ ، أى فى المكان الذى قعد فيه ، لأن حيث لا يكون إلا موضعاً ، وتقول : حيث تقعد أقعدْ ، المعنى . فى المكان الذى تقعد فيه أقعد ، وهى للفعل ، وذلك أنك إذا قلت : أكون حيث يجلس زيد ، أحسن من قولك : أكون حيث زيد يجلس ، وإنما كان الفعل بعدها أحسنَ ، لأن فيها معنى الجزاء ، والجزاء بالفعل أولى منه بالاسم . ألا ترى أنك تقول : إنْ تَأْتنى آتك ، وإن يأتنى زيدٌ أته ، ويقبح أن تقول : إنْ زيدٌ يأتنى أته »[1] .

والأمثلة على ذلك جد كثيرة متناثرة فى ثنايا المعجم.

---

(١) الإبانة ١/٤٩٦ – ٤٩٧ ، وانظر كذلك ١/٤٩٦ حيث يعالج حَبذاً .

٣ - ٥ - الدلالة :

إذا كان المعجم كتابًا يضم مفردات اللغة ، الموجودة بالفعل[١] ، ويضبطها ، ويقدم المعلومات الصرفية الضرورية حولها . بالإضافة إلى شرح معانيها المعجمية من خلال بنية نحوية تقدم السياق اللغوى الذي ترد فيه الكلمة . فإن شرح المعنى يجب أن يقوم على الأسس التالية :

١ - ضرورة أن تكون لغة الشرح أقل إبهامًا من الكلمة المراد شرحها .

٢ - ضرورة الاعتماد على السياق غير اللغوى في توضيح المعنى . فيعرف مستخدم المعجم من خلال الشرح المعجمي المستوى اللغوي المناسب للسياق المعينَ ، ومتى يجوز استخدام عبارة معينة ، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال فهم معناها ومضامينها الاجتماعية ، وهل هي ودية أو عامية أو قابلة للاستعمال بين الأصدقاء الحميمين ذوي المكانة المتساوية . وما إذا كانت تلك العبارة مهذبة ، ورسمية ، وتصلح للاستعمال في المناسبات التي تتطلب الحشمة أو الاحترام »[٢] .

٣ - ضرورة أن يعتمد المعجم على المصاحبة في شرح المعنى ، المصاحبة هي «صلاحية الكلمة لأن تكون في تركيب مع كلمات معينة » وهذا يؤدى إلى « استخراج النظام اللفظي أو البرد يغمي paradigmatic حتى يمكن لها أن توفر لنا مميزات الحقول الدلالية كلها بغية وصف المعجم ، ومادته وصفاً جديدًا ..وهذه المقاربة لا تستغنى عن المقاربة التوزيعية التي نزودها بالتضمينات الخاصة بالنظام السياقي أو السنتغمي Syntegmatic حتى تكتمل خصائص الحقل ومعجماته[٣] .

وقد أهمل المعجم العربي المعاني السياقية ، والمعاني الاجتماعية المشار إليها ، وأولى اهتمامه بالمعانى المعجمية وذلك لأنه « يتعامل مع الكلمات المكتوبة ، لا المنطوقة . فظهر لنا ما يلي[٤] :

١ - أن تركيز المعجم على المفردات ودوالها يؤدى إلى فصل معنى الكلمة عن معنى

---

(١) هناك من المفردات ما هو موجود بالفعل ، كما يقول الخليل بن أحمد ، أو الجمهرة كما يسميه ابن دريد ، أو المنجز أو المطبق Performance كما يسميه تشومسكي . في مقابل : « الموجود بالقوة » كما يسميه الخليل أو الرصيد اللغوى ، أو القدرة اللغوية Competance كما يسميها تشومسكي . فالأول هو ما يسمى بالمعجم أي ما يجمع الموجود بالفعل ، والثانى هو المخزون الذي يمكن للغة أن تلجأ إليه وقت الحاجة وهو ما أشار إليه الخليل في معجم العين « غير مستعمل » .
انظر : قضايا المعجم العربى قديماً وحديثاً . محمد رشاد الحمزاوى ص ١٥٧ .

(2) Hill , Arcibald A. (ed). Linguistics Today (New York. Basic Books. INC. 1969 P.147.
وانظر : علم اللغة وصناعة المعجم . علي القاسمي. ص ١٣٣ . .

(٣) من قضايا المعجم العربي قديماً وحديثًا . محمد رشاد الحمزاوي . ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(٤) المعجم العربي . رياض زكي قاسم . ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

وجود الكلمة في الجملة أو معنى السياق ، وهو أمر يفقد الكلمة جانبا مهما من معناها وهو المعنى السياقي .

٢ – **أن المعجم في إغفاله جانب الاستخدام للغة يكون قد استبعد من منهجه كليا** جانب التركيز على وسائل الاتصال الأخرى ، كاللغة الجانبية ، ولغة الحركات الجسمية ، وهما عنصران فاعلان في فهم مناخ المعنى العام ومناخ السياق .

ولكن رغم الاهتمام بالمفردات فقط ، وإغفال جانب الاستخدام العملي ، فإن المعاجم العربية قد لجأت إلى وسائل تعوض بها هذا النقص ، كمحاولة رسم ملامح السياق غير اللغوي الذي تقال فيه الكلمة أو الجملة كالقصص ، وأسباب النزول ، وذكر السياق صراحة . مما يؤدي أحيانا إلى الخروج عن المادة اللغوية التي يعالجها . ولم يغفل كذلك السياقات اللغوية العديدة التي ترد فيها الكلمة .

ومعجم الإبانة قد تبع المعاجم العربية في هذا الصدد . وإن كان اهتمامه بالمادة المعجمية قد فاق اهتمامه بهذه الأمور – لأنه كان يلجأ إليها كلما كانت هناك حاجة إليها .

فمن أمثلة تفسير المعنى في إطار قصته التي ذكر فيها نذكر هذا المثال : عند تفسيره لكلمة الجاهلية يقول الشيخ :

« والجاهلية جاهليتان فالجاهلية الأولى جاهلية إبراهيم – عليه السلام – وهو قوله عزّ وجلّ ، ﴿ ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهلية الأولى ﴾[1] التي ولد فيها إبراهيم عليه السلام ، كانوا أهل زينة وأموال ، كانت المرأة تتخذ الدّرع من اللؤلؤ ، فتلبسُه ، ثم تمشي وسط الطريق ليس عليها غيره ، وكان ذلك في زمان نَمْرُودَ الجبار ، وكانوا كفارًا . قال ابن عباس : كانت فترة بين نوح وإدريس – عليهما السَلام – وكانت ألف سنة ، وكان بطنان من ولد آدم ، أحدهما السهل ، والآخر الجبل ، وكان نساء أهل السهل صَباحًا ، في الرجال دمامة ، وكان رجال أهل الجبل صباحاً وفي النساء دمامة ، وأن إبليس أتى رجلاً من أهل السهل في صورة غلام ، فأجرّ نفسه منه ، فكان يعمل له فاتخذ سنانه مثل الذي يهش بها الراعي ، وهو أول مزّمار اتخذ في الأرض ، فكان يَزْمر بصوت حسن حتى ركن إليه أهل تلك القُرى ينتابون منزل ذلك الرجل الذي معه ، فيتزَيّن النساءُ، ويتبَرّجنَ للرجال . وأن بعض أهل الجبال أتاهم في بعض تلك الحال ، فرأى ما رأى من حُسْن النساء ، وتبرُّجهنّ ، فأتى أصحابه فذكر لهم ذلك ، فانتقلوا إليهم ، فنزلوا جميعا حتى ظهرت الفاحشة فيهم ، فهو

---

(١) الأحزاب /٣٣ .

قول الله – عـزّ وجلّ ﴿ولا تَبَرَّجْن تَبَرُّج الجاهلية الأولى ..... ﴾[1] . ولعل هذه القصـة قد أوضحت المقصود بهذه الآية .

وقد يذكر أسباب نزول الآية لتكون معينًا على فهم معناها من خلال سياقها غير اللغوي الذي نزلت فيه ، ويمكن أن نجد ذلك في المثال التالي في تفسيره لمادة .. ج . هـ ل « والجهلُ أقبحُ ما في الإنسـان ، والعلمُ أملحُ ما في الإنسان . قيل : كان عمـر – رحمه الله –,إذا قرأ : ﴿يأيها الإنسان ما غَرّك بربك الكريم ﴾[2] قال : الجهل يارب ! وقيل : نزلت في أبي الأسد ابن أسيد بن كلدة ، وكان أعور شديد البطش فقال : أخذت بحَلَقَة باب الجنة ليَدْخلنّها مشر ثم قُتل يوم فتح مكة ، وقيل نزلت في الوليـد بن المغيرة المخزومي ، وفيه نزلـت . ﴿ذرنى ومن خَلقت وحيـدًا﴾[3] . وكان يسمى الوحيد في قومـه ، ويقال : وحيدًا . دعيًا ، ويقال لا ماله له ولا ولد ، وقال الكَلبيُ في الآية الأولى نزلت في أُبيّ بن خلف »[4] .

هذا من جهة السياق غير اللغوي ، أما من جهة السياق اللغوي فالأمثلة جد كثيرة ، وهي متناثرة في ثنايا المادة المعجمية ، ويمكن أن نستشهد بالمثال التالي :

يقـــول الشيخ في تفسيره لمادة ط. غ. ي « وقولهم طغي فـلان أي : ارتفع ، وعـلا ، وكـل شيء جـاوز القدر فقـد طغي مثلما طغي الماء على قوم نـوح ، أي : علا ، وكما طغت القبيحة على ثمـود منه : ﴿ كلا إن الإنسان ليطغـى ، أن رآه استغنـى ﴾[5] . قـال ابن عباس ؛ ليس من طعـام ، ولا شراب ، ولا مال يسمى به الـرجل الأطغى ، وعنه : من جمع بين الخبز والأدم طغي . والطغيان والطغوان لغـة فيه ، والفعل طغوت ، وطغيت ، والاسم الطغـوي .قال الله تعالـى : ﴿ كذبت ثمـودُ بطغواهـا ﴾[6] من الطغيـان . والطاغيـــة، كالعافية، والزاهيـة وما أشبهها ، والطغيا . البقرة الوحشية يقال: طغت تطغى : إذا صاحت : وسمعت طغي فلان : أي صـوته (هـذيلية) . والطاغيـة : الجبار العنيـد ، تقول : طغي فلان عليّ وبغى ، من البَغْي ، وهو الظلم ، والباغي . الظالم : قال خفاف بن عمير[7] .

ولمّا أن طغَوا وبغَوَا علينا رَمَيْنَاهُم بثالثة الأثَافـــى

.... والطغيـان : الكفر والغي منـه قـوله تعالـى : ﴿ في طغيانهم يعمهون ﴾[8] أي في غَيّهم وكفرهم[9] .

---

(١) الإبانة ١/٤٨٨ – ٤٨٩ ، وانظر على سبيل المثال ايضاً ١/٥١٠ ، ٢/١٣٣ ، ١٥٥ ، ٢٦٣ ، ٢٨٩ . (١) الأحزاب /٣٣ .
(٢) الانفطار . (٣) المدثر /١١ . (٤) الإبانة ١/٤٨٩ – ٤٩٠ .
(٥) العلق / ٦ . (٦) الشمس / ١١ .
(٧) هو خفاف بن عمير بن الحارث ابن الشريد الذي يرجع نسبه إلى امرىء القيس . وهـو المعروف بابن نُدْبة وهـــي أمـه ، وهو فارس وشاعر مخضرم ، شهد فتح مكة وحنينًا ، وثبت على إسلامه في الردة ، ومدح أبا بكر ، وبقي إلى أيام عمر – رضى الله عنه – معجم شعراء الحماسة . عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان . دار المريخ . الرياض ١٩٨٢ ص٣٧ .
(٨) البقرة / ١٥ .
(٩) الإبانة ٢/٢٧٠ – ٢٧١ .

ففسر مادة طغي والمفردات المشتقة منها مستعينًا بالسياق اللغوي الذي وردت فيه :

« طغي فلان » : أي علا ، أو جمع بين الخبز والأدم ، وصوّت « سمعت طغي فلان » .

طغي فلان عليّ : ظلمني .

طغي القومُ : أي : غووا وضلُّوا : في طغيانهم يعمهون .

طغي الشيء ، والماء ، والصيحةُ : علا وارتفع .

وطغت البقرة : صاحت .

وهنا قد اعتمد على السياق اللغوي حيث يكون الفاعل إنساناً ، ويكتفي الفعل بفاعله « طغي فلان » أو يحتاج إلى التعدي بحرف الجر « عَلَىٰ » ، وهل الفاعل إنسان مفرد ، أو جمع ، أو اسم جمع . بعد ذلك هل الفاعل : جماد ، أو سائل ، أو معنوي ، أو هل هو حيوان . وفي كل سياق يأخذ الفعل معنى جديدًا يختلف عن المعاني الأخرى . وقس على ذلك أمثلة أخرى في ثنايا الكتاب .

ثم ننتقل بعد ذلك لعرض قضية المعنى ، فالمعنى مرتبط بالحرف ، ومرتبط بالكلمة التي تتشكل من الحروف ، ومرتبط بالجملة التي تتشكل من كلمات . ويتتبع الشيخ مستويات دَوَالّ المعنى كما يلي :

(١) معاني الحروف :

ويظهر ذلك في ربطه لحرف معين ورد في مجموعة من الكلمات بمعنى معين ، كأن يكون محبّبًا، أو مكروهًا ، ويمثل لذلك المعنى . ويمكن أن نستشهد بالمثال التالي :

عند عرضه لحرف الشين من ناحية المخرج ، ومرات وروده في القرآن الكريم ، والحساب الكبير ، والحساب الصغير ، وصورته بالهندية ، وما يجتمع به من حروف في العربية ، ومالا يجتمع يقول : « والشين حرف يحصل في أسماء مكروهة ، فمنها شؤم ، والشر، والشرّك ، والشك ، والشتات ، والشجاج ، والشُّح ، والشنان وهو البغض .. وشناز ، وشماته ، وشين ، وشيطان وشياطين ، وشتم ، وشقر ، وشعوب ، وشعل ، وشدّ ، وشدّة ، وشور ، وشطط ، وشطاط ، وهو المتفرق من الأمر ، وشعاع (وهو من التفريق أيضًا) وشعار وشغب وشناعة .... »[1] ويظل يضرب الأمثلة على ذلك .

ولعله بذلك يتبع ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في ملاحظته التي ترى « تصاقب الحروف لتصاقب المعاني » حيث يرى أن كل حرف من حروف اللغة يحمل معنى معينًا ، ومعنى

---

(١) الإبانة ١٣/١٣٩ - ١٤٠ .

الكلمة مرتبط بالمعاني التي يحملها كل حرف . ويتبعه الشيخ عبد الله العلايلي من المحدثين في تتبع كل حروف اللغة ، وإعطاء كل حرف منها معنى بحيث تكون معدّة لدخول الحاسب الآلي ، وتكون وسيلة لاختراع كلمات جديدة بناءً على هذه المعاني[1] وإن كان الشيخ العوتبي لم يسترسل مع هذه الفكرة . كما استرسل ابن جني والشيخ العلايلي .

ثم ينتقل إلى معنى الكلمة ، فيعرض لهذا المعنى من شرحه بكلمة واحدة، أو بأكثر من كلمة ، مفسرًا أحيانًا هذا الاستعمال ، ومستعينًا بالسياق الاجتماعي إن كانت هناك ضرورة لذلك[2] ويعرض للمترادفات ، وللمشترك اللفظي ، وللأضداد ، ويتخذ من التضاد وسيلة للتفسير ، ويمكن أن نستشهد بمثال لكل من هذه الموضوعات على النحو التالي :

١- الترادف :

لا يرى الشيخ أن هناك ترادفًا تامًا في اللغة ، أي ليست هناك لفظتان مختلفان والمعنى متفق»[3] ، فإن كان هناك مثل هذا التشابه ، فلا يتعدى التشابه أو التقارب في المعنى بين لفظتين، نظراً لاشتراكهما في بعض مكونات هذا المعنى ، ورغم ذلك يظل هناك اختصاص كل لفظة بمكونات أخرى تتميز بها . ويمكن أن نستدل على ذلك بتفسيره لكلمتي « الحمد » و « الشكر » اللتين تبدوان مترادفتين . يقول الشيخ : « وقولهم : الحمد لله والشكر بينهما فرق ، والعامة تخطيء في التأويل ، فتظن أنهما بمعنى ، وليس كذلك ، لأن الحمد عند العرب : الثناء على الشخص بأفعاله الكريمة ، فهو قال : حمدتُ فلانا فمعناه . ثنيت عليه ، ووصفته بكرم ، أو شجاعة ، أو حسبٍ . قال الشاعر :

تزور امرأً أعطى على الحمد ماله ومن يعط أثمان المحامد يحْمَدِ

معناه : أعطاه على الثناء ماله . وقال زهير :

فلو كان حمدٌ يخْلِدُ الناسَ لم يمت ولكن حمد الناسِ ليس بمخلد[4]

معناه : لو كان ثناء يخلد الناس .

والشكر معناه في كلامهم : أن تصف الرجل بنعمة سبقت منه إليك . قال النبى ، : « من أُزِلّت إليه نعمة فليشكرها »[5] معناه : فليصف صاحبها بإنعامه عليه ، وقوله : أزلت

---

(١) وذلك في علاجه للاشتقاق الأكبر الذي بداه الخليل بن أحمد في معجم العين . انظر الخصائص . ابن جني / الخليل بن أحمد . مهدي المخزومي . مطبعة الزهراء . بغداد ١٩٦٠ ص٧٥ .
فهناك تناسب بين اللفظ ومدلوله على مستوى الصوت أو على مستوى الكلمة . فعلى مستوى الصوت يقول ابن جني في توضيح الفرق بين الصاد والسين : فيفرق بين صعد وسعد يقول : « فجعلوا الصاد لأنها أقوى لما فيه أثر مشاهد يرى . وهو الصعود في الجبل والحائط ، ونحو ذلك وجعلوا السين لضعفها لما لا يظهر ولا يشاهد حسًا ، إلا أنه مع ذلك فيه صعود الجد ، لا صعود الجسم .. فجعلوا الصاد تفوقها فيما يشاهد من الأفعال المعالجة المتجشمة ، وجعلوا السين لضعفها فيما تعرفه النفس ، وإن لم تره العين » .
الخصائص . ابن جني ١/٥٥٣ . وانظر كذلك ١/٥٤٦ - ٥٥٩ من الخصائص .
(٢) انظر ص ٢٣ - ٢٦ من البحث . (٣) الإبانة ١/٣١ .
(٤) ديوان زهير . دار صادر . بيروت ص٤ / وانظر شعر زهير بن أبي سلمى . صنعه الأعلم الشنتمري تحقيق فخر الدين قباوة . دار الآفاق الجديدة . بيروت ١٩٨٠ ص ١٩٠ .
(٥) لم أعثر على هذا الحديث بهذا النص في كتب الحديث المعروفة .

يعني . أسديت إليه ، واصطنعت عنده ، يقال منه : أزللت إلى فلان نعمة ، فأنا أزلها إزلالاً . قال كثيِّر .

وإنيِّ وإنْ صَدَّتْ لَمُثْنٍ وصادقٍ عليها بما كانت إلينا أزلّت[1]

وقد يقع الحمد على ما يقع عليه الشكر ، ولا يقع الشكر على ما يقع عليه الحمد ، والدليل على هذا أن العرب تقول : حمدتُ فلاناً على حسن خلقه ، وشجاعته ، وعقله ، ولا يقولون قد شكرت فلاناً على حسن خلقه وعقله وشجاعته ، فالحمد أعم من الشكر ، وكذلك افتتح الله – تعالى – بفاتحة الكتاب فقال : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾[2] [3] .

فهذا النص يشير إلى بعض الفروق الدلالية بين كلمتين تظن العامة أنهما مترادفتان ، ويوضح هذا الفرق أن :

الحمد : على أفعال كريمة ، ويجوز أن يكون على نعمة سبقت ، وهو أعم . أما الشكر فهو على نعمة سبقت ، وهو أخص ،ويمكن أن يوضح هذا الشرح بالجدول التالي :

الملمح الدلالي	على افعال كريمة	على نغمة سبقت	أعم	اخص
الحمد	+	+	+	–
الشكر	–	–	–	+

وهو بهذا يتفق ورأى الرافضين للترادف في اللغة من أمثال ثعلب ، وأبي على الفارسى ، وابن فارس ، وأبي هلال العسكري[4] وقد أورد أبو هلال العسكري في كتابه : « الفروق اللغوية » نصًا يشرح فيه الفرق الدلالى بين الحمد والشكر ، ويضيف مكونات دلالية أخرى، كحمد النفس وشكرها ، وحمد الله وشكره ، والموازاة في القدر ، وضد كل منهما حيث يكون ضد الحمد : الذم ، وضد الشكر : الكفر[5] .

والأمثلة على ذلك جد كثيرة ، ومتناثرة في ثنايا الكتاب .

---

(١) هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر من خزاعة ، وينتهي نسبه إلى يعرب بن قحطان ، وهو شاعر مشهور من شعراء الدولة الاموية ، ورائد من رواد الغزل العذري ، هام حبا بعزة حتى اشتهر بنسبته إليها . اتخذه عبد الملك بن مروان شاعرًا له وتوفى ١٠٥هـ في خلافة هشام .
معجم شعراء الحماسة . عبدالله بن عبد الرحيم عسيلان . ص ١٠٦ .

(٢) الفاتحة ./١ .

(٣) الابانة ١/٥١٤ – ٥١٥ .

(٤) انظر علم الدلالة ، أحمد مختار عمر . دار العروبة للنشر والتوزيع . الكويت ، ١٩٨٢ ص ٢١٥ – ٢١٦ .
وانظر : المشترك اللغوي نظرية وتطبيقًا . توفيق محمد شاهين . مكتبة وهبة . القاهرة . الطبعة الأولى . ١٩٨٠م .ص ٢٢٩ ومابعدها .

(٥) راجع هذا النص في كتاب : الفروق اللغوية . أبو هلال العسكري ، تحقيق حسام الدين القدسي . دار الكتب العلمية . بيروت . بدون تاريخ ص ٣٥ – ٣٦ .

٢- المشترك اللفظي :

والمشترك اللفطى هو « لفظان متفقان والمعنى مختلف »[١] نحو قولك : وجدت عليه من الموجودة ، ووجدت الضالة ، إذ صنتها ، فاتفق اللفظان ، واختلف المعنى . فقد تأتى الألفاظ المتفقة بالمعانى المفترقة ، ويمكن أن نستعين بهذا المثال الذي ساقه الشيخ وهو العين[٢] .

العين : هي الناظرة لكل ذي بصر .

والعين : الجارية من عيون الماء . وكذلك عين الركية .

العين : من السحاب ما أقبل عن يمين القبلة .

العين : المال العتيد الحاضر .

العين . الدينار .

العين : المِثْل فى الميزان ، تقول : أصلح عين ميزانك .

عين القوم : شريفهم ، تقول : هؤلاء أعيان قومهم ، أي : أشرافهم .

العين : بمعنى الحفظ . تقول : اجعل هذا بعينك ، أي بهمك وحفظك .

العين : بمعنى العقوبة ، تقول : أصابته عين من عيون الله . أي: عقوبته

العين : حقيقة الشىء

العين : المطر .....

والملاحظ أن هذا المثال قد تحقق فيه شرط من شروط المشترك اللفظى وهو ألا يكون الاختلاف في المعنى عن طريق المجاز ، بمعنى ألا تنتقل دلالة الكلمة إلى دلالة أخرى عن طريق المجاز كما في كلمة الهلال حين تعبر عن حديدة الصيد التي تشبه الهلال ، وعن قلامة الظفر التي تشبه في شكلها الهلال ، وعن هلال النعل الذي يشبه في شكله الهلال فلا يصح إذن « أن تعد من المشترك اللفظي لأن المعنى واحد في كل هذا ، وقد لعب المجاز دوره في كل هذه الاستعمالات »[٣] . وقد أدخل الشيخ كثيرًا من الأمثلة التي كانت الدلالة الثانية والثالثة فيها على سبيل المجاز كما في كلمة : السماء التي تعني[٤] .

---

(١) الإبانة ١/٣٦ .

(٢) السابق ٢/٢٨٤ – ٢٨٨ . انظر نفس المادة « العين » في شرح كراع ، وأبي العميثل ، وأبي عبيد الاصمعي . في كتاب : علم الدلالة أحمد مختار عمر . ص ١٥٣ – ١٥٥ .
فقد أورد كراع لها ثمانية معان ، وأبو العميثل ثلاثة عشر معنى ، وأبو عبيد ثمانية معان ، والاصمعي خمسة عشر معنى .

(٣) انظر : دلالة الالفاظ . إبراهيم انيس . الانجلو المصرية . القاهرة .ط٣ .١٩٧٢ م . ص٢١٤ .

(٤) الإبانة ١/٢٩٥ .

– المطر : ومنه قوله : مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم ، أي : الغيث .

– الكلأ : قال جرير :

إذا نزلَ السماءُ بارضِ قومٍ رعيناه وإن كانوا غضابا [1]

– سقف كل شيء ، وما علاه

فدلالة السماء على المطر . من قبيل المجاز المرسل الذي تكون علاقته السببيةُ . ودلالتها على الكلأ من قبيل المجاز المرسل أيضًا الذي تكون علاقته . السببية أيضًا ودلالتها على السقف من قبيل التشبيه في العلو والارتفاع والتغطية. ولا ينطبق إطلاق المشترك اللفظى على ما جاء من مثل هذا المثال كما في الأرض ، والزكام ، والنجم ، والكوكب ، والنهار ، والليل ، والجمل ، والإنسان والشيخ ، والعجوز ، والعبد ، واليد ، والرّجل ، والعين ، والبطن والظهر ، والثنايا ، والسنّ ، الرحي ، والصبح والظفر ، والثوَر ، والنبات ، والحمار، والأتان ، والضحل ، والعيرانة ، والعير ... إلى آخر الأمثلة الكثيرة التي ساقها الشيخ[2] .

ولا يكون وجود المشترك اللفظي في اللغة عبثًا ،َبل يبقى إمكانية لغوية للتعبير عن موضوعات لا يصلح لها سوى المشترك اللفظي . ويمثل الشيخ لذلك باستخدامه في 'لأحاجي ، يمثل على ذلك بالمثال التالى :

وكافرٍ مات على كفره وجنة الفردوس للكافر

فكيف تكون الجنة للكافر ، يشرح الشيخ ذلك بقوله :

« يريد بالكافر : اللابس للسلاح في سبيل الله ، يقال : كفر درْعَه : إذا لبسها ، ويقال واد كافر : إذا غطى ما على جوانبه ، ومنه سمىّ الكافر ، لأنه يَستر الحق ، ويقال : كأنه الغطّاء على قلبه ، والليل كافر أيضًا ، لأنه يغطى النهار ، ومغيب الشمس : كافر الشمس .

قال لبيد :

حتى إذا ألقت يداً في كافرٍ وأجنّ لوّامَ الثعورِ ظلامُها [3]

يعني الشمس ، وقوله تعالى : ﴿ كزرعٍ أعجبَ الكفارَ نباتُه ﴾ [4] فسر الكفّار :

---

(١) نسب صاحب اللسان البيت لمعوّد الحكماء معاوية بن مالك . وعلل سبب هذه التسمية بقوله في هذه القصيدة .
أعوّد مثلها الحكماء بعدي إذا ما الحق في الحدثان نابا
انظر : اللسان مادة س م و .
(٢) انظر الإبانة ١/٢٩٥ – ٣٠٥ .
(٣) ديوان لبيد . دار صادر بيروت . غ . م ص ١٧٦ . وفي الديوان « عورات الثغور » ولبيد هو لبيد ابن ربيعه بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعه بن صعصعة الجعفري . كنيته ابو عقيل ، وهو شاعر مشهور ، مخضرم . قال الشعر في الجاهلية دهرًا ثم اسلم ، يقال إنه ما قال في الإسلام إلا بيتًا واحداً هو :
الحمد لله الذي لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الإسلام سربالا
الديوان ص ٢٣٦ .معجم شعراء الحماسة ، عبد الله عبد الرحيم عسيلان ص ١٠٩ .
(٤) الحديد / ٢٠ .

جمع كافـر ، وهو الزارع ، لأن الزارع إذا ألقي البذر في الأرض ، فقد كفره ، أي : غطاه»[1] .والأمثلة على ذلك جد كثيرة في ثنايا الكتاب .

ويمكن أن نسـوق هذا المثـال من المادة المعجميـة يقول الشيخ في مـادة ج.ز.م « الجزم : الحرف إذا سكن آخره بلا إعراب ، والجزم : ضرب من الكتابة، وهو تسوية الحروف ، وقلم جزم : لا حرف له . ومن القراءات : تجزم الكلام جـزمًا : تضع الحروف مواضعها في بيان ومهل . والجزم : القطع أيضـا. وجـزم على الأمـر : إذا سكنت عليـه ، وفعل ذلك جـزمـا . والجزم : أن تشتري حمل النخل قـائما في أكمامـه تقول : اشتريت جـزم نخل فـلان ، أي . اشتريت حمله . جزمت له جزمة من مالي ، أي : قطعت له قطعة[2] .

فتعـــدد دلالة هـذه الكلمـة بين العلامة الإعـرابية ، وهذا الضرب من الكتـابة ، ووضع الحروف مواضعها في القراءة ، وشراء حمل النخل قائماً في أكمامه ، والقطع ، دون أن يكون من قبيل المجاز هو ما أدخل مثل هذه الكلمات في باب المشترك اللفظي .

٣- الأضداد :

والأضداد هي « أن تدل اللفظة على المعنى وضده » ، وهي حيلة لغوية لرأب الصدع . في قصور الثروة اللفظية المستعملة ، من جهة ، أو الاقتصـاد في الثروة اللفظية من جهة أخرى لتغطية معاني لا تعبر عنها إلا الأضداد كإظهار التفاؤل أو التشاؤم من موضوع معين .

وقد اهتم الشيخ بهذه القضية سواء في مقدمته ، أو في مـادته المعجمية . فذكر في المقدمة قائمة كبيرة من المفردات التي تدل على المعنى وضده نذكر منها .

ناهل للعطشان ، وللذي شرب حتى روى

لله در فلان : للمدح وللذم أيضا .

السدفة : الضوء والظلمة « لأن الضوء يأتي من الظلمة ، والظلمة تأتي من الضوء » .

الحميم : الماء الحار والماء البارد .

طلعت على القوم : إذا أقبلت إليهم حتى يروك ، وطلعت عليهم : غبت عنهم .

لمقتُ الشيء : إذا كتبته في لغة هذيل ، ولمقته إذا محوته في لغة قيس .

بعت الشيء : إذا بعته ، وبعته إذا اشتريته .

---

(١) الإبانة ١/٣٥ .

(٢) السابق ١/٤٨٢ ، ولمزيد من الأمثلة انظر ١/٤٩٠ ، ٥٠٣ ، ٥١٠ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥٢٠ ، ٢٠/١٣١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٥٨ ، ١٨٣ ، ٢٨٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٩٤ .

والأمثلة على ذلك جد كثيرة في المقدمة[1] من أمثال : الجون، والتلاع ، والجلل ، والماثل، والصريح، والبئر ، والزهوة ، ووراء ، وقدّام ، ودون ، والذرية ، والهاجد ، وأطلب ، وأشكر ، والمختفى ... الخ .

ولم يغفل الشيخ الإشارة إلى هذه الظاهرة أثناء المعالجة المعجمية ، ويمكن أن نمثل على ذلك بهذا المثال عند معالجته لمادة ط. م. ر :

« وقولهم طمرت الشيء ، أي : سترته ، من قولهم : طمر الجرْحُ إذا سفل ، وهو من الأضداد تقول : طمر الجرحُ : إذا سفل ، وطمر : إذا علا وارتفع »[2] .

والأمثلة على ذلك جد كثيرة متناثرة في ثنايا المعجم[3] .

ولم يقف عطاء الكتاب عند هذا الحد من المستوى اللغوي أي مستوى الأصوات ، والصرف ، والتركيب ، والدلالة ، وهي المستويات التي يعني بها علم اللغة الآن، بل تعدى ذلك إلى مستوى البلاغة . فعرض لقضايا اللغة الجمالية ، وهي لغة الأدب شعرًا ونثرًا ، فيعرض في مقدمته تحت عنوان : في وجوه اللغة : الحقيقة والمجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، والمجاز المرسل ، والمجاز العقلي ، والاتساع في اللفظ . والتقديم والتأخير ، والخبر والانشاء ، والذكر والحذف ، والاختصار والإيجاز . والمبالغة ، والتعظيم والتكرير، والحكاية ، والاكتفاء ببعض الصفات . إلى آخر هذه القضايا التي تدخل في إطار الدراسات البلاغية والأسلوبية .

ولم يغفل الشيخ التراث العربي الذي يحمل الخبرة العربية في عبارة موجزة وهو المثل . فللعرب « الأمثال[4] التي لا يُوْتَى عليها كثرةً مع حسن معانيها ، وإصابتها ، ووضوحها ، وإبانتها ، وهي أكثر أمثال أهل الأرض ، وإن كان للفُرسْ أيضًا أمثال كثيرة ، فهي مع كثرتها لا بعشر أمثال العرب »[5] . ويحكي الشيخ حكاية عن أبي عبيدة فيما روى أبو حاتم عنه أنه « أوصل إلى أحمد ابن سعيد بن سلم الباهلي أربعة عشر ألف مثل عربي ، بعضاً في الجلود ، وبعضًا في لقطنى ، وبعضا في القراطيس ، وبعضًا في الخزف »[6] . فالعرب متفردون من بين الأمم الأخرى بمهنة الأمثال سواء في عبارات مختصرة أو في أبيات الشعر « فأبيات الشعر كثُرت أمثالهم ، وزادت على أمثال سائر الأمم أضعافًا مضاعفة ، هذا إلى مالهم من أمثال النثر »[7]. ويشرح الشيخ منهجه في عرض الأمثال في معجمه يقول : « وقد

((١) الإبانة ١ / ١١٧ - ١١٩ . (٢) الإبانة ٢/٢٥٥

(٣) انظر على سبيل المثال ٢/١٥٤ ، ١٥٩ ، ٢٨٣ ، ٢٩٦ .

(٤) انظر على التوالي ١/٦٩ ، ٢٦٠/٢١٣ ، ٢٨٢/١٠٠ ، ٢٢٤ / ٨٠ ، ١٥٩/١٩٥ ٢٧٠ / ٨١ ، ٩٦ / ٢٥٨ ، ٢٨٠ / ٢٧٦ / ٨٤ / ٧٩ ، ٩١ / ١١٦ / ١٨٤ / ٧٧ ، ٢٠٩ / ٩٤ / ٢٦٧

(٥) الإبانة ١/٢٢٥ .

(٦) السابق : نفس الصفحة .

(٧) السابق نفس الصفحة .

أودعت كل حرف من حروف المعجم شيئًا منهـا مما هو على الحرف المبتدأ به »[1] فيذكـر المثل عنـد معالجته للكلمـة في داخل البنية المعجميـة ، ويختم كل حرف من حـروف المعجم بقـائمـة الأمثال التي وردت في المادة المعجميـة مع زيـادات ، ونفس المسلك مع كل حـروف المعجم .

ومن هنا يكتسب هذا العمل أهميته .

(١) السابق نفس الصفحة ..

الخاتمة

من العرض السابق يتضح أن معجم الإبانة للشيخ العوتبي معجم متفرد حيث يقوم على مقدمة طويلة تنم عن تمكن في مستويي اللغة المميزين .

– المستوي اللغوي وقضاياه الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية .

– والمستوى الجمالى : وقضاياه البلاغية من ناحية الفصاحة والبلاغة وقضايا المعانى والبيان والبديع .

بالإضافة إلى ما طُعّم به المعجم من الأمثال العربية مشروحة في ثنايا المادة المعجمية ، ومجموعة في آخره وكذلك الأبيات الشعرية التي زود بها المعجم في آخره . وأقوال اللغويين ، والمفسرين ، وأهل الحديث ، وكذلك ما جاء فيه من إشارات للهجات العربية القديمة ، وما أثير فيه من قضايا .

ومن هنا يجب المحافظة على هذا التراث ، وتكون صورة هذه المحافظة متمثلة في إخراجه إلى النور حتى يستفيد منه طلاب العلم في كل مكان .

فهو معجم توافرت لواضعه المؤهلات الكافية وهي المعارف الصوتية والصرفية ، والتركيبية ، إلى جانب المعارف الدلالية للمفردات سواء على المستوى المعجمي أو المستوى السياقي ، مستنداً في ذلك إلى الشواهد من القرآن أو الحديث أو الفصيح من أشعار العرب أو لغاتهم ، ومستنيراً بآراء علماء اللغة والفقه ، والحديث دون إغفال للقراءات القرآنية .

وحتى تكون هذه الإفادة تامة نتطلع عند إخراج المعجم إلى النور الى مراعاة مايلي :

١ – **النظر في ترتيب جذور الحرف الواحد ، ومراعاة إخراجها وفق ما هو متبع في** المعاجم المعروفة ، فيكون الترتيب وفق الحرف الأول ثم الذي يليه ثم الذي يليه .

٢ – **جمع المتناثر الذي يتصل بجذر معين ، ووضعه في مكان واحد وفقًا لترتيب هذا الجذر** . وكذلك إخراج ما وقع في غير ترتيبه من ناحية الحرف ، أو الجذر .

٣ – **تخريج الشواهد القرآنية ، والأحاديث النبوية الشريفة** ، والأشعار ، وأقوال العلماء لتكون الفائدة أكد .

٤– **التعريف بأسماء الأعلام الذين ورد ذكرهم في سياق المعجم سواء** كانوا لغويين أو علماء فقه أو حديث أو قراءً حتى يخرج المعجم موثقًا .

٥– **مراعاة علامات الترقيم من ناحية النقطة والفاصلة** ، والنقطتين الرأسيتين وغيرها

تحسينا للعرض ، وتسهيلاً للاستعمال والإفادة .

٦- **وضع فهارس خاصة بالشواهد ، والأعلام ، وأسماء البلدان** . كما هو متبع فى المعاجم المعتمدة .

وبذلك نكون قد حافظنا على تراث غال ، من ناحية الإخراج ، والاعتناء بالشكل والجوهر ، وهيأنا له أن يقوم بدوره فى خدمة العربية ، التى لازالت فى حاجة إلى جهود أخرى مخلصة على هذه الشاكلة .

المصادر

(١) **تاج العروس** الزبيدى (ت ١٢٠٥ هـ)

(٢) **القاموس المحيط** الفيروزابادى (ت ٨١٧ هـ)

(٣) **لسان العرب** ابن منظور (ت ٧١١ هـ) .

(٤) **معجم الإبـانة.** للعوتبى . وزارة التراث القومى . سلطنـة عمان ، مخطوط . الرقم العام ١٩٨٠ الرقم الخاص ٢٥هـ .

المراجع

أ – المراجع العربية :

١– **الأصوات اللغوية .** كمال بشر . مكتبة الشباب . القاهرة . د ت .

٢– **الأنسـاب** ، سلمة بن مسلم العوتبي الصحـارى . وزارة التراث القومى والثقافة – سلطنة عمان ط٣ /١٩٩٢ .

٣ – **الخصائص .** أبو الفتح عثمان بن جني . مطبعة الهلال (بمصر) ١٩١٣م.

٤– **الخليل بن أحمد .** مهدي المخزومي . مطبعة الزهراء . بغداد . ١٩٦٠م .

٥– **دلالة الألفاظ .** إبراهيم أنيس . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة . ط٣ . ١٩٧٢م.

٦– **سـر صنـاعة الإعـراب .** ابن جنى . تحقيق مصطفى السقـا ، ومحمد الـزفزاف ، وإبراهيم مصطفى ، وعبد ا٫ أمين . مطبعة مصطفى البابى الحلبى . القاهرة . ١٩٥٤م .

٧– **العين . الخليل بن أحمد الفراهيدى** (ت ١٧٥هـ) . تحقيق عبد ا٫ درويش . مطبعة العاني . بغداد ١٩٦٧م .

٨ – **علم الدلالة .** أحمد مختار عمر . دار العروبة للنشر والتوزيع . الكويت ١٩٨٢م .

٩– **علم اللغة وصنـاعة المعجم .** على القاسمى . عمادة شئون المكتبـات . جامعة الملك سعود . الرياض . ط٢ . ١٩٩٢م .

١٠– **الفروق اللغوية .** أبو هلال العسكرى . تحقيق حسام الدين المقدسى . دار الكتاب العلمية . بيروت . د. ت.

١١– **قضايا المعجم العربى قديماً وحديثًا .** محمد رشاد الحمزاوى . منشورات المعهد القومى لعلوم التربية . تونس ١٩٨٣م .

١٢– **المخصص ابن سيـده .** تحقيق عبـد السلام هـارون . دار الجيل . بيروت ط١ . ١٩٩١م .

١٣- **المشترك اللغوي نظرية وتطبيقًا** . موسى توفيق شاهين . مكتبة وهبة . القاهرة ط١ ١٩٨٠م .

١٤- **المعاجم العربية** . عبد السميع محمد أحمد . دار الفكر العربى . القاهرة ١٩٨٤م .

١٥- **معاني القرآن** . أبى زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) . تحقيق أحمد يوسف نجاتى . ومحمد علي النجار . وعبد الفتاح اسماعيل شلبي . وعلي النجدي ناصف . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ١٩٨٠م .

١٦- **معجم شعراء الحماسة** . عبد ا، بن عبد الرحيم عسيلان . دار المريخ . الرياض ١٩٨٢م .

١٧- **المعجم العربي** . حسين نصار . مكتبة مصر . القاهرة . ١٩٨٨م .

١٨- **المعجم العربي** . رياض زكي قاسم . دار المعرفة . بيروت . ١٩٨٢م .

١٩- **معجم علم اللغة النظرى** : محمد على الخولى . مكتبة لبنان . بيروت ١٩٨٢م .

٢٠ - **مقاييس اللغة** . ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) . تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ط١ ١٣٦٦هـ .

٢١- **مناهج البحث في اللغة** . تمام حسان. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٥٥م .

ب- المراجع الأجنبية :

(1) Halliday M. A. K. Angus Mc Intosh and Peter strevens "The Linguistic Sciences and language teaching" (Bloomington; Indiana University Press 1965.

(2) Hass, Mary R. "What belongs in a bilingual Dictionary". In householder and sporta.

(3) Hill, "Lexicographers and Linguistics" Language 46. 1970.

(4) Hill, Archibald A. (ed): "Linguistics Today" New York. Basicbooks INC. 1969.

(5) Marckwardt, Albert, H. "Dictionaries and English Language" English jaurnal 52. 1963.

(6) Martin, Samuel E. "Selection and Presntation of ready equivalents in a translation Dictionary" In householder and sporta.

القـراءة الثانيـة

العوتبي بين الفقه والأصول والأدب

سماحة الشيخ/ أحمد بن حمد الخليلي

مفتـي عـام السـلطنة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله السميع البصير العليم الخبير سبحانه خلق فسوى وقدر فهدى أحمده -تعالى- لما هو لـه أهل من الحمد وأثني عليـه واستغفره من جميع الذنـوب وأتوب اليـه واومن به وأتوكل عليـه، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فـلا هادي له وأشهـد أن لا اله الا الله وحده لاشريك لـه وأشهد أن سيدنـا ونبينا محمدا عبـده ورسوله صلى الله عليـه وعلى آله وصحبه اجمعين، وعلى تابعيهم باحسان إلى يوم الدين.

أصحاب الفضيلة، والسعادة ... أيها الأخوة الكرام

السلام عليكم جميعا ورحمة الله وبركاته، احييكم بهذه التحية الطيبة

اهنىء نفسي واهنئكم بهذا الاجتماع الميمون في رحاب هذا المنتدى الادبي وفي هذه الايام الطيبة التي تتجلل فيهـا بلادنا ثوبـا قشيبا من الفخار بمناسبـة عيدها الوطني ومنـاسبة مرور ربع قرن على هذه النهضة المباركة التي قادها عاهل البلاد المفدى وقاد بها البلاد إلى مصاف التقدم فـاهنئكم جميعا بهذه المناسبة وبما ان سيـاسة عاهل البـلاد المفدى -حفظه الله- تقتضي أن يوصل الحاضر بالماضي وان نبني نهضة هذا العصر على ما سبق من اسس سابقة لانه من لم يكن له ماض فليس له حاضر.

جاءت هذه الاحتفالات باعلام هذا البلـد السابقين لاجل صقل مواهب الفئة الناشئة الآن وحفزها إلى ذلك النهج القويم لتكون امتدادا لذلك السلف العظيم.

وانني من اعماق قلبي أشكـر وزارة التراث القـومي والثقـافـة على احتـوائهـا هـذه الاحتفالات، وقيامهـا بهذه المجهودات من أجل ارساء دعائم هذه النهضـة الثقافية على تلك الاسس الصلبة التي وضعها السلف الصالح وعلى رأس هذه الوزارة صاحب السمو السيد فيصل بن علي بن فيصل وزير التراث القومي والثقافة، كما أشكـر هذا المنتدى على ضيافته لهذه الندوات والجهود الجبارة التي تبذل في سبيل انجاحها.

عالم متمكن في كثير من العلوم

ولا اجدني قـادراً على الحديث بعد الذي سمعتـه وسمعتموه جميعا من البـاحثين الذين تنـاولوا مـوضوعـات شتى تتعلق بـالشخصية المنتقـاة لتكون شخصيـة هذا العـام وهي شخصية العلامـة الجليل أبي المنذر سلمة بن مسلم العوتبـي الصحاري فقد سمعتم الكثير

والكثير عنها وكما قيل (ماترك الأول للآخر) ولئن كان هنالك مثل آخر يعاكس هذا المثل وهو (كم ترك الأول للآخر؟) فانه واقعي وواقع الباحثين الذين سبقونى يجعلنا نأخذ بهذا المثل الذي اخترته (ما ترك الأول للآخر).

وقبل كل شيء ارى ان شخصية العوتبي بجانب كونها شخصية ذات أهمية لانها شخصية أدبية وفقهية فهي شخصية موسوعية فقد كان العوتبي نسابة وكان عالما ضليعا باللغة العربية وعالما موسوعيا في الفقه الإسلامي وعالما متمكنا في علوم العقيدة الا انني بجانب ذلك ارى ان التاريخ غمط تلك الشخصية حقها اذ لانجد ما يدلنا بالتحديد على الفترة التي عاش فيها ولانجد ما يدلنا على انه تلقى العلم عن فلان أو فلان من مشايخ العلم في ذلك الوقت فهذه الشخصية بجانب معطياتها الكثيرة هي أقرب إلى الغموض من حيث التاريخ فنحن إلى الآن لانستطيع ان نحدد بالدقة هل كان العوتبي كما يقول البعض من علماء القرن الرابع الهجري أو هو من علماء القرن الخامس كما سمعت من جماعة هنا وارى انه ان كان من علماء القرن الخامس فان الزمن امتد به إلى القرن السادس نظرا إلى ما وجدته في موسوعته الضياء من نقل عن حجة الإسلام الامام ابي حامد الغزالي الذي عاش بين عام ٤٠٥ إلى ٥٠٥ ولايمكن ان ينقل عنه في تلك الفترة التي لم تكن فيها وسائل للنقل والنشر الا بعد ما شاعت شهرة الامام ابي حامد الغزالي، ولا ريب ان شيوع هذه الشهرة كان في القرن السادس اكثر منه في القرن الخامس فنقله عن الامام ابي حامد الغزالي يدل على أن الرجل عاش إلى القرن السادس الهجري فالامام ابوحامد الغزالي وان كانت عيشته في النصف الاخير من القرن الخامس الهجري الا ان العمر امتد به إلى بداية القرن السادس حيث مات في العام الخامس منه.

وهو منسوب إلى عوتب وهي منطقة بصحار ولكن هل درس في صحار أو درس في غيرها؟.. من خلال تأولنا بما وجدناه في موسوعة الضياء يتبين انه تلقى فيمن تلقى عنه عن الامام ابن بركة فشيخه ابن بركة كان شيخا له بالواسطة وعندما يذكره يقول.. قال شيخنا أبومحمد ولاريب ان ابن بركة وان كان من المنطقة الداخلية بعُمان الا إن مدرسته انتشر أصحابها في ارجاء عُمان وشيخ ابن بركة الذي هو ابومالك الصلانى كان ايضا من المنطقة الداخلية لكنه انتقل بعد ذلك إلى صلان بصحار فنسب اليها.

نهج خاص

وحسب ما ذكر في البرنامج الخاص بهذه الندوة فإن موضوع هذه المحاضرة (العوتبي فقيها واصوليا واديبا) ولاريب ان الجانب الادبي قد كفاني اياه الذين تحدثوا عن سعة افق العوتبي في المجالات الادبية من علوم اللغة واشتقاقاتها ولكنني اضيف إلى ذلك أن

العوتبي جعل من الأدب وعاء للفقه فإنه عندما يتعرض لكل قضية من القضايا الفقهية في كتابه الضياء يقدم لذلك بالتعريف اللغوي ثم يتحدث في مجاله.

فعندما جاء مثلا إلى ذكر السؤال وهو باب يتحدث فيه الفقهاء عادة في مستهل تآليفهم من اجل تحديد الجانب الذي لايعذر الانسان عن السؤال عنه من القضايا الدينية وما يعذر عنه، تحدث كثيرا عن السؤال في نحو صفحتين ذاكرا اشتقاقاته اللغوية وذكر ان فيه لغتين سأل يسأل وسال، يسال.

واورد الشواهد على ذلك وقال: ان سال يسال كخاف يخاف وعند التصرف باسناد هذا الفعل إلى ضمير المتكلم أو المتكلمين أو المخاطب يقال سلت كقفت وسلتم وسلتما وسلنا فهناك خاف يخاف من حيث التصرف حيث انني لاحظت انه ذكر هنا ان فعل الامر المتصرف من السؤال عندما يأتي معطوفا بالفاء أو معطوفا بالواو فانه لا يأتي متصرفا من، سأل -بالهمزة- ولكن من (سال) اي يقال: (سل) وقد تكون هذه زلة قلم منه لان الشواهد القرآنية تدل على خلافه فان الله يقول: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾[1] ويقول ﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾[2]. مع انه عزا ذلك إلى العرب قاطبة.

وكذلك عندما يتحدث عن الرحم يذكر الحديث الشريف «الرحم شجنة معلقة بالعرش» ثم يعرض (الشجنة) ودلالتها على الترابط ويذكر ان الشجون مأخوذة منها في قولهم: الحديث ذو شجون وهكذا نجده عندما ما يتحدث عن اي ناحية من النواحي الفقهية يتعرض للدلالات اللغوية وهو في هذا المجال واسع الاطلاع فيما يورده من اقاويل العلماء ففضلاً عما هو موجود في الإبانة الذي هو كتاب خاص في الناحية اللغوية نجد ان ما ذكره في الضياء من قضايا تتعلق بهذه الناحية في معرض ذكر الاحكام الفقهية ينقل عن الكثير الكثير من ائمة اللغة الذين سبقوه فهو ينقل عن ابي عمرو ابن العلاء وعن الخليل والاصمعي وابن دريد وابي عبيدة وابي عبيد وابن فارس وغيرهم ثم انه يورد الشواهد العربية الكثيرة التي تؤيد وجهة نظره وعندما يتعرض مثلا لأحكام التوحيد ولاسماء الله الحسنى يشرح هذه الأسماء إسماً إسماً مستشهدا بالشواهد الكثيرة من كلام العرب التي تدل على معاني هذه الأسماء.

إلى جانب ذلك كله نجده ضليعا في علوم القرآن ولاريب ان القرآن هو مصدر البلاغة فالمتضلعون في العربية لابد من ان يكونوا حريصين على فهم القرآن الكريم وعلى صقل مواهبهم اللغوية ببلاغته التي هي ينبوع بلاغات البلغاء من العرب فهو عندما يتعرض للآية القرآنية يشبعها بحثاً من جميع جوانبها مما يدل على انه كان ذا اطلاع على ما كتبه المؤلفون من قبله في علوم القرآن.

---

(١) جزء الآية ٢. من سورة يوسف.
(٢) الآية ١٦٣ من سورة الأعراف.

الفقه ورسوخ قدمه فيه

أمّا الفقـه فان الرجل كـان فيه راسخ القدم واسع الاطـلاع فهو ينقل عن شتى المذاهب الإسـلامية حيث ينقل قبل كل شيء عـن الرسـول ﷺ عندمـا يـورد الأحاديث في معـرض الاحتجاج في الأقوال التي يرجحها أو الاحتجاج بالأقوال الأخرى حتى الأقوال التي يوردها يذكـر ادلتها ايضا من حـديث رسول الله ﷺ بجانب ذكر الآيـات القرآنية ثم يـورد أقوال الصحابة وأقـوال التابعين وأقوال علماء الامصار ويـورد ايضا أقوال ائمة المذهـب خاصة ونجده ينقل عـن الكثير والكثير من علماء المذهب فهو ينقل عن جـابر وابي عبيـدة والربيع ووائل وابي مودود وابي غسان أحمد الغمرد وابي حـاتم بن أبي مودود وينقل ايضا عمن بعـدهم عن محبـوب بن الـرحيل ومحمد بن محبـوب وبشير بن محمـد بن محبـوب وعن موسى بن ابي جابر ومـوسى بن علي وعلي بن عزرة والأزهر بن علي ومحمد بن علي وعن ابي المؤثر وابي قحطان وعن ابن جعفر وعن غيرهم من العلماء كما انه ينقل عن المدرستين اللتين جاءتا بعد عزل الامام الصلت بن مالك واللتين سميتـا بالمدرسة الرستاقية والمدرسة النزوانية حيث ينقل عن هذه المدرسة وتلك مع كونه منتميا إلى المدرسة الرستاقية.

والبـاحث المدقق في مـؤلفـات الطائفتين يجد أنهم جميعـاً (في مجال الفقـه) ينقلـون عن الجميع فلا يتحفظ الرستاقيون من النقل عن النزوانيين كالنقل عن ابي سعيد وتلامذته ولا يتحفظ ايضا النزوانيون من النقـل عن ابن بركة وتلامذته، ومن اجل الامـانة فاننا نسجل بان المدرسة الـرستاقية –وان نسب اليها ما نسب من التشدد والغلـو وعدم التسامح– الا ان باعها في علوم العربية بل وفي علوم أصول الفقه كان أفضل وهذا ظاهر في آثارها العلمية والآثار هي خير الشواهد بل اصدق الشواهد التي تكشف الحقيقة وتدل على الواقع.

فنحن عندما ننظـر مثلا إلى جامع ابن بركة وإلى سـائر مؤلفاته نجد ان ابن بـركة كان عالما ضليعا في مجالات متعددة فهـو أصولي وفقيه ومطلع على علم الحديث مع قلة المراجع المتيسرة في ذلك الوقت ونجد ان اطلاع هذه الطائفة على علوم العربية والأدب كان سبباً لأن تكون مؤلفاتها اكثـر انسجاماً واكثر رصانة وهذا واضح في مـؤلفات ابن بركة وواضـح في جامع ابي الحسن الذي هو تلميذ ابن بركة.

والعالم المحتفى به ايضا مؤلفاته تدل على ذلك فكتاب الضياء مع كونه كتابا فقهيا الا ان الصبغة الأدبية، –كما قلت– واضحة عليه وضوحاً بينا.

ومن هـذه المدرسة العـلامة ابن النضر الـذي قيل عنـه انه شـاعر العلماء وعـالم الشعـــراء وحسب ما يبـدو لي فانه منتسب إلى هـذه المدرسة وذلك واضح مما قـاله في قصيدته اللامية التي تشدد فيها على القائمين على الامام الصلت حيث قال:

هبوا اليه في لهام جحفل ... ليسوا أولي دين ولا تعقل
فازمع الصد على الترحل ... فهو امام لم يكن بمعزل
لم يرتكب ذنبا ولم يبدل

فهذا تشدد حيث وصف أولئك بأنهم ما كانوا أهل دين ولاكانوا أهل تعقل وانما كانت نزوة شبابية طائشة دفعتهم إلى ما دفعتهم اليه من القيام على الامام الصلت وهذه اللهجة الحادة في التعبير عن ذلك دالة على انه كان منتسبا إلى الرستاقية.

التعقيب على بعض المسائل الفقهية

وبالنسبة إلى العلامة الكبير المحتفى به (صاحب الضياء) نجد من علمائنا المتاخرين من حاولوا ان يتعقبوه في بعض المسائل وفي مقدمة هؤلاء الامام الربانى ابونبهان جاعد بن خميس الخروصي -رحمه الله تعالى- فقد ألف كتابا خاصا بأحكام العِدد أي عِدد النساء تعرض فيه لبعض المسائل التي جاءت في كتاب الضياء.

ولاريب أنه كان في كثير من المسائل منصفا لصاحب الضياء انصافا بينا ظاهرا الا انه في بعض المسائل تحامل عليه بسبب ما وجد من مخالفة لادلة الواقع فهو ربما تحامل عليه في بعض المسائل لانه كان يتسرع إلى نقل الاجماع في مسائل مختلف فيها **ومن امثلة المسائل المختلف فيها التي دخل فيها صاحب الضياء بالاجماع ما ذكره من الاجماع على أن مدة الحيض اقلها يوم وليلة** وهذه المسالة مسالة خلافية فبعض العلماء قال: ان مدة الحيض اقل من هذا وبعضهم قال: اكثر من ذلك وقيل: إن أقل مدة الحيض دفعة فالدفعة تكون حيضا كما هو قول مشهور عند الشافعية وقيل: بأن مدة الحيض اقلها ثلاثة أيام واكثرها عشرة أيام وهذا هو قول اكثر علماء المذهب عندنا وقول الحنفية ايضا **فالامام ابونبهان تعقب صاحب الضياء** وبين ان نقله بالاجماع كان نقلا خاطئا وان كانت المسالة نفسها مما يتسامح في الخلاف فيه لانها مسالة فرعية **كذلك ايضا نجد ان صاحب الضياء نقل الاجماع** فيما اذا تزوج رجل امرأة وأرخى عليها الستر ادعت المرأة بانه لم يطاها والرجل اعترف بذلك؟ قال: بأنه اجمع بانهما لايصدقان في العدة وان صدقا في الصداق بحيث يسقط عن الرجل نصف الصداق لايلزمه الا نصفه ولكن العدة بما انها حق لله -تبارك وتعالى- فأنهما لايصدقان في ذلك وتجب العدة عليهما معاً.

وقد تعقب الامام أبونبهان -رحمه الله- هنا بأن المسالة اختلف في اصلها قبل كل شيء هل العدة حق لله أم هي حق للزوج ولكن الله شرعه ولايجوز ان يسقط؟ فمن قال هو حق للزوج فعندما يعترف الزوج بانه لم يكن موجبا لهذا الحق وذلك بعدم مباشرته اياها فإن هذا الحق يجب ان يقال بأنه ساقط فالمرأة ادعت انه لم يباشرها والرجل صدقها على ذلك

كما ادعت بفرض العدة عليها، مع ان العدة شرعها الله -تبارك وتعالى- من اجل المحافظة على حق الزوج والآية القرآنية تقول: ﴿فما لكم عليهن من عدة تعتدونها﴾[1]. فالعدة شرعت لاجل الرجل ولاجل المحافظة على النسب وبما انه ادعى انه لم يكن موجبا لهذا الحق فإن الحق يسقط من أساسه.

أما من قال.. انها حق لله فإن اسقاط الزوج لهذا الحق لايسقط حق الله -تعالى- لا يسقطه اسقاط أحد من الناس ولكنهم بجانب ذلك.. قالوا: لايجوز ان يقال حتى عند من يعتبر هذا الحق لله -تبارك وتعالى- انهما عندما يصدق بعضهما بعضا بحيث كل واحد منهما يقول، ما قاله الآخر من عدم وقوع المباشرة لايبعد أيضا أن يصدقا في ذلك وان كان حقا لله من باب الطمأنينة ولكنه فرق بين التفريع على التأصيل الأول وهو قول من قال هذا حق للزوج نفسه وبين هذا التفريع الأخير وهو قول من قال: بان هذا حق لله -سبحانه وتعالى- ولكن بما أن الزوج يصدق المرأة بعدم مواقعته اياها يسقط حق الله -تبارك وتعالى- عنهما فرع هذا التأصيل وذلك التأصيل لانهما يصدقان بناء على التأصيل الأول حكما ويصدقان بناء على التأصيل الثاني طمأنينة ثم قال: ولايبعد أن يصدقا حكما أيضا حتى على التأصيل الثاني ذلك لأن المرأة مؤتمنة على حق الله -سبحانه وتعالى- ومن أجل كونها مؤتمنة على هذا الحق كانت مصدقة فيما إذا ادعت ان عدتها قد انتهت ويباح لها أن تتزوج بمن شاءت بعد ادعائها ذلك عندما يمضي من الوقت مقدار ما بوسع هذه العدة المفروضة.

وفي نفس الوقت أيضا تصدق المرأة عندما تدعي انها حامل وتصدق عندما تدعي انها غير حامل. فعندما تدعي انها حامل يكون لها الحكم الشرعي للحامل وهو الانفاق عليها إلى أن تضع حملها وتكون وارثة للزوج إذا مات في أثناء المدة لو كان هذا الطلاق رجعيا وعندما تدعي انها بريئة من الحمل وتدعي انها مرت عليها ثلاثة قروء التي فرضها الله -سبحانه وتعالى- عليها العدة تصدق أيضا في ذلك ويباح لها ان تتزوج بمن شاءت، إذاً عندما تقول هذه المراة أنه لم يكن هناك ما يوجب هذا الحق عليها ويصدقها الطرف الآخر وهو الزوج فلا مانع من أن يصدق في ذلك أيضا حكما.

وقد يأتي صاحب الضياء في المسألة برأي واحد ويؤيده الامام أبونبهان على ذلك الرأي الذي أورده ولكن بما انه يسوقه مساق القول المتوحد يتعقب الامام أبونبهان بيان الخلاف في ذلك فقد يورد القول الراجح الذي يتفق معه الامام أبونبهان -رحمه الله- على ترجيحه ويتبع ذلك بيان رجحانية هذا القول لبيان ما يثبته من كتاب الله ثم يتبع ذلك بيان الأقوال الأخرى ومآخذ تلك الاقوال.

---

(١) جزء الآية (٤٩) من سورة الأحزاب.

مواقفـــه

ومن أمثلـة المسائل التي وافقـه الامام أبـونبهان على رأيـه فيها إلا أنـه بين الخلاف في مسألـة ما إذا اختلط الأمـر على المرأة بسبب استحـاضتها فلم تعـرف التفـرقة بين زمـان حيضـها وزمان طهرها.

فالعلامة صاحب الضياء اقتصر في هذا على القول بانها تعود إلى الأخذ بالشهور بدلاً من القروء لأن حكمها في هذه الحالـة كحكم الآيس وكحكم الطفلة التي لم تحض إذا طلقتا فالله -تعالى- يقـول: ﴿واللائي يئسن من المحيض من نسـائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثـة اشهر واللائي لم يحضن﴾[1]. وافقه الامام أبونبهان على أن هذا القول هو القول الراجح وعزاه أيضا الامام أبونبهان إلى طائفة من العلماء منهم أبـو المؤثر وأبوسعيد الكدمي وآخرون من العلماء وبين ماخذه من الكتاب العزيز: بـأن الآيس والطفلة إذا رجعتا إلى الاعتداد بالشهور نظـرتـا إلى ان الشهـر يحل محل الحيضة والطهـر لان عـادة المرأة ان تحيض وتطهـر في شهرها فالحيض والطهر -فى الغالب انه في النسـاء- لايتجاوز الشهر الواحد وغالبا النساء يحضن في الشهر الواحد ويطهرن فيه طهـرا يعقبه حيض ولذلك جعل الله -تبارك وتعالى- ذلك مناطا للحكم عندما تكون المرأة آيسا من حيضها أو تكون دون سن المحيض.

وبين أن الدلالة الثانية على ذلك هي قول الله -تبـارك وتعالى- ﴿ان ارتبتم﴾ فالريبة هنا حاصلة ولما كانت الريبة حاصلة كانت الدعوة إلى دفع هذه الريبة بما تدفع به عندما تكون المرأة آيسا أو قـد تكون المرأة دون سن الحيض غير انه قال: ان هـذا القول ينبغي ان يعلم انه ليس هو القول الاوحد في هذه المسألة فالخلاف مشهور بين العلماء فيها وذكر نحوا من عشرين قولا منهـا، انها تجعل مكان كل حيضـة وطهر خمسـة واربعين يومـا نظرا إلى أن اقصى مدة للحيض فيما قيل: خمسة عشر يـوما والشهر تتركه للطهر وعلى هـذا تعتد مائة يوم وخمسة وثـلاثين يوما **وقيل بانها تعتد مائة يـوم وخمسة أيام وقيل: انها تعتد خمسة وثمانين يوما وقيل: تعتد خمسة وسبعين يوما وقيل تعتد سبعين يوما وقيل: تعتد ستين يوما.**

وذكر بعد ذلك أقـوال المتشددين التي منها **انها تعتد عاما كامـلاً، ثلاثة اشهر لاجل بـــراءتها من الحيض،** وتسعة اشهـر لاجل براءتها من الحمل وقال: ان هـذا لا يبعد أن يكون من بـاب الاحتياط **وكذلك القول الآخر بانها تعتـد عامين كاملين لأن أقصى مدة الحمل عـامان** عنـد بعض العلماء **وقيل: تعتد ثلاثة أعـوام وقيل: تعتد أربعة أعوام وقيل: اقصى مـدة الحمل أربعة أعـوام وقيل: تعتد سبعـة أعوام عند من يقـول بأن أقصى مدة الحمل سبعة أعوام وهكذا.**

---

(١) الآية (٤) من سورة الطلاق.

ومن المسائل التي وقع فيها الخلاف بين الشيخين **عدة المفقود أو المفقودة** فلاريب أن عدة المرأة عندما تفقد زوجها أن تتربص أربعة أعوام ثم بعد ذلك تطلق طلاقا شرعيا بحيث يطلقها وليّ الرجل وينظر القاضي الشرعي ذلك الطلاق وتعتد بعد ذلك -كما قيل- عدتين، عدة وفاة، وعدة طلاق، بعد ان يحكم القاضي الشرعي بأنه في عداد الموتى وهذه المدة وهي أربع سنوات هي التي وقع عليها الاتفاق في عهد عمر -رضي الله عنه- عندما فقد من فقد حيث أمر ان تتربص المرأة التي فقد زوجها أربع سنوات ولكن أن فقدت المرأة متى يباح للرجل أن يتزوج باختها أو عمتها أو خالتها أو يتزوج المرأة التي يحرم عليه ان يجمع بينها وبينه **فصاحب الضياء قال:** يتربص عاما واستبعد ذلك الشيخ أبونبهان وقال.. اما أن يكون تربصها عاماً واحداً يجعلها في عداد الموتى ويحكم عليها بسبب ذلك باحكام الموتى وفي هذا تفرقة ما بين حكمها وحكم الرجل ولا دليل على هذه التفرقة واما ان يقال بانه يطلقها وعندما يطلقها تكون في حكم المطلقات فاذا مضت عدتها تكون اختها حلالا له وتكون عمتها حلالا له وخالتها وكذلك تكون ابنة أختها وبنت أخيها.

وعلى هذا الاحتمال الاخير لابد من مراعاة احتمال **أن تكون حاملا** ولئن كانت في حكم الحوامل فان الخلاف موجود في ذلك هل تتربص عاماً نظرا إلى ما هو مألوف أن النساء عادة لايتجاوز حملهن تسعة اشهر الا قليلا، فتجعل ثلاثة اشهر لحيضها فيما لو كانت غير حامل، وتسعة اشهر لحملها احتياطا لئلاّ تكون حاملا أو تكون مدة عدتها سنتين أو ثلاث سنوات أو أربع أو سبع وبعد ذلك يحل له ان يتزوج بمن يحرم عليه أن يجمع بينها وبينه.

وكذلك كان صاحب الضياء من المتشددين في المرأة التي بلغت الحلم بغير الحيض التي عدت شرعا بانها في حكم البوالغ ولكنها لم تحض فيما اذا طلقت، وقال: بأنها تعتد عاماً كاملا، ثلاثة اشهر من أجل اعتبارها حائلا «أي غير حامل» وتسعة اشهر لئلاّ تكون حاملاً.

والشيخ أبونبهان ذكر خلاف هذه المسالة وقال: بان هذا القول لايعدو ان يكون من باب الاحتياط وإلا فان لم تكن عليها امارات الحمل فحسبنا ظاهر النص وهو قول الله -تبارك وتعالى- ﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن﴾ فقوله: ﴿واللائي لم يحضن﴾ يصدق على التي لم تحض لصغرها وعلى التي لم تحض لسبب آخر.

كذلك شدد صاحب الضياء أيضا حين قال: بأن المرأة تعتبر خارجة عن عدتها حتى تحيض ثلاث حيضات كل حيضة من هذه الحيض الثلاث كسائر الحيضتين الأخريين

بحيث لايكون هناك تفاوت، وان لم يكن كذلك، فعليها ان تنتظر حتى تحيض ثلاث حيض على وتيرة واحدة لئلاّ يكون بعض الدم الذي خرج منها مجرد استحاضة **والامام ابونبهان لم ير رأيه في هذه المسألة وقال:** لأن الأصل في الدم الحيض وخصوصا عندما يأتي في فترة الحيض ولابد من اشتراط ان تمر الفترة التي يمكن ان تتخذها المرأة طهرا بين الحيضتين فاذا ما اعقب هذا الطهر دم اعطته للحيض ولو كانت المدة متفاوتة سواء نقصت المدة أو زادت إذا كانت المدة الناقصة كافية لان تعد حيضة كاملة.

وفرّق صاحب الضياء ما بين حكمي الحيض والنفاس في حرمة المرأة على الرجل اذا باشرها في أثناء دمها وهذه التفرقة لم تسغ للشيخ ابي نبهان نظرا إلى ان النفاس حيض زادت ايامه وبما انه حيض زادت ايامه فان تلك الفترة (فترة النفاس) لا تختلف عن فترة الحيض فاما ان يقال ان المرأة لا تخرج عن عصمته لو واقعها بجانب كونه آثما في هذه المواقعة سواء واقعها بدم الحيض أو في دم النفاس واما ان يقال بأنها تخرج عن عصمته ولكن الامام السالمي –رحمة الله– مع كونه من المؤيدين لمدرسة ابي سعيد كان في هذه المسألة مع صاحب الضياء فبعد ان ذكر بأن حكم الحيض وحكم النفاس واحد من حيث حرمة الوطء فلا يجوز الوطء في دم الحيض ولايجوز في دم النفاس وان النفاس حيض زادت ايامه وقال: بان قوله الذي ذهب اليه في التفرقة كان هو قول الاكثرين.

يقول السالمي:

وذا المقال في القديم اكثر	***و المتاخرون منه استنكروا***
بالغ الشيخ ابونبهانا	***أنكره على الضيا اعلانا***
وانما المصيب في ذاك الضيا	***وان يكن اكثرهم ما رضيا***

رجح رأي صاحب الضياء وبنى هذا على أن النص القرآني ذكر أن حكم الحيض والنفاس حكمه محمول على حكم الحيض بالسنة وبالاجماع ولكن بما ان النص جاء في الحيض فان التشديد ينبغي ان يكون في المحيض اكثر منه في النفاس.

وخلاصة هذه المسألة أن العلماء اختلفوا فيما اذا اجترأ رجل فواقع امراته في أثناء حيضها هل تحرم عليه بذلك أولا تحرم عليه وانما تجب عليه التوبة أو تجب عليه التوبة والكفارة؟ والكفارة هي ما يعبر عنه بدينار الفراش وقد جاءت بذلك رواية عن النبى ﷺ الا ان فيها شيئا من الاختلاف ولذلك عد كثير من العلماء هذا الاختلاف تضاربا بين هذه الروايات فاسقطها بسبب ذلك الذين قالوا بحرمة المرأة عليه قالوا: بان هذا من باب سد الذرائع فعوام الناس لايخشون عقوبة الله –سبحانه وتعالى– كما يخشون الحيلولة بينهم وبين المرأة وجعلوا هذا من باب من تعجل شيئا قبل أوانه عوقب بحرمانه وحملوه عما إذا

تعجل انسان الارث من موروثه فقتله أو تعجل وصية يستحقها ممن أوصى له فقتله فاذ لايستحق الوصية ولايستحق الأرث.

والطائفة الأخرى من العلماء قالت: انه لم يأت نص يدل على التفريق بين المرأة وزوجه بسبب مواقعته اياها في الحيض وانما النص جاء دالا على حرمة هذا الوقاع فليس لنا أن نأتي بحكم لم يأت به النص من تلقاء انفسنا، على ان تلك المرأة حلت لذلك الرجل بحجة شرعية وحرمتها عليه تتوقف على حكم شرعي واضح لايقل قوة عن الحكم الذي اباحها له.

وبما ان التفرقة بينه وبينها تؤدي إلى أن يستحل الرجال خطبتها والاستمتاع بها بعدما يتزوجها من يتزوجها منهم فان هذه جرأة تؤدي إلى استباحة فرج بطريقة لم يأت بها دليل على هذه الاستباحة فالاصل أن تكون هذه المرأة فراشا للزوج الأول وخروجها عن الزوج الأول يتوقف على الدليل أولئك **المتشددون منهم من فرق بين الحيض والنفاس والامام ابونبهان لم يستسغ هذا التفريق ما بين الحيض والنفاس** فلذلك انكر الذي انكره على صاحب الضياء وهو يشير في مقدمة كتابه هذا الذي تعقب فيه كلام صاحب الضياء مشيرا إلى أن الخلاف في هذه المسائل وقع بين الشيخين اللذين هما قطبا المدرستين المختلفتين فقد ذكر بان هذا الخلاف صورة مما اختلف فيه فقال: هكذا الصورة التي اختلف فيها أبو محمد واقليد اقفال مغاليق أبواب العلوم أبوسعيد -رحمه الله- فهو يرى أن هذا الخلاف صورة من الخلاف الواقع بين رائدي المدرستين المختلفتين.

ومع هذا كله فان أبا نبهان -رحمه الله- نفسه مقر لصاحب الضياء وعندما يكون القول الذي قاله معتضدا بالدليل نجده يتعقب ايراده ببيان حجته وبيان مأخذه وبيان قوته وانه تجاه الاقوال الأخرى هو أقوى منها بكثير.

انفراده ببعض الآراء

وتبين لنا ان لصاحب الضياء آراء انفرد بها دون غيره فهو وان كان من تلامذة ابي محمد لربما قال قولا لم يسبقه اليه أبومحمد وهو من تلامذة ابي محمد بالواسطة لا مباشرة ولكنه قد يأتي بقول لم يسبق اليه ولما يقوله وجه، لو رجعنا إلى مقاصد الشريعة وإلى النظر في أصول الشريعة فمن المسائل التي قيل بانه لم يسبق لها تشدده تجاه بيع الارقاء بحيث لم يسغ لأحد ان يبتاع رقيقا أي ابتياع أحد الا بعد اعترافه انه مملوك لبائعه وبدون ذلك يقول بانه لايسوغ لاحد ان يشتري الرقيق بدون هذه الطريقة وهذا نص عليه في باب المماليك في الجزء الرابع من الضياء ونقله عنه ايضا المحقق الخليلي -رحمه الله- في فتاواه وذكر بأنه انفرد بهذا القول دون سائر العلماء ولهذا القول مساغ في النظر فتوجيهه وجيه ذلك لأن الأصل في الانسان الحرية وبما ان الاصل في الانسان الحرية فان هذه

الحرية يجب أن تحترم ويجب ان تراعى ونجد ان الإسلام الحنيف جاء مجففا لمنابع الرق ولم يبق منها اى منبع الا واحدا فقط وهذا المنبع الواحد الذي استبقاه الإسلام انما هو في حكم المعاملة بالمثل، فالمشركون الذين كانوا يفعلون ما يفعلون في المسلمين ويحرصون على ايذائهم وعلى استرقاقهم واستعبادهم فعندما تكون دعوة إلى الإسلام ومن أجل هذه الدعوة يكون الجهاد بين المسلمين والكفار الذين يريدون ان يقفوا في سبيل هذه الدعوة مباح للمسلمين أن يسترقوا الكفار وفي ذلك معاملة بالمثل وبجانب هذه المعاملة بالمثل أيضا في ذلك وسيلة لاقناع هؤلاء بالإسلام وتربية أطفالهم على الإسلام وصقل عقولهم بنوره.

ولكن بجانب ذلك حرص الإسلام على القضاء على ظاهرة العبودية فشرع عتق الرقاب في شتى المناسبات ونجد ان العتق مقدم على غيره فالعتق مقدم على الصيام، ومقدم على الاطعام في الكفارات الا كفارة اليمين فان العتق فيها ذكر بجانب الطعام وبجانب الكسوة ﴿فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة﴾(١). وأما بقية الكفارات فذكر العتق قبل غيره سواء كان ذلك في مقام التخيير أو كان ذلك في مقام ذكر الابدال **اذاً يستوضح من هذا ان العتق هو اكثر قربة إلى الله** -تبارك وتعالى- من الصيام ومن الاطعام ولئن كان هو القربة الأولى إلى الله -تبارك وتعالى- في مجال التكفير فان ذلك يدل دلالة واضحة على ان كرامة الانسان هي التي تراعى فلأجل ذلك نظر صاحب الضياء إلى الذين يساقون سوقا في أسواق النخاسة من اجل بيعهم انهم قد يكونون غير قادرين على التعبير بأنهم ليسوا من الارقاء فسكوتهم لم يعتبره حجة وأن كان السكوت حجة في مجالات أخرى، وسائر العلماء يعتبرون، السكوت حجة كما هو في سائر المقامات وسائر المواضيع.

ونجد ان العلامة العوتبي في كتابه الضياء يحرص على تتبع ما ذكره العلماء السابقون من العتق فهو عندما يورد كلامهم يورد ما احتجوا به من أدلة، فكثيرا ما يورد عن ابن بركة واستدلالاته ويورد عن ابي الحسن واستدلالاته ويورد عن ابن محبوب واستدلالاته ولايبعد ان يكون كتاب ابن محبوب الذي يشير اليه في ضيائه هو الكتاب الذي يذكر ولا يوصل في وقتنا هذا هو جامع ابن محبوب الشهير الذي يقال بانه كان في سبعين سفرا ولكنه فقد، ذكر البدر الشماخي انه اطلع على جزء واحد منه في أحكام الحيض وان أحد العلماء في بلاد المغرب كان يقرأ له من هذا الجزء وكلما جاءت مسألة قال: هذا هو العالم الفقيه.

فان صاحب الضياء كثيرا ما يورد عن كتاب ابن محبوب فلا يزيد على قوله: (ومن كتاب محمد بن محبوب) أو من كتاب ابي عبدالله ويورد مسائل فيها استدلال وفيها

---

(١) جزء الآية (٨٩) من سورة المائدة.

مناقشة فلا يبعد أن يكون هذا الكتاب هو الكتاب الشهير الذي هو سفر ابن محبوب الشهير الذي كما قيل يتكون من سبعين جزءا.

مكـــانة الكتـــاب

وبالجملة فان كتـاب العوتبي (الضياء) جامع لأبواب الفقه بحيـث يجد فيه الفقيه بغيته ومـا ذكر من مـلاحظات عليـه من قبل العلماء لاينقص شيئا قط من قيمتـه فان كل عـالم مأخـوذ من قوله ومـردود عليه الا رسـول الله ﷺ ، وليس اختيار بعض أهل العلـم كتاب الضياء لأجـل المناقشة لما فيـه من المسائل الا مـن أجل أن هذا الكتـاب ذو أهمية ومكـانته مكانة مرمـوقة ما بين كتب الفقه الإسلامي ثم بجـانب كونه كتاباً جامعـاً لأبواب الفقه هو كتاب جامع لأقوال كثير من العلماء الذين يسوق أقوالهم.

وقـد جاء سبكـه سبكاً أدبيـا رصينا -وكما قلـت- فهو يتميـز بما تتميز بـه مؤلفـات المدرسة الـرستاقية في قـوة السبك وبحسن العبارة وبتـآخي المسائل وترابطهـا وكما يقال فنية التأليف التي كانت مـوجودة في المدرسة الرستاقية أكثر ممـا هي موجودة في المدرسة النزوانية فالكتاب رصين وهو جدير بـان يحقق واضم صوتى إلى أصوات الذين قالوا بانه ينبغي ان تحقق مؤلفـات العلامة العوتبي ككتـاب الابانة وكتاب الانسـاب وان يستفاد من النسخ العديدة الموجودة وأؤكـد أنه لابد أن تقدم خدمة للأمـة الإسلامية من خلال تحقيق هذه الموسـوعة الفقهيـة الأدبية الـواسعة وهـذا يتطلب جمع ما يمكن جمعه مـن نسخ هذا الكتاب وهو كما قيل في أربعة وعشرين جزءا الا ان العلامة البرادي -رحمه الله تعالى- ذكر في كتابه الجواهـر المنتقاة بان النسخة الكبيرة منـه هي في خمسين سفرا فهل تلك النسخة الكبيرة تختلف عن النسخة الموجودة المتداولـة والتي تتكون من ٢٤ جزءا أو هي نفس هذه الاجزاء ولكنها وزعت إلى ٥٠ جزءا؟ الله أعلم بذلك ولكن البرادي عنـدما ذكر انه يتكون من خمسين سفراً قال: اطلعت على ثلاثة اسفـار وكل واحد منها ضخم كبير فلعل هناك نسخة هي أوسع من تلك النسخة التي بقيت عندنـا في عُمان ولعل التي اشار اليها انتقلت إلى بلاد المغرب واطلع البرادي على هـذه الاسفار ولربما تـوهم انه يتكون من (٥٠) مجلـدا أو كان ذلك من طريقة التحري لأنه نظرا إلى المسـائل الموجودة في الاجزاء الموجودة منه ونظرا إلى أنه مـوسوعـة مشتملة على أبـواب الفقه المختلفـة قدر مـا لم يطلع عليه إلى ما اطلـع عليه ،محتمل ذلك، على ان المشهور عنـدنا ان هذا الكتـاب هو في (٢٤) جـزءا وقد اعتنى الشيخ أبومـالك عامـر بن خميس المالكي -رحمه الله- في السنين الأخيرة بجمعه واحضر ثـلاثة أو أربعة من النساخ من أجل نسخـه وقيل بانه اجتمع عنده من اجزائه ثـلاثة وعشرون جزءا والله سبحـانه نسأل أن يـوفقنا للخير وان يحفظ هـذه البـلاد وقائدهـا وان يأخذ بأيـدي الجميع إلى ما فيه الخير. واشكركم مرة أخرى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

القـراءة الثالثـة

العوتبـــي نســـابة

أحمـــد بن ســـعود الســـيابي

مدير عام مكتب سماحة مفتي عام السلطنة

تمهيـد :

العوتبـــي من هـــو ؟

هو أبوالمنذر سلمة بن مسلم بن ابراهيم الأزدي العوتبي الصحاري. والعوتبي نسبة إلى عوتب منطقة في صحـار كانت تسمى في القديم «عوتب الخيـام» والآن يطلق عليها «عوتب» أمـا كونـه من الأزد، فيرى الشيخ سيف بن حمود البطـاشي في كتـابه «اتحاف الاعيـان في تـاريخ بعض علماء عُمان» الجزء الأول ص٢٧٣-٢٧٥. انه من طـاحيـة، وتابعـة على ذلك الدكتور/ عصام بن علي السرواس في كتابه «نظرة على المصادر التاريخية العُمانية». وقبيلة طاحيـة التي بشيران اليها هي من طاحية بن سـود بن الحجر بن عمران بن عمرو مـزيقيا من الأزد. والذي عندي ويظهر لي انـه من العتيك. وهم بنو العتيك بن الاسد بن عمران بن عمـرو مزيقيـا الخ النسب. من قـوم المهلب بن أبي صفرة، وبنـو العتيك هم الـذين كانـوا منتشرين في الباطنة إلي دبا، ومعهم بنو سليمه وفـراهيد، بنو مالك بن فهم الأزدي فقد جاء في الانساب للعوتبي، ونقله عنه المؤرخون من بعده. حول أسباب وقعة الروضة بتنوف بين راشد بـن النضر والناقمين عليه. قـال «وذلك ان جماعة مـن اليحمد ارادوا عزل راشـد بن النضر إلى أن قـال «وكـاتبـوا مسلماً وأحمد بن عيسى بن سلمـة العـوتبي وسألـوهما أن يبايعالهما في الباطنة من العتيك من بني عمران ومن كان على رأيهم من ولد مالك بن فهم» إلى آخر القصة. ولم يات ذكر لقبيلة طاحية، ولا لاحد من أفرادها. ولعل قبيلة طاحية لم تك واسعة الانتشار. واكثر قبـائل الأزد انتشاراً في عُمان تلك القبائل المنحدرة من العتيك ومن اليحمد ومن بني مالك بن فهم.

وقد عاش العلامة العوتبي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري. وذلك لأن من مصادره في كتـاب الانساب كتـاب جمهرة نسب العـرب» لابن حـزم الاندلسي المتـوفى سنة ٤٥٦هـ فقـد نقل عنه نسب بنـي لقيط بن الحارث فقد جـاء في كتاب «الانساب» للعـوتبي الجزء الثاني من المطبوع ص٢٣٤، «قال الانـدلسي. فمن بني الحارث بن مالك بن فهم، بنو لقيط بن الحارث منهم كعب بن سور بن بكـر» وللمقارنة يمكن الرجـوع إلى جمهرة نسبُ العرب» ص٣٨٠. وابن جزم توفي ٤٥٦هـ. ولاشك ان كتابه وصل إلى العلامة العوتبي بعد ذلك الوقت نظراً لبعد المسافة بين عُمان والاندلس. وقد ذكر ابن حزم قصته بوقت اشياخه حيال الرجل الذي توفي سنة ٤٢٢هـ.

يقـول الشيخ سيف بن حمود البطـاشي في كتـابـه اتحاف الاعيـان بأنـه حمل العلم عن الشيخ أبي علي الحسن بن سعيد بن قريش العقري النزوي الذي توفي سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة.

مؤلفـــاته :

١- الضياء وهو موسوعة فقهية يقع في أربع وعشرين مجلداً.

٢- الانساب في الانساب والتاريخ.

٣- الابانة في اللغة والأدب.

٤- رسالـة وجهها إلى علي بن علي وأخبه الحسين بن علي في كلوه بشرق أفـريقيا. بين لهم فيها أصول المذهب الاباضي.

٥- رسالة إلى ولديه .. لحثهم على التمسك بالدين ولمعرفة أحكام الإسلام.

أهمية علم الانساب :

اهتمت العرب بالانساب كعلم من علومهم وروايات من رواياتهم منذ الزمان، فقد وجد علم الانساب بوجود العرب على شكل أخبار وروايات يأخذونها كابرا عن كابر، ويتداولونها آخراً عن أول، معتمدين في نقل وتداول تلك الروايات الشفهية على قوة الذاكرة وصفاء الذهن والاستعداد الفطري لضبط هذا العلم واحكامه تحملاً واداءً.

والظاهر انه لم تهتم أمة من الأمم بانسابها كاهتمام العرب بانسابها ولانستبعد أن يكون للتفاخر الذي انتهجه العرب لاسيما في جاهليتهم دور في تنمية هذا الاهتمام، وباعث لهم على الاعتناء بحفظ انسابهم ومعرفتها.

بيد أن ذلكم الاهتمام بالانساب من العلوم أخباراً وروايات وتدويناً كان في الإسلام أكثر بروزاً وأوضح ظهوراً، لأسباب ثلاثة:

١- **ورود آيات في كتاب الله العزيز** وأحاديث نبوية تحث على التمسك بالنسب وعلى أن يعرف الانسان نسبه وأصوله منها قوله تعالى ﴿يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، أن اكرمكم عند الله اتقاكم، ان الله عليم خبير﴾[١]، وقوله تعالى: «ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فأخوانكم في الدين ومواليكم»[٢]، ففي هاتين الآيتين دليل على أهمية أن يرتبط الانسان بأصوله نسباً.

ويقول الرسول ﷺ «تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم»[٣]، ويقول في حديث آخر «من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولايقبل منه صرف ولا عدل»[٤]، ولقد فهم المسلمون من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وجوب الانتساب إلى الآباء والاجداد وان يعرف الناس أصولهم.

٢- **ترتب كثير من الاحكام الشرعية على النسب** كالمواريث والوصايا ومعرفة نبينا محمد ﷺ وغير ذلك.

وهذه الأمور لابد فيها من معرفة الانساب لوضع كل شيء في موضعه وحتى لايختلط الحابل بالنابل في اعطاء كل ذي حق حقه من الميراث والوصايا.

وقد ذكر ابن حزم في كتابه (جمهرة انساب العرب)، قصة تدل على فضل معرفة النسب وأمكن بذلك اعطاء الارث لمستحقه فقد حكى قائلاً «ومات بقرطبة سنة ٤٢٢ هجرية محمد ابن عبيدالله بن عبدالله بن عبدالله بن مراون بن عبدالله بن مسلمة بن عبدالرحمن بن معاوية

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣.
(٢) سورة الاحزاب آية ٥.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) الجامع الصحيح، مراسيل الامام جابر بن زيد.

ابن هشام بن عبدالملك بن مروان بن الحكم الكاتب، وهو آخر من بقي من ولد مسلمة بن عبدالرحمن بن معاوية المعروف بكليب واليه تنسب ارحي كليب التي على النهر بقبلي قرطبة، فورثت انا ماله محمد بن عبدالملك بن عبدالرحمن بن عبدالملك بن عبدالرحمن بن سعيد الخير بن عبدالرحمن بن معاوية بالقعدد، ودفعته اليه وقضيت له به، وما كان عند محمد بن عبدالملك بن عبدالرحمن هذا علم بأنه مستحق هذا المال، ولا كان له طمع في اخذه، فلولا علمي بالنسب لضاع هذا المال وأخذه غير أهله بغير حق، ومثل هذا كثير»(١).

٣- تدوين العلوم :

بدأ في العهد الإسلامي الاهتمام بالكتابة والقراءة والتأليف، فقد حث القرآن على تعليم القراءة والكتابة، وبدأ المسلمون في كتابة الأحاديث عن النبي ﷺ في بعض الصحف، ثم أخذ التدوين في التوسع وشمل علوماً كثيرة كان من بينها علم الانساب.

على أن أول عمل لتدوين الانساب يرجع إلى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حينما أمر بتدوين أسماء قبائل العرب في سجل وعرف ذلك السجل بالديوان، وذلك لمعرفة الجند ولضبط توزيع العطاء.

وبعد ذلك عندما كان التوسع في التأليف وتدوين العلوم نال هذا العلم قسطاً لا بأس به من الاهتمام وظهرت كتب عديدة في علم الانساب.

واعتبر علم الانساب عاملاً مساعداً لغيره من العلوم فالعوتبي يرى في علم الانساب «أكثر معونة وفائدة لطالب الأدب والعلم والفقة من غيرها لأن طالب العلم والحديث إذا لم يكن يدري علم النسب وسمع حديثاً قد صحف فيه اسم واحد على غيره جهته، أو نقل من قبيلة إلى غيرها جاز ذلك عليه، واذا كان بالانساب عالماً، وبالأخبار عارفاً انكر ذلك ورده إلى نسبة واسمه، وأتى بالصواب في موضعه وحقيقة أصله».(٢).

اهتمام العُمانيين بالانساب :

يأتي اهتمام العُمانيين بالانساب والتمسك بها امتداداً لاهتمام العرب بذلك، فالعرب -كما اسلفت- من أكثر الشعوب تمسكاً بانسابها، وقد برز عُمانيون لهم اهتمام قوي وتعمق في معرفة الانساب وضبطها، ويذكر العوتبي قصة ذلك الرجل العُماني الصحاري الذي وقف بسوق عكاظ وقد ازدحم عليه الناس يسألونه عن انسابهم وهو يبين لهم أصولهم وانسابهم ويرجعهم اليها، حتى مر به عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي الذي ينتمي إلى واحد من اشرف البيوتات نسباً في العرب، فحاوره حول نسبه المتسلسل في بطون

---

(١) ابن حزم الاندلسي - جمهرة أنساب العرب ص٥.
(٢) العوتبي / الانساب ج١ ص٨.

تميم بطناً بطناً حتى وقف بـه على اسمه شخصياً، الأمر الـذي حمل عطارد بن حاجب بن زرارة بن عُدُس التميمي على التعجب من ذلك النسابة العُماني الصحاري قائلاً له «ما رأيت أحداً قط أعلم منك» فرد عليه العُماني النسابة «وأنا لم أر قط أحداً أعلم منك».

ومن أراد الـوقـوف على تلك المحـاورة اللطيفـة فعليـه بالـرجـوع إلى كتـاب الانسـاب للعوتبي[1] غير ان بها اخطاء مطبعية كسائر الكتاب.

ومع هذا الاهتمام من العُمانيين بالانساب وتمسكهم بـانسابهم إلى يومنا هذا حيث تجد القبائل العُمانية متمسكة بانتماءاتها القبليـة بشكل جيد، فأننا لايمكننا أن نخفي اسفنا على النقص الذي حصل في عدم العناية بالتأليف في هـذا المجال مما ترك المكتبة العُمانية يعتريها النقص في هذا العلم.

فمنذ أن الف العوتبي كتـابه في القرن الخامس الهجري -مع انـه لم يكن شاملاً لجميع القبائل العُمانية- لم يصدر كتاب آخر عن الانساب في عُمان سوى بعض المعلومات المتناثرة -وهي قليلة- في ثنـايا كتب التـاريخ والفقه أثنـاء حديثها عن بعـض الأشخاص أو بعض القبـائل، وهي معلومـات لاتسمن ولاتغني من جوع لطـالب هذا الفن، بل لاتسـد له رمقـاً ولاتقيم له أوداً.

وفي هذا العصر قـام الشيخ/ سالم بن حمود السيـابي بتأليف كتاب في انسـاب القبائل العُمانية سماه «اسعاف الاعيان في انساب أهل عُمان» وهو كتاب مختصر جداً أيضاً، اشتمل على ذكـر بعض القبائل العُمانيـة، الا أنـه جهد مشكـور، كما صـدرعن وزارة الداخليـة في السلطنة كتاب يشتمل على ذكر كثير من القبائل العُمانيـة وأماكنها تحت اسم «المرشد العام للولايات والقبائل» الا أنه لايتعرض إلى نسب تلك القبائل ولا إلى بيان أصولها.

وعسى أن تكون هناك محاولات جادة وجهود طيبة في هذا المجال من قبل وزارة التراث القومي والثقافة أو غيرها من الجهات.

العوتبي وكتابه «الانساب» :

هو أبوالمنذر سلمة بن مسلم بن ابراهيم الازدي العوتبي الصحاري من عوتب بصحار، ويرى البحاثة الشيخ سيف بن حمود البطاشي[2] والدكتور/ عصام بن علي الرواس[3] انه من طاحية من الازد، فـاذا كان كما قالا فهو من طاحية بن سـود بن الحجر بن عمران بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء.

---

(١) نفس المصدر ص٩.
(٢) اتحاف الأعيان ج٥ ص٢٧٥.
(٣) نظرة على المصادر التاريخية العُمانية.

فهم وازد العتيك بنـوعم، حيث ان ازد العتيك هم بنـو العتيك بن الاسـد بن عمـران بن عمرو مِزيقيا.. الخ.

ولانستطيع تحديد الـزمن الذي عاش فيه مضبـوطاً بالسنين بيد أنه مـن خلال القرائن التاريخية وبمعـرفة العلماء الذين عاصرهم ونقل عنهم وأخذ عنهم، نستطيع القـول تقريباً بأن حياته كانت في آخر القـرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي حيث انه ينقل عن جمهرة نسب العـرب لابن حزم الاندلسي والذي تـوفي سنة ٤٥٦هـ والعوتبي عـلامة فقيه ولغوي بـارع ومؤرخ ونسابة، وهـو ينتمي إلى مدرسة أبي محمـد ابن بركة امام الفَـرقة الرستاقية.

أما كتابه الانساب فهو يشتمل على مادتين علميتين :

مادة تاريخية ومادة في الانساب.

وقد أفصح عن السبـب الذي دفعه إلى تأليف هـذا الكتاب قـائلاً «فانـي رأيت من ذوي الاحساب من لايعرف سلفه، ورأيت من رغب عن نسب دق وانتمى إلى رجل لم يعقب»(١)، كما نقل عن ابن قتيبة انه رأي رجلاً ينسب نفسه إلى أبي ذر رحمة الله(٢).

وفي موضوع الانساب، فقد ذكر العوتبي في كتابـه انساب القبائل القحطانية والعدنانية، حيث أورد العديد من القبائل القحطانية أو اليمنية بفرعيها الكبيرين حمير وكهلان، والقبائل التي تفرعت وتشعبت من هذين الفرعين الكبيرين حمير وكهـلان، لأن القبائل القحطانية أو اليمنية ترجع اليهما.

أما عن القبائل العدنانية أو النزارية فلم يورد إلا عن بعض قبائل ربيعة بن نزار، كقبائل عبدالقيس وأخـوانهم من قبائل وائل ومن تشعب وتفـرع عن هذين القسمين أو الحيين من ربيعة، وذكر عرضاً بصورة موجزة عن اياد بن ربيعة.

وقد كان تركيزه في إيراد نسب القبائل على القبائل العُمانية بيد أنه يستطرد أحياناً كثيرة إلى ذكر وإيراد نسب القبائل العربية بصورة عامة، وربما يضطره السياق إلى ذلك.

ولعل تركيزه على ذكـر نسب القبائل القحطانية راجع إلى انتمائه اليهم وبالتـالي اطلاعه على أصولهم، أو لأن المادة العلميـة عن انساب القبائل القحطانيـة كانت أكثر وفرة لـديه في ذلك الوقت عن القبائل النزارية.

---

(١) العوتبي ، الأنساب ، ج١.
(٢) نفس المصدر ، نفس الصفحة.

وأيضاً حول حديثه عن القبائل القحطانية كان حديثه عن القسم الكهلاني اكثر اسهاباً عن القسم الحميري.

فقد اسهب في الحديث عن القبائل المتفرعة عن مالك بن زيد بن كهلان والمتفرعة من أدد بن زيد بن كهلان.

لاسيما عن قبائل الأزد وقبائل طيىء وقبائل كندة، كما كان لقبائل الأزد النصيب الأوفر من الحديث ولعل ذلك راجع إلى أدوارهم التاريخية في عُمان وغيرها.

فساعدت شهرتهم التاريخية على اشتهار انسابهم بالنسبة إلى غيرهم من القبائل العُمانية.

على أنه توجد في كتاب الانساب للعوتبي عدة بدايات ونهايات تتخلل الكتاب، فهل معنى ذلك أن الكتاب في أصله مكون من عدة كتب أم انه كتاب واحد من أصله، وانما حدث ذلك لأمر من الأمور.

يرى الدكتور/ محمد عبدالحميد الرفاعي في دراسة وتلخيص له لكتاب الانساب «إلى احتمال ان يكون الكتاب تجميعاً لعدة كتب لنفس المؤلف جمعها الناسخ في موضع واحد»(١)، وذلك لانه لاحظ للكتاب اكثر من اسم ذكرها المؤلف في ثناياه مثل «الانساب» و «موضح النسب» و «الشجرة في الانساب»، والذي يظهر لي حول تعدد عناوين الكتاب بداخله ووجود بدايات ونهايات لذلك، ان المؤلف قام بتأليف كتابه على شكل اجزاء على فترات متفاوتة يشتمل كل جزء على ذكر قبائل ترجع إلى أصل واحد، حسب اطلاعه وتجميعه للمادة المتعلقة بذلك ولعل قيامه بتأليفه كان في آخر عمره، وقد حالت الوفاة دون ترتيبه وتنظيمه وتنسيقه.

ومما يؤخذ على المؤلف دمجه بين الانساب في الكتاب، الأمر الذي كان يضطره إلى الاستطراد في ذكر بعض الأحداث التاريخية حتى أصبح من الصعوبة بمكان الرجوع اليه لأخذ المعلومة النسبية بل وحتى التاريخية.

بيد انه اشتهر في موضوعه شهرة واسعة وانتشرت مخطوطاته في كثير من المكتبات ودور الكتب في العالم، وصار أماماً وحجة لمن جاء بعده من المؤرخين العُمانيين، فما من مؤلف في التاريخ العُماني الا واصل مادته في الأدوار الأولى من التاريخ العُمانى من كتاب العوتبي، وما من مؤلف في الانساب العُمانية أو مهتم بالانساب الا والعوتبي أمام له.

---

(١) دراسة وتلخيص ص١٢ ، ضمن الموسوعة الميسرة للتراث العُماني.

وعلى العموم فقد اعتمد عليه كل من جاء بعده وكانوا عالة عليه في موضوعه واستقى العوتبي معلوماته حول الانساب من مصادر متعددة أهمها :

١- **كتاب الملوك وأخبار الماضين** لعبيد بن شرية الجرهمي الذي طبع بعنوان «أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارهم وانسابهم»، وكان عبيد بن شرية الجرهمي استدعاه معاوية بن أبي سفيان من صنعاء إلى دمشق ليحدثه عن ملوك اليمن وغيرهم من ملوك العرب والعجم وأخبار الماضين، وكانت أحاديثه اقاصيص وأسمارا في مجلس معاوية أن يدون عنه ذلك وينسب اليه، وعاش عبيد حتى أيام عبدالملك بن مروان(١).

٢- **جمهرة النسب لابن الكلبي، وجمهرة النسب** أو النسب الكبير هو لابي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤هـ.

٣- **جمهرة أنساب العرب لابن حزم**، وهو أبومحمد بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي المتوفى ٤٥٦هـ.

٤- **الاشتقاق لابن دريد**، وهو أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد المتوفى ٣٢١هـ.

٥- **المشافهة :**

وهي المعلومات التي أخذها مشافهة وسماعا عن النسابين المعاصرين له وعن القبائل نفسها، حيث جرت العادة على احتفاظ القبائل بانسابها ومعرفتها بأصولها.

هذه هي أهم المصادر التي أخذ منها العوتبي علم الانساب ولاشك أن هناك مصادر غيرها إلا أن هذه المصادر المذكورة يتردد ذكرها كثيراً في ثنايا كتابه، وفي نظري، أن معلومات عن القبائل العُمانية، انما اخذها بالمشافهة والسماع من أهل الخبرة بالانساب في زمانه ومن الحافظين للانساب من رجال القبائل نفسها، وهذا الذي يفسر لنا تركيزه على أنساب القبائل العُمانية بصورة أوسع واشمل لأن المصادر الأخرى لم تورد عن انساب القبائل العُمانية الا النزر اليسير، وكل قوم أولى بأنسابهم وأحق بمعرفة أصولهم وجذورهم، والناس -كما يقال- مؤتمنون على انسابهم.

---

(١) ابن النديم ، الفهرست ص١٣٢.

الخاتمـــة

مما مـر من حديث عن العوتبي وكتـابه «الانساب» من عرض وتحليل تبينت لنـا أهمية كتاب «الانسـاب» للعلامـة الجليل المؤرخ والنسابـة ابي المنذر سلمة بن مسلم بـن إبراهيم الازدي العوتبي الصحاري بكونـه الكتاب الوحيد الذي عني بانسـاب القبائل العُمانية، فهو وان لم يكن قـد اشتمل على جميع القبائل العُمانيـة إلا أنه اشتمل على كثير منهـا مما يعتبر مرجعاً مهماً ومصدراً أصيلاً للانسـاب العُمانية، على أنه مما ينبغي الا يغيب عن البال، أن الفجوة التي نـراها نحن في وقتنـا الحاضر حول وجود القبـائل العُمانية وواقعهـا وبين ما دونه العوتبي من قبـائل، انما يرجع ذلك إلى المسافة الزمنيـة التي تتكون من ألف عام، أي عشرة قرون من السنين.

فمنـذ أن ألف العوتبي كتـابه في القـرن الخامس الهجري وحتى الآن لاشك انـه اختفت قبائل وظهرت قبائل أخرى عديدة، وتفرعت قبائل كثيرة عن قبائل سابقة.

اقتراحـــات :

نظراً للأهمية الكبرى التي يحتلها كتاب «الانساب» للعوتبي أقترح ما يلي :

١- تحقيق الكتاب تحقيقاً علمياً مع وضع الفهـارس والكشافات وما يستلزم التحقيق من أعمال مناسبة.

٢- وضع عمل على الكتاب، بحيث تفصل مادته في الانساب عن المادة التاريخية ليجعل منه قسمين:

- الأول في الانساب، والثـاني في التاريخ لكي يسهل الـرجوع إلى الكتـاب لأخذ المعلـومات المتعلقة بالانساب أو المتعلقة بالتاريخ.

٣- السعي في جمع النسخ المتعددة للكتاب في مكتبـات ودور الكتب في العالم أو صور منها ووضعها في مكتبة المخطوطات بوزارة التراث القومي والثقافة، خدمة وحافزاً وتشجيعاً للباحثين والمحققين.

والله ولي التوفيق

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

القـراءة الرابعـة

العوتبـــي مؤرخـــا

أ. د. جـــاد محمـــد طـــه

عميد كلية الآداب ــ جامعة السلطان قابوس

لم يتيسر العثور على ترجمة للمؤرخ سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، وبالتالي من الصعب تحديد تاريخ مولده أو وفاته[1] إلا أنه من الممكن أن نرجح أنه عاش فى النصف الثاني من القرن الرابع الهجري والسنوات الأولى من القرن الخامس[2]، بسبب أن معظم رواته ومعاصريه الذين أخذ منهم كانوا من هذه الفترة[3].

وهناك خمس مخطوطات لكتاب الأنساب، وأقدم هذه المخطوطات هي نسخة جامعة درهام بانجلترا، ويعود تاريخ نسخها إلى عام ١٠٨٩هـ/١٦٦٨م وتعرف باسم نسخة جولستون. **أما النسخة الثانية فهى نسخة باريس وتوجد بالمكتبة الوطنية،** ويعود تاريخ نسخها إلى عام ١١١٥هـ/١٧٠٣م. **والمخطوطة الثالثة هى نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة.**

ويعود تاريخ نسخها إلى عام ١٧١٨م، وتعد هذه النسخة اكثر هذه النسخة اكثر تلك النسخ سلامة ودقة. **أما المخطوطة الرابعة فهى نسخة وزارة التراث القومى والثقافة** العُمانية، وتعود إلى سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م. **كما أن هناك مخطوطة خامسة فى إحدى** مكتبات بولندا[4].

وإذا رجعنا إلى أسلوب العوتبي، فأننا نجد أنه اعتمد على رواة موثوق بهم فى جمع مادة كتاب الأنساب، وهم يزيدون عن الأربعين راويا، ونخص منهم ابن جرير الطبري المؤرخ والمحدث والفقية الذى توفى سنة ٣١٠هـ، وأبا عبيدة وهشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى عام ٢٤٠هـ والواقدى صاحب كتاب المغازي، والذى توفي سنة ٢٠٧هـ[5].

ولابد هنا أن نؤكد أن العوتبي باعتماده على ماكتبه السابقون فى جمع مادة كتابه، فإنه سلك سلوك مؤرخى العصور الوسطى.. ونستعير نصا عن ابن خلدون لنؤكد هذه المقولة.. «وقد دون الناس فى الأخبار وأكثروا، وجمعوا تواريخ الأمم والدول فى العالم وسطروا، والذين ذهبوا بفضل الشهرة والأمانة المعتبرة، واستفرغوا دواوين من قبلهم في صحفهم المتأخرة وهم قليلون يجاوزون عدد الانامل ولاحركات العوامل مثل ابن اسحق والطبرى وابن الكلبى ومحمد بن عمر الواقدى وسيف بن عمر الاسدى، والمسعودى وغيرهم من

---

(١) سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري – الأنساب ج١ ط٤ سلطنة عُمان – وزارة التراث القومى والثقافة ١٩٩٤م ص٤.
(٢) د. عصام بن على الرواس – نظرة على المصادر التاريخية – سلطنة عُمان – وزارة التراث القومى والثقافة – سلسلة دراسات – العدد الثاني ١٩٩٣م ص١٧.
(٣) العوتبي – المصدر السابق ج١ ص٤.
(٤) د. عصام بن على الرواس – المصدر السابق ص٢٠ ، ٢١.
(٥) العوتبي – المصدر السابق ج٢ ص٧.

المشاهير المتميزين عـن الجماهير» ويستمر ابن خلدون موضحا وجهـة نظره التى تتفق مع وجهـة نظـرنـا.. «وجاء من بعـدهم من عـدل عن الاطـلاق إلى التقييـد، ووقف في العمـوم والاحاطة عن الشأو البعيد، فقيد شوارد عصره، واستوعب أخبار أفقه وقطره واقتصر على أحاديث دولته ومصره»(١).

ونعتقد أن ابن خلـدون كان دون أن يذكـر يخص بكلامـه العوتبي وأمثالـه، لأن كتاب الأنساب ولـو أنه يبدأ بدايـة عامة، فإن مؤلفـه يخصص كلامه، وخاصـة فى الجزء الثانى للكلام عن تطور التاريخ العُماني وخـاصة تاريخ الازد، بحيث أن بعض الكتاب لاحظ ذلك وعلق بأن ما خصصـه العوتبي من أجزاء لأخبار الأزد بعُمان لاتتناسـب مع ما يخصصه لباقى الأحداث(٢) وإن كنا نرى أن العوتبي عندما خصص فإنه كان موضوعياً، لأنه ليس فى الامكان التأريخ لكل الاقطار والمناطق تاريخا مفصـلا على يد مؤلف واحد، وأن العوتبي كـان محقـا فى هـذا التخصيص، لأن التخصيص مـدعـاة إلى التغلغل فى أعماق الأحـداث في موضوع واحد والعوتبي فى هذا يشبه- فى رأينا- ابن حيان مؤرخ الاندلس والدول الأموية بها، وابن الرفيق مؤرخ أفريقية والدول التى كانت بالقيروان وغيرهما(٣).

ومن الملاحظ أن العـوتبي قام بسرد وقـائع الكتـاب دون أن ينظم مادتـه التاريخيـة فى أجزاء مستقلـة، فنجده يتحدث مثـلا عن يوم ذى قـار بين العرب والفرس ثم يـدخل بينها الاحباش فى اليمن، ولذلك كثرت بالكتاب كلمة «عودة إلى» «أو رجع إلى»(٤).

وسوف نحاول أن نلقي بعض الأضواء على الجوانب التـاريخية الواردة فى هذا الكتاب.. بطبيعة الحال فإن الأنساب- طبقـاً لعنوان الكتاب- تحتل نصيب الأسد بـالنسبة للمحتوى العام ولكن العـروض التاريخية تحتل نصيبـاً يجعلنا نطلق باقتنـاع كامل لقب المؤرخ على العوتبي.. **فما هى المعالم التاريخية الرئيسية فى كتاب الأنساب بجزأيه؟**

بدأ العوتبـي الجزء الأول من كتابه على طريقة المؤرخين المسلمين فى العصـور الوسطى، فـذكر شيئـاً عن «مبتدأ الخلق والملائكـة عليهم السـلام.. ومكان الأرض وعمارهـا قبل أن يخلق الله آدم عليـه السلام..» ويـوضـح العوتبي أن الغـرض فى جميع ماكتب هـو الايجاز والاختصار.. «ولو قصدت الاستقصاء لطـال الكتاب ولاختلط الخفي بالجلي فمجته. الآذان وملته النفوس»(٥).

---

(١) عبدالرحمن بن محمد بن خلـدون - مقدمة ابن خلدون - تحقيق الدكتور علي عبدالواحـد وافي - ج١ نهضة مصر القاهرة ١٩٧٧م ص٢٨٣ ، ٢٨٤.

(٢) كشف الغمة الجامع لاخبار الامة لمصنف مجهول - تحقيق ودراسـة وتعليق احمد عبيدلى - سلسلة الجزيرة العربية (١) دلون للنشر - نيقوسيا - قبرص ١٩٨٥ ص٣٠.

(٣) ابن خلدون - المصدر السابق ص٢٨٤.

(٤) العوتبي - المصدر السابق ج٢ ص٧ ، ٨.

(٥) العوتبي - المصدر السابق ج١ ص٧.

ويذكر مؤرخنا أن أسواق العرب فى الجاهلية عشرة «فأولها سوق دومة ثم المشقر بهجر ثم صحار ثم دبا ثم الشحر ثم عدن ثم الرابية بحضرموت ثم عكاظ ثم ذو المجاز»(١).

والواقع أن العوتبي كان مؤرخا مطبوعاً.. ففي كلامه عن مبتدأ الخلق مثلا، فإنه لايتكلم من فراغ، بل إنه جمع المادة العلمية ونظمها وأسند إلى من سبقوه، فهو يسند إلى محمد بن اسحق باسناده عن ابن عباس، وكذلك يعرض لرواية الأموى باسناده عن مجاهد.

وكما يعرض لرواية عمرو بن دينار وعطاء، ويعتمد كذلك على كتابات بشير عن الضحاك وعن صالح بن محمد الترمذي وعن الحسن بن علي بل عن الرسول نفسهﷺ(٢).

ومع اختلافنا مع العوتبي في بعض النقاط، كاعتماده الكبير على الرواية الشفهية، فلابد أن نكون موضوعيين.. لانحكم على كتابات مؤرخ عاش منذ أكثر من ألف عام بآراء المدارس التاريخية المعاصرة، والتي تحتم أن يعتمد المؤرخ على الوثائق والمخطوطات، إلى غير ذلك من أدوات البحث التاريخي المعاصرة فيكفي أن العوتبي اعتمد على كتابات السابقين، وقدم مختلف الآراء بالنسبة للقضية الواحدة، وأنه أسند كتاباته لهؤلاء المؤرخين السابقين، وجمع مادة علمية كبيرة وصاغها بأسلوبه حتى يكون مؤرخا يعبر عن العصر الذى عاش فيه(٣).

وعلى أية حال، فقد سار العوتبي في كتاباته التاريخية على نفس المنوال، أي الاسناد إلى من سبقوه من المؤرخين، وإن كان -كما سبق أن ذكرنا- قد اعتمد كثيراً على الطبري ويتضح ذلك مثلا عند ذكره لخلق آدم عليه السلام، يعتمد كذلك على الكلبي وعبدالله بن سلام وابن عباس وابن قتيبة وابن اسحق وغيرهم(٤). ثم يتعرض بالتفصيل لأخبار أبناء آدم عليه السلام وكذلك سير بعض الأنبياء(٥). ثم يتكلم عن قضية قوم عاد والقحطانيين(٦) ثم يعود إلى الكلام عن سير النبيين وأبنائهم(٧).

والواقع أن الكتاب واسمه الأنساب، يتعرض بالتفصيل المطول لأنساب العرب، وليس هذا موضوع هذه الورقة، ولذلك تركنا هذا الجانب عمدا وركزنا على الكتابات التى تمت بصلة إلى الكتابات التاريخية طبقاً لتصور المؤرخين المسلمين فى العصور الوسطى، وإن كنا لابد أن نثبت أن مؤرخنا قد حدد اتصال نسب الرسول محمد عليه الصلاة والسلام(٨).

ويبدأ العوتبي فى الانتقال من التعميم إلى التخصيص، أي يبدأ فى تركيز كتاباته على جنوب الجزيرة العربية.. فيذكر كثيرا من الحقب التاريخية التى مرت بها اليمن، فيتكلم عن

(١) العوتبي - المصدر السابق ج١ ص٨ ، ٩.
(٢) العوتبي - المصدر السابق ج١ ص١٢ ، ١٤
(٣) دكتور جاد طه - منهج البحث فى التاريخ - الفكر الرائد - فارس - المغرب - ١٩٧٩.
(٤) العوتبي - المصدر السابق ج١ ص٢٠ ، ٢٥.
(٥) العوتبي - المصدر السابق ج١ ص٤٧ - ٨٠.
(٦) العوتبي - المصدر السابق ج١ ص٨٠ - ٩٠.
(٧) العوتبي - المصدر السابق ج١ ص٩١ - ١٣١.
(٨) العوتبي - المصدر السابق ج١ ص١٦٩.

سبأ وحمير(١) وبلقيس(٢) وذي نواس صاحب الاخدود(٣) وما كان من خروج الاحباش إلى أرض اليمن لنصرة المسيحية(٤) وكذلك محاولة الاحباش هدم الكعبة(٥).

وينتقل المؤلف أحياناً فى سهولة ويسر من الكلام عن الأنساب -الهدف الأصلي من الكتاب- ليذكر بعض الوقائع التاريخية، فهو عندما يذكر أنساب مذحج(٦) يتحدث عن وقعة القادسية ويعتمد أيضاً فى كتابته على الطبري مع الاسناد إليه، ثم يتحدث عن وقعة جالوت ونهاوند ومقتل الملك يزدجرد، ويعتمد هنا كثيراً على الأخبار الطوال لابن قتيبة وكذلك على معجم البلدان لياقوت(٧).

ومن الملاحظ على الكاتب أنه لايذكر تواريخ الأحداث التى يكتب عنها، ولابد أن نؤكد على أهمية التدقيق فى ذكر تاريخ الحدث، ولكن يبدو أن هذه الطريقة كانت غالبة فى ذلك الوقت على كتابات بعض المؤرخين، إما لعدم التيقن من تاريخ الحدث فيكتفي بالسكوت، أو لان التواريخ كانت معروفة عند البعض فلم يهتموا بذكرها. ولكن الكتابات التاريخية المعاصرة تتمسك بكتابة تواريخ الأحداث حتى يتحقق المنظور التاريخي للكتابة. وقد يكون كاتبنا قد اهتم أكثر بالأنساب فأهمل ذكر تواريخ الأحداث التى تكلم عنها مع أهميتها. وعلى أية حال فهذه التواريخ أغلبها معروف ويهمنا هنا قدرة المؤرخ الذي نحن بصدد الكلام عنه على جمع المادة العلمية والاعتماد على عدد كبير من الرواة والمصادر وحفظ كل ذلك فى كتاب واحد.

وعلى أية حال ينهي المؤلف الجزء الأول من كتابه بالحديث عن أخبار كندة وامرىء القيس بن حجر الكندي، وقد رصد فى هذا الجزء من الكتاب العديد من القصائد الشعرية وذلك لطبيعة الشخصيات التى تكلم عنها(٨).

وفى الجزء الثانى من الكتاب، تبرز واضحة مقدرة العوتبي على الكتابات التاريخية، فرغم أن عنوان الكتاب هو الأنساب، فإن المؤرخ يخصص صفحات كثيرة لعملية التاريخ مما يجعلنا نؤكد أن العوتبي يعتبر من كبار المؤرخين المسلمين فى العصور الوسطى.

ويبدو أن المؤرخ العوتبي قد اهتم فى هذه المرحلة بالمحلية أى بتاريخ المنطقة التى عاش فيها أو حولها، فخصص الباب الثاني من الجزء الثاني من الكتاب للكلام عن الأزد أو الأسد حسب قول العوتبي. ويبدأ المؤلف كلامه على طريقته فى الاعتماد على الرواية والاسناد فيقول: «حدثنا زيد بن الزرقا باسناد عن ابي هريرة قال: قال النبى ﷺ: «نعم

---

(١) العوتبي – المصدر السابق ج١ ص١٧٦.
(٢) العوتبي – المصدر السابق ج١ ص١٩١.
(٣) العوتبي – المصدر السابق ج١ ص٢١٤.
(٤) العوتبي – المصدر السابق ج١ ص٢١٥ – ٢١٧.
(٥) العوتبي – المصدر السابق ج١ ص٢١٧ – ٢٢٠.
(٦) العوتبي – المصدر السابق ج١ ص٢٨٤.
(٧) العوتبي – المصدر السابق ج١ ص٢٩٠ – ٣١٢.
(٨) العوتبي – المصدر السابق ج١ ص٣٣٧ – ٣٩٢.

القوم الأزد، يحسنون ولايغلون، هم مني وأنا منهم، من لم يكن له أصل فى العرب فيلحق بالأزد أنهم أصل العرب» وعن وكيع بن مسعود التميمي قال: حضرت معاوية بن أبي سفيان فسمعته يقول: قال رسول الله ﷺ «الأمانة فى الأزد وحضرموت»(١).

ونلاحظ أن الكاتب يكرر مما كان قد كتبه فى صفحات تالية من كتابه، فهو يكرر كلامه عن الأزد مرة أخرى(٢)، مما جعل القارىء فى حيرة من امره، وقد يكون المؤلف قد نسي أو لم يراجع فكرر أو يكون الناسخ نفسه هو الذى وقع في هذا التكرار.

وفى الباب الثانى من الجزء الثاني من الكتاب والذى خصصه المؤلف للكلام عن الأزد يخصص الفصل الثالث من هذا الباب للكلام عن الأوس والخردج، فيقرر أن الأوس والخزرج اسما طائرين من سباع الطير(٣). وذلك تشبيها لقوة البأس والضراوة. وقد أشار المؤلف إلى قصة سعد بن معاذ فى حكمه على بني قريظة، وكما هو معروف فإن بنى قريظة كانوا قد نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين النبي ﷺ، فبعث عليه الصلاة والسلام إلى سعد بن معاذ أن يأتيه، فأتى سعد ومعه المهاجرون والأنصار. وقال الرسول عليه الصلاة والسلام «ياسعد إن قريظة قد حكمتك فى نفسها وأموالها وأنت حكم فاحكم فقال سعد يارسول الله إنى قد حكمت فيهم بقتل المقاتلة وسبي الذرية وإباحة الأموال ونظائرها فيئا للمهاجرين والأنصار فقال عليه الصلاة والسلام «والذى بعثنى بالحق لقد وافق حكمك حكم الله»(٤).

والواقع أن ما خصصه العوتبي فى كلامه عن الأزد لايتناسب مع ما كتبه في باقي الموضوعات، فهو كما ذكرنا يسهب فى التفصيلات بحيث يمكن القول بأن غالبية صفحات الجزء الثاني من الكتاب تتناول أخبار الأزد(٥).

وعلى أية حال يبدع العوتبي تماماً فى عالم التاريخ كما كان سائدا فى العصور الوسطى فيتحدث عن فروع الأزد.. ويفصل الكلام عن خزاعة.. ويذكر ان اشتقاق خزاعة من قولهم خزع القوم عن القوم أى انقطعوا عنهم وفارقوهم. قال أبوبكر بن دريد: «..انهم انخزعوا عن جماعة الأزد أيام سيل العرم لما أن صاروا إلى الحجاز، فارتفعوا بالحجاز، فصار قوم إلى عُمان وآخرون إلى الشام». ويستمر العوتبي فى تحليله لكلمة خزاعه، فيقول: «قال غيره إنما سمى حارثة خزاعه لأنه عندما مر علي قومه وإخوته بعد خروجهم مَن جنتي مأرب وتفرقهم فى البلاد، قامت الأزد بمكة ما قامت حتى جاءهم روادهم من الأماكن، فافترقوا من مكة فرقا، فرقة توجهت إلى عُمان وفرقة توجهت إلى الشام، وفرقة نحو العراق نزلت

---

(١) العوتبي – المصدر السابق ج٢ ص٤٣.
(٢) العوتبي – المصدر السابق ج٢ ص٤٤.
(٣) العوتبي – المصدر السابق ج٢ ص٦١.
(٤) العوتبي – المصدر السابق ج٢ ص٦٩.
(٥) كشف الغمه – تعليق احمد عبيدلى – المصدر السابق ص٣٠.

يثرب وهما الأوس والخزرج، وانخزع عنهم حارثة وأقام بمكة فسمى خزاعة وولي أمر مكة وحجابه الكعبة» وانما كان افتراق خزاعه عن قومه فيما حكى اولو العلم بأخبارهم من بطن مرو، يدل على ذلك قول حسان بن ثابت الأنصاري:

فلما هبطنا بطن مرو تخزعت خزاعة عنا فى حلول الدار(١)

ويخصص المؤلف الباب الثالث من الجزء الثاني من كتاب الأنساب للكلام عن مالك بن فهم وأبنائه، ولكنه لايتكلم عن مالك مباشرة، فبعد أن يذكر أن مالك بن فهم كان أول من قدم من الأزد إلى عُمان، وذلك حين خرج فى جملة الأزد بعد عمرو بن عامر من أرض مأرب حين فرقهم سيل العرم وخراب الجنتين، فانه يتحدث عن جنتي مأرب وعن سد مأرب وهو هنا يتكلم برواية أبي عبدالله بن الموصلي باسناد عن ابن اسحق ووهب بن منبه عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي(٢)، فيتكلم عن الأزد السابقين الذين كانوا قد بنوا سداً يحبسون به الامطار «... وجعلوا فيه أبوابا مبوبة وقناطر معقودة، وركبوا عليها أوصادا من حديد» ويستمر العوتبي موضحاً «وكانت جنتاهم من وراء السور وقصورهم داخل الجنتين(٣)، وكان أحدهم إذا أراد الماء، رفع تلك الأبواب التى تلي جنته بابا، فخرج الماء إلى جداول تخترق قصورهم وجناتهم وحدائقهم، واذا استغنى أرسل الباب».

ويخلط العوتبي الكتابة التاريخية بالقصص الدينى فيقول «وكانوا قد غرسوا على ذلك الماء الجنتين اللتين ذكرهما الله -تعالى- فى القرآن الكريم عن يمين وشمال وظللوهما حتى كان لايدخلهما الشمس ولا الريح وكان من أمرهم كما ذكر الله تعالى»(٤). ويسير الكاتب بنا إلى قصة انهيار السد وتفرق الأزد فى البلاد(٥). «فكانت أزد عُمان، وكان أول من قدمها منهم مالك بن فهم وولده». والعوتبي هنا يميل كعادته إلى تكرار سرد الحادثة. التاريخية بنفس الكلمات والأسلوب.. ولانجد تفسيرا لذلك سوى انه قد يكون- كما سبق ان ذكرنا- قد نسى ماكتب فكرر أو ان يكون الناسخ هو الذى كرر، أو أنه كان قد كتب هذا الكتاب على فترات متباعدة، ولم يراجع ماكتب، فعلى سبيل المثال يكرر قصة مالك ابن فهم وأزد عُمان بنفس الكلمات في صفحات ١٩٣، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٥، من الجزء الثانى من الكتاب(٦).

وعلى أية حال «سار مالك من فوره يريد عُمان، فجعل لايمر بقبيلة من قبائل العرب من معد وغيرهم من اليمن إلا سالموه ووادعوه لمنعته وكثرة عساكره، فأخذ على برهوت وهي واد بحضرموت فلبث فيها حتى استراح، وبلغه أن بعُمان يومئذ الفرس وهم ساكنوها فعبأ

---

(١) العوتبي - المصدر السابق ج٢ ص٩١.
(٢) العوتبي - المصدر السابق ج٢ ص١٨١.
(٣) العوتبي - المصدر السابق ج٢ ص١٨٢.
(٤) العوتبي - المصدر السابق ج٢ ص١٨٣.
(٥) العوتبي - المصدر السابق ج٢ ص١٨٤.
(٦) العوتبي - المصدر السابق ج٢ ص١٩٣، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٥.

أصحابه وعساكره، ويقال إنهم بلغوا ستة آلاف فارس وراجل ثم إنهم أعدوا العدة واستعدوا وأقبلوا يريدون عُمان»(١).

ويستمر العلامة العوتبي في تصوير تقدم مالك بن فهم وقواته، فيقول أن مالكا فى برهوت «جنب الخيل وامتطى الأبل، وجعل على مقدمته ابنه هناة بن مالك فى ألفي فارس من صناديد الأزد وفرسانهم، وجعل يجد السير حتى انصب على عُمان عن طريق الشحر، وقد تخلفت مهرة فنزلت أرض الشحر»(٢) ويستخلص أحد الباحثين أن الأزد قدموا براً وبحراً، أي أن جزءاً من قوم مالك بن فهم أكمل الرحلة بحرا حتى هبطوا فى النهاية عند قلهات، وتقدمهم الفان من أشجع المقاتلين بقيادة أصغر أبناء مالك كما سبق أن ذكر(٣).

ويمكن أن يكون هذا التصور سليما لأن الرحلة من الشحر إلى قلهات برا شاقة وطويلة، لذا يمكن أن يكون بعض قوم مالك قد استخدموا طريق البحر لأنه أقل عناء من الطريق البري، وواضح أنه لولا قول العوتبي أن مالكا «جنب الخيل وامتطى الأبل»(٤) لما حلل المؤرخون المعاصرون هذه التحليلات المعقولة.

على أية حال يقرر العوتبي عندما جاء مالك بن فهم إلى عُمان سميت عُمان بهذا الأسم، لأن منازل الأزد كانت -قبل انهيار السد- على واد لهم بمأرب يقال له عُمان، فسموها به، وتسمى بالفارسية مزون، وفيها يقول بعض العرب.

إن كسرى سمى عُمان مـــزونـــا ومـــزون يـــا صـــاح خير بـــلاد

بلـــدة ذات مـــزارع ونخيـل ومـــراع ومشرب غير صـــاد

ولم تزل قبائل الأزد تنتقل إلى عُمان حتى كثروا بها وقويت أيديهم واشتدت شوكتهم(٥). ويحكي العوتبي قصة مقتل مالك بن فهم بطريقة مأساوية، فيقول أن مالكا قد «جعل على أولاده الحرس بالنوبة فى كل ليلة على رجل منهم مع جماعة من خواصه وأمنائه من قومه الأزد» ويسترسل العوتبي موضحاً أن أحظى ولد مالك عليه وأقربهم إلى قلبه ابنه سليمة، وكان أصغر ولده فى ذلك الوقت. وكان مالك قد علم سليمة فى صغره الرمي بالسهام إلى أن كبر، فكان يحرس كاخوته بالنوبة. فحسد إخوته مكانته عند أبيه، فنسبوا إليه -أي إلى سليمة- العجز والتقصير. فلما كانت الليلة التى كانت فيها نوبة

---

(١) سعيد بن محمد بن سعيد الغيلاني - أزد عُمان فى القرنين الأول والثاني للهجرة - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٩٠ ص١٦ - انظر السالمي تحفه الأعيان - المجلد الأول ص٢٢.

(٢) العوتبي - المصدر السابق ج٢ ص٢٠٠ - ٢٠١.

(٣) سعيد بن محمد بن سعيد الغيلاني - المصدر السابق ص١٧ انظر ويندل فيلبس - تاريخ عُمان ص١٧.

(٤) سعيد الغيلانى - المصدر السابق ص١٧ - انظر السيابي - عُمان عبر التاريخ ج١ ص٧٧.

(٥) العوتبي - المصدر السابق ج٢ ص٢٠٠.

(٦) العوتبي - المصدر السابق ج٢ ص٢٠٥ - ٢٠٦.

سليمة وقد خـرج فى نفر من فرسان قومه، إلى أن جنهم الليل، ثم اعتـزل عنهم المكان الذي يكمن فيـه بقرب دار أبيـه وبينما هو كـذلك، أقبل مالك بن فهم من قصره في جـوف الليل متخفياً قاصداً ابنه سليمة لينظر إن كان قائما بالحراسة بالفعل أم لا، وكان سليمة فى ذلك الوقت قد لحقته سنة من النوم، وعندما أحسـت فرسه باقتراب مالك صهلت، فانتبه سليمة فألقى بسهمه إلى شخص مالك، وهو لايعلم أنـه أبوه. فسمع مالك صوت السهم، فهتف به يا بني، لاترم أنا أبـوك فقال سليمة يا أبت لقد ملك السهم قصده، فـأرسلها مثلا. فأصاب السهم مالكا فى قلبه فقتله.. فقال مالك قصيدة نعى فيها نفسه(١).

وفى هذا البـاب الثالث من الجزء الثانى كتـاب الأنساب والـذى يحكي قصـة الأزد ولجوء بعض قبـائلهم إلى عُمان، فاننـا نجد فى النقطـة الخامسة عنـوانا مفـاجئا.. عُمان فى العصر الإسلامى، وكـان يجدر بالمؤلف أن يخصص بابا أو فصـلاً منفصلاً لهذا الموضوع لأهمية وجلال المناسبة.

والواقع فإن القارىء يصـاب مرة أخرى ببعض الإحباط لعدم وجـود التواريخ المختلفة التى تـدقق الأحـداث التاريخيـة، ومع ذلك فإنـه يمكن أن نستلخص أن الإسـلام انتشر في عُمان في عهد خلفاء مالك بن فهم إلى صحار حكم عُمان إلى آل الجلندى بن المستنير المعولي، وصار ملك فارس إلى الدولة الساسانية. وكانت المهادنة بين الفرس والجلندى بعُمان، فكان الفرس على السـواحل، والأزد ملوكـا فى الجبال والبـادية وغير ذلك من أطـراف عُمان. فلم يزالوا كـذلك إلى أن اظهر الله الإسلام بعُمان، وشاع ذكـر النبي ﷺ فى البلدان، وأنه أرسل إلى كسرى الملك أبرويـز يدعوه إلى الإسلام فمزق كسرى كتـاب النبى ﷺ، فقال النبي حين بلغه ذلك منه «اللهم مزق ملكه شر ممزق» ولم يفلح كسرى بعد دعوة النبي ﷺ، فسلط الله عليه ابنه شيرويه فقتله(٢).

ونلاحظ أن العـوتبى يسرد الروايـات المختلفة، بل والمتنـاقضة أحيـاناً دون تفضيل أو ترجيح، فمثلا فى موضوع انتشار الإسلام فى عُمان، يقول مرة أن الرسولﷺ كتب إلى أهل عُمان «وكان الملك فى ذلك العهد بعُمان الجلندى بن المستكبر، وأرسل إليـه يدعوه ومن معه إلى الإسلام، فأجاب، وأرسل إلى الفرس الذين بعُمان -وكـانوا مجوسا- يدعوهم إلى التدين بهذا الدين والاجابة إلى دعوة محمد ﷺ فأبوا فاخرجهم الجلندى قهرا من عُمان».

ثم يعود العـوتبي كعادتـه في سرد الروايـات المختلفة والمتعـارضة أحيـاناً عن الـواقعة الواحـدة دون أن يرجح أحـدها، فيقـول انه قال آخـرون «ان النبى ﷺ كتب إلى أهل عُمان

---

(١) العوتبي - ج٢ ، ص٢٠٥ ، ٢٠٦.

(٢) العـوتبي - المصدر السـابق ج٢ ص٢٥٩ ، ٢٦٠ - انظـر ايضا المقتبس من كتـاب كشف الغمـة الجامع لاخبار الامـة - سلطنة عُمان - وزارة التراث القومي والثقافة - سرحان بن سعيد الازكوى ج٢ ١٤١٢هـ/١٩٩٢ ص٣٧.

يدعوهم إلى الإسلام وعلى أهل الريف منهم عبد وجيفر ابنا الجلندى، وكان أبوهما قد مات فى ذلك العصر، وهكذا نجد أن العوتبي يقول فى الرواية الأولى أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد أرسل إلى أهل عُمان يدعوهم إلى الإسلام وأن الجلندى كان على قيد الحياة، وفي الرواية الثانية يقول. ان الجلندى كان قد مات وان ولديه عبد وجيفر هما اللذان كانا يحكمان عُمان فى ذلك العصر. وكما سبق ان ذكرنا يسوق العوتبي الروايتين دون تفضيل أو ترجيح بينهما.

ويعود مؤرخنا مرة أخرى ونقلا عن الواقدى باسناد إلى النبي ﷺ انه كتب إلى عبد وجيفر ابنى الجلندى بعُمان، وبعث بعمرو بن العاص بن وائل السهمى اليهما، وكان كتابه أقل من الشبر فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبدالله إلى عبد وجيفر ابني الجلندى، السلام على من اتبع الهدى. أما بعد فاني أدعوكما بدعاية الإسلام. اسلما تسلما، فإنى رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين. وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتمكما، وان أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما وائل عنكما. وضيلي تطأ ساحتكما ويظهر نبوتي على ملككما» وكان الكاتب بهذا أبا كعب، وهو عليه الصلاة والسلام المملي عليه(١). وطوى الصحيفة وختمها بخاتمه المبارك، وكان نقش الخاتم: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

قال: «فقدم عمرو بن العاص بكتاب النبى ﷺ إلى عبد وجيفر ابني الجلندي بعُمان.. وقد أجابا إلى الإسلام فى ساعة واحدة، ثم بعث إلى وجوه عشائره فبايعهم لمحمد وأدخلهم في دينه، والزمهم تسليم الصدقة التى امره بها النبي ﷺ، ثم بعث جيفر إلى مهرة والشحر ونواحيها، فدعاهم إلى الإسلام وأعلمهم بالإسلام، فاسلموا معه، ثم بعث إلى دبا ومايليها إلى آخر عُمان».

فما ورد رسول جيفر إلى أحد وأسلم إلا الفرس التى تعبأت لحرب الأزد(٢). فلما طال بينهما القتال، دعوا أهل عُمان إلى الصلح «فاستنزلهم على أن يعطوا أهل عُمان كل صفراء وبيضاء وحلقة وكراع، ويحملوهم بأهليهم وحاشيتهم فى سفينة حتى يقطعوا إلى أرض فارس، فاجابوهم إلى ذلك، واخرجوا الفرس من عُمان إلى فارس»(٣).

ونلاحظ أن صاحب كشف الغمة قد نقل حرفيا عن العوتبي موضوع انتشار الإسلام فى عُمان، ولكنه يقتصر فى هذا النقل على رواية أن هذا الانتشار كان فى عصر عبد وجيفر ابني

---

(١) العوتبي – المصدر السابق ج٢ ص٢٦٠ – انظر أيضاً المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لاخبار الامة – المصدر السابق ص٣٧.
(٢) العوتبي – المصدر السابق ج٢ ص٢٦١.
(٣) العوتبي – المصدر السابق ج٢ ص٢٦٢ – انظر أيضا المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لاخبار الامة – المصدر السابق ص٣٨.

الجلندى وليس فى عصر الجلندى. ويبدو أن هـذا النقل الحرفي من صاحب كشف الغمة لأنه رجح هذه الـرواية على روايـة أن الرسول ﷺ كتب إلى أهـل عُمان، وان الملك فى ذلك العهد الجلندى بـن المستكبر وانه ارسل يـدعوه ومن معه إلى الإسـلام، ويستمر صـاحب كشف الغمة فى هذا النقل الحرفى حتى قصة اخراج الفرس من عُمان(١).

وفى البـاب الـرابع والأخير من الجزء الثـاني من كتـاب الأنساب يخصـص العلامـة العوتبي الكـلام عن أيام العرب وأخبـارهم، ووقائعهم، والـواقع أن مؤرخنا ينحـو فى هذا الباب منحى تـاريخياً واضحاً، فهـو يؤرخ لهذه الأيـام والوقائع مبتعـداً عن خط الأنساب ابتعاداً كـاملاً، فهو مـن عنوان هذا البـاب يؤرخ ويؤكـد براعته في التـاريخ طبقاً لكتـابات المؤرخين فى العصور الوسطى.

وأول هذه الأيام أو الوقائع يوم سلوت.. وواضح أن هذه الواقعة تتصل اتصالاً مباشرا بتاريخ عُمان مثل غالبية هذه الأيام أو الوقائع التى أرخ لها العلامة العوتبي.

وفي سياق الحديث عن يوم سلـوت يعود العوتبي ليذكرنا بأسبـاب خروج مالك بن فهم إلى عُمان(٢). وكان قد بلغه أن الفرس بعُمان، فأرسل إليهم يطلب موافقتهم على نزوله بجزء من عُمان. ولكن المرزبان عامل الملك الفارسي رفض ذلك(٣). وهكذا تصاعدت الأمور إلى حافة الحرب، فتجمع الفرس فى صحراء بـالقرب من نزوى فى نحو ٣٠ أو ٤٠ ألفـا، ووصل مالك بن فهم فى نحو ستة آلاف من اتباعه إلى سلوت(٤). وهكذا اندلعت معركة عنيفة بين الطرفين.

وقد نقل صاحب كشف الغمة نقلاً حرفياً عن العوتبي في كلامه عن هذه الواقعة «.. فلما أصبحوا فى اليوم الثالث، زحف الفريقان بعضهم إلى بعض، فوقفوا مواقفهم تحت راياتهم، وأقبل أربعة من المرازبة ممن كان يعد الرجل منهم بألف رجل حتى دنوا من مالك، وقالوا: هلم إلينا لننصفك من أنفسنا، ويبارزك منـا واحد بعد واحد»(٥). ولكن مالكـا قضى عليهم الواحد تلو الآخر، إلا الرابع الذى انسحب من القتال.

ويستمـر النقل الحرفي من طرف صـاحب كشف الغمـة «.. فلما رأى المرزبان مـا صنع مالك بقواده الثلاثة دخلته الحميـة والغضب فخرج من بين أصحابه وقال: لاخير فى الحياة بعـدهم، ونادى مـالكـا وقال لـه: أيها العربي أخـرج إلى أن كنت تحاول ملكـا فأينا يظفـر بصاحبه كان له ما يحاول ولاتعرض أصحابنا للهلاك»(٦).

---

(١) المقتبس من كتاب كشف الغمة – المصدر السابق ص٣٧ – ٣٨.
(٢) العوتبي – المصدر السابق ج٢ ص٢٦٥ – انظر ايضا المقتبس من كتاب كشف الغمة – المصدر السابق ص١٩.
(٣) المقتبس من كتاب كشف الغمة – المصدر السابق ص٢٠.
(٤) المصدر السابق ص٢١.
(٥) العوتبي – المصدر السابق ج٢ ص٢٧٠ – انظر أيضاً المقتبس من كتاب كشف الغمة ص٢٢.
(٦) العوتبي – المصدر السابق ج٢ ص٢٧١ – انظر أيضاً المقتبس من كتاب كشف الغمة ص٢٣.

ويستمر الكتابان (الأنساب وكشف الغمة) فى تصوير هذا اللقاء، وإن كان صاحب كشف الغمة لم يهتم بنقل القصائد والأشعار التى أوردها العوتبي فى هذا المقام.

وعلى أية حال، فقد حمل المزربان على مالك بالسيف، فراغ منه مالك، وضربه بسيفه فقتله، وهكذا بدأت معركة حامية بين الأزد والفرس انتهت بهزيمة الفرس، وعندئذ أرسل الفرس إلى مالك يطلبون الصلح، وأن يكف عنهم الحرب، وأن يؤجلهم سنة ليخرجوا من عُمان، وأعطوه على ذلك عهدا وجزية، فأجابهم مالك إلى ذلك، وأعطاهم عهدا لايعارضهم حتى يبدأوه بحرب. وعاد الفرس إلى صحار وما حولها من الشطوط وكانوا هناك والأزد في باقي عُمان.

ويضيف صاحب كشف الغمة أن الفرس فى مهادنتهم تلك طمسوا فى عُمان أنهارا كثيرة، ولكن صاحب كشف الغمة ينحو فى هذه الإضافة منحى اسطوريا فيضيف إلى ما نقله نقلا حرفيا هذه الإضافة الأسطورية.. وهى أن سليمان بن داود عليه السلام أقام بعُمان عشرة يام، وقد حفر فيها عشرة آلاف فلج.. وأن الفرس طمسوا أكثرها فى فترة الصلح التي طلبوها من مالك بن فهم[1] ولم يذكر العوتبي ذلك[2]. وهذه النقطة هامة جداً لأن من عادة المؤرخين فى العصور الوسطى ربط الأحداث التاريخية أحياناً ببعض الأساطير، والعوتبي نفسه فعل هذا فى بعض المواقف، ولكنه لم يذكر ما ذكره صاحب كشف الغمة بالنسبة لما وقع للأفلاج.. وبالتالي فإن هذه النقطة تحسب للعوتبي لأنه تاريخياً أقدم من صاحب كشف الغمة، بل إن الأخير نقل عنه حرفيا بنفس الكلمات والألفاظ، ولكنه يضيف إلى ما نقله هذه القصة الأسطورية. فالواقع أن الأفلاج هى معجزة بشرية شيدها العُمانيون القدماء بأيديهم على فترات طويلة، وهي شاهد على عظمة الأجيال الماضية، ولايمكن أن نوافق على إقحام هذه الأمور الأسطورية على كفاح الشعب العُماني فى الماضي. وواضح أن العوتبي لايرجع موضوع بناء الأفلاج إلى الأساطير. وواضح هنا الموضوعية التى يتحلى بها العوتبي فى هذه النقطة إذا عرفنا أنه عاش فى الغالب فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى فى حين أن صاحب كشف الغمة عاش فى القرن الثاني عشر الهجرى أى بعد العوتبي بنحو ثمانية قرون.

وعلى أية حال، يستمر الكتابان فى توضيح مراحل الحرب بين الفرس والعُمانيين بقيادة مالك بن فهم، وأنه لما وصلت أخبار هزيمة الفرس إلى الملك دارا الأول، غضب غضبا شديداً، وأرسل مددا إلى قواته فى عُمان.

---

(١) المقتبس من كتاب كشف الغمة – المصدر السابق ص٢٣.
(٢) العوتبي – المصدر السابق ج٢ ص٢٧٢.

فلما انقضى أجل الهدنة، أرسل مالك إليهم «.. إني قد وفيت بما كان بيني وبينكم من عهد وأكيد صلح. وقد انقضى الأجل الذى كان بيني وبينكم، وأنتم بعد حلول بعُمان، وبلغنى أن قد أتاكم من عند الملك مدد عظيم، وأنكم تستعدون لحربي وقتالي، فإما أن تخرجوا من عُمان طوعاً، وإلا زخفت عليكم ورجالي وكافة عساكرى وجيوشي ووطأت ساحتكم وقتلت مقاتلتكم وسبيت الذراري، وغنمت الأموال وأقمت على كرهكم»(١).

وهكذا استعرت الحرب بين الطرفين، وهزم الفرس هزيمة ساحقة، وتم جلاؤهم عن عُمان(٢).

ويستمر العوتبي فى هذا الباب الرابع من الجزء الثاني من كتاب الأنساب والذى خصصه للحديث عن أيام العرب وأخبارهم ووقائعهم، فيتكلم عن وفاة النعمان بن المنذر، وكيف أنه عندما ساءت الأمور بين النعمان وكسرى، فإن كسرى دعاه ودس له السم فى بعض شرابه فمات(٣).

ثم ينتقل العوتبي للحديث عن يوم ذي قار، فيوضح أن النعمان بن المنذر لما قدم إلى الحيرة من زيارة لكسرى، فإنه أرسل رسالة إلى فرسان العرب وأهل الحكمة والعقل فيهم وطلب منهم الاستعداد للقتال، وجهزوا خمسمائة من أبطالهم لمقاتلة الفرس وانتهى الأمر بانتصار العرب. ويعتبر العوتبي أن يوم ذى قار يوم فضيلة للقحطانية والعدنانية لاشتراكهم فيه.

ويستطرد العوتبي موضحاً بأنه قيل: أن هذه الحرب وصفت لرسول الله ﷺ وهو بالمدينة فقال لأصحابه ومن حضر منهم «يوم ذي قار أول يوم انتصفت العرب من العجم وبي نصروا» حين جعلوا شعارهم يا محمد يا محمد(٤).

كما ذكر العوتبي فى هذا الباب شيئا عن يوم شعب جبلة بين بنى عبس وبني فزارة(٥).

كما يذكر أيضا خبر يوم حضورة (حضوة) وهو من الأيام المذكورة في الجاهلية، وكان بين دوس وبين بني الحارث. والرواية هنا مليئة بالقصائد والأشعار(٦).

ثم ينتقل العوتبي إلى الكلام عن وقعة الروضة من تنوف.. فعندما ولي راشد بن النظر الفجحي وتقدم على إمامة الصلت بن مالك وهو يومئذ إمام، وأراد عزله، وكان من وجههم

---

(١) العوتبي – المصدر السابق ج٢ ص٢٧٣.
(٢) العوتبي – المصدر السابق ج٢ ص٢٧٣ ، ٢٧٤ انظر أيضاً المقتبس من كتاب كشف الغمة ص٢٤-٢٥ لمزيد من التفصيلات – انظر سعيد بن محمد بن سعيد الفيلاني – المصدر السابق ص٢٠ – ٢٤.
(٣) العوتبي – المصدر السابق ج٢ ص٢٨٢ – ٢٨٧.
(٤) العوتبي – المصدر السابق ج٢ ص٢٨٨ – ٢٩١.
(٥) العوتبي – المصدر السابق ج٢ ص٢٩٣ – ٣٠٠.
(٦) العوتبي – المصدر السابق ج٢ ص٣٠١ – ٣٠٦.

عدد منهم أبنـاء سليمان الكلبيان. وكان سليمان شيخا مطـاعا فى الباطنـة، وخرج نصر بن المنهال فبـايع العتيك في الباطنة، وخـرج معه سليمان بن عبدالملك بن بـلال السليمي، فبايع من بالباطنة من قومه من سليمـة وفراهيد وغيرهم من سائر أولاد مالك بن فهم، وساروا جميعاً إلى شاذان بن الصلت والفهم بن وارث ووجوه اليحمد بالرستاق، فأكدوا البيعة لهم، وخرجوا جميعاً إلى نزوى، واتخذوا طريق الجبل يريدون عزل راشد بن النظر. وكان الخبر قد وصله، فلما صاروا بالروضـة من تنوف من حدود الجوف، وجه اليهم راشد بن النظر السرايا والجيوش خيلا ورجالاً، ووقعت معركة عنيفة هزم فيها اليحمد والعتيك، وبنو مالك ابن فهم ومن معهم.

ويستخلص العوتبي أن الفتنـة وقعت بين أهل عُمان بسبب هذه الواقعـة. ويضيف بعد ذلك أنهم أنكـروا على راشد بن النظـر وضللوه لتقدمـه على إمامـة الصلت بن مالـك، وهو يومئـذ إمام لم يغير ولم يبـدل، كل ذلك والصلت حي لم يمت ومعتزل فى بيتـه، وإنما مات بعد هذه الواقعـة بزمن. هذا هو ملخص وقعة الروضـة من تنوف، إلى أن ثأر اليحمد وبنو مالك بن فهـم والعتيك وعزلوا راشـد بن النظر بعـد أن هزمـوه. ووقع اختيار الجميع على عـزان بن تميم الخروصى ليكون إمـاما فى ٣ صفـر ٢٧٧هـ وذلك بعد مـوت الصلت بن مالك(١).

ونلاحظ أن العوتبي بدأ فى رصد تواريخ الأحداث التى يكتب عنها، وهذه ملاحظة هامة جداً لأن الكتابات التاريخية يستلزم معها رصد تواريخ الأحداث، وبالتالي نستطيع أن نقول باطمئنان أن مؤرخنا ملك باقتدار ناصية الكتابات التاريخية المدققة.

ويستمر العـوتبي في هذا البـاب فى كلامه عن أيـام العرب ووقـائعهم، فيتكلم عن وقعة القاع في إمـامة عزان بن تميم الخروصي. ويوضح المؤلف أن سليمان بن عبـدالملك بن بلال السليمي لم يـزل بعُمان في أيام تلك الفتنـة ومقاسـاة حروبها إلى أن شهـدوا وقعة القـاع بالخيـام وأنه تم اختيـار الاهيف بن حمحـام الهنائي لقيادة الجيـوش لحرب الحواري بن عبدالله الحواري ومن معـه من جماعة النزاريـة. ولكن الحواريين جمعوا قواتهم واستـولوا على صحار.

فلما بلغ الأمام عزان بن تميم الخبر، تقدم بقواته، والتقى بالخيام بموضع يسمى القاع، فاقتتلوا قتـالاً شديداً، وهزم أصحـاب الحواري بن عبدالله. وهذه هي وقعة القـاع من ظهر عوتـب بالخيام، وهـي من الوقائع المشهـورة فى تاريخ عُمان. ومـرة أخرى يثبت العـوتبي تاريخ هذه الواقعة فيقول انها قد وقعت فى ٢٦ شوال سنة ٢٧٨هـ(٢).

---

(١) العوتبي – المصدر السابق ج٢ ص٣١٣ – ٣١٩.
(٢) العوتبي – المصدر السابق ج٢ ص٣١٩ – ٣٢٣.

ثم ينتقل العوتبي للكلام عن مساهمة أهل عُمان فى الفتوحات الإسلامية، فيذكر أن أهل عُمان «يعبرون البحر لقتال الفرس» فهنا لايقاتل العُمانيون الفرس فى عُمان، ولكن فى العراق.

وكان الخليفه عمر بن الخطاب قد استعمل على عُمان عثمان بن أبي العاص سنة ١٥هـ، فسار إلى عُمان، وكان فيها حتى كتب اليه عمر بعد وقعة جلولاء حتى يعبر البحر إلى ابن كسرى بفارس. فجمع عثمان ثلاثة آلاف من الأزد وغيرهم، وأكثرهم من الأزد وعبر بهم من جرفان إلى جزيرة كاوان وفيها قائد العجم، فسالم عثمان ولم يقاتله. والتقى عثمان بقواته مع القوات الفارسية فى جزيرة القسم واسمها جاش. وتم النصر للعُمانيين على الفرس، ثم تقدمت القوات العُمانية المنتصرة حتى قدمت أرض العراق فنزلت بوح وذلك بعد افتتاح الكوفة والمدائن بزمن يسير. «وأمر الخليفة عمر بعد ذلك ان يضرب بموضع البصرة خططا لمن هناك من العرب، ويجعل كل قبيلة فى محلة، وأمرهم أن يبنوا لأنفسهم المنازل».

وكان أول من قدم البصرة من أهل عُمان ثمانية عشر رجلاً، وهم وفد كعب بن سور من بنى لقيط بن الحارث بن فهم، إلى عمر بن الخطاب من بوح، فاستقضاه على البصرة. ثم «أن جماعة الأزد الذين قدموا من عُمان مع ابي جعفر ظالم بن سراق بن شريح بن ابى العاص، كانوا جند عثمان بن ابى العاص لما كان أيام خلافة عثمان، واستعمل على البصرة عبدالله بن عامر وضمهم اليه بالبصرة -اعني جماعة الأزد الذين من عُمان- فقدم بهم من بوح إلى البصرة»(١).

---

(١) العوتبي - المصدر السابق ج٢ ص٣٢٤ - ٣٢٦.

الخاتمـــة :

وبعد هذه الرحلة الطويلة فى كتاب الأنساب، والتقـاط الكتابات التاريخية المتناثرة فى هذا الكتاب الخاص بالأنساب، نستطيع أن نقرر باطمئنان أن العوتبي مؤرخ مطبوع، وله وزنه الكبير وسط المؤرخين المسلمين فى العصور الوسطى. وهذا الحكم ليس حكما عاطفيا، ولكنه حكم مـوضـوعي.. إذا ما تـذكـرنـا أن المؤرخين يتفقون على أن معنى التـاريخ هـو بحث واستقصـاء حوادث الماضي. وعلى هـذا فإن التاريـخ يتخذ مجراه على يـد الأنساب بطـريق مبـاشر، وفى ظروف معينـة، والانسان ابن الماضي. ويـذهب بعض المفكرين إلى أن الانسـان يعيش فى الحاضر دائما، فالماضي حاضر فات، والمستقبـل حاضر آت، أى ان التاريخ كله –فى عـرفهم– هو تـاريخ معاصر، ولايستطيع الانسـان أن يفهم نفسه وحـاضره دون أن يفهم الماضي(١).

والعوتبي ربط التـاريخ العُماني في حقبة طويلـة من تاريخه، بحيث اشعرنـا أننا نعيش هذا الماضى.

ونستطيع أن نقرر أيضاً ان اتفـاق المصادر العُمانية بالنسبة للروايـات التاريخية سببه انها نقلت جميعاً من مصدر واحـد متقدم عليها، وهو كتاب الأنسـاب للعوتبي الصحاري.. وهنا تبرز واضحـة أهمية الأنسـاب باعتباره مـن أقدم المصادر التـاريخية العُمانيـة، وهو بالفعل الأصل الذى استمد منه المؤرخون التالون كتاباتهم.

وإذا كانت وزارة التراث القومى والثقـافة قد طبعت كتاب الأنسـاب فى جزئين فهذا عمل مشكور بطبيعة الحال. إن تقديم هذا الكنـز التاريخي للباحثين عمل لايمكن أن يقدر.. ولكن تبقى مع هذا أن هذا الكتاب المطبوع اعتمد على نسختى عُمان ودار الكتب المصرية(٢). ومن هنـا نطـالب بـالحاح بأن تتم عمليـة التحقيق العلمي للكتـاب بـالاعتماد على كل النسخ الموجودة، حتى تعم الفائدة.

والله وليّ التوفيق ،،

---

(١) د. حسن عثمان – منهج البحث فى التاريخ – دار المعارف، القاهرة ص٤ – ١٩٧٦ ص١٩.
(٢) العوتبي – المصدر السابق ج١ ص٥.

القـراءة الخامسـة

كتـاب الضيـاء
(منهجـاً ، وأسـلوباً ، ولغـة)

د. عبدالحفيـظ محمـد حسـن
كلية الآداب – جامعة السلطان قابوس

مقـــدمة :

كتاب «الضياء» موسوعة في الفقـة، في أربعة وعشرين جزءاً، قامت وزارة التراث القومي والثقافـة بسلطنة عُمان في اطـار حرصهـا على احياء التراث العُماني بطبع أحـد عشر جزءا منها.

ومؤلف الكتـاب هو أبـوالمنذر سلمـة بن مسلم بن إبراهيم الأزدي العـوتبي الصحاري، وهو منسوب إلى «عـوتب» من أعمال صحار. وقد اختلف الباحثـون حول الفترة التى عاش فيها، فليس هنـاك خبر يقين عن تاريخ مولـده أو وفاته، ويرى معظم العلماء أنـه عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري والعقود الأولى من القرن الخامس[1] ويرى الشيخ أحمد بن سعود السيابي أنه عاش في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري معتمداً على أنه في كتـابه «الأنسـاب» نقل عن كتاب «جمهرة نسب العـرب» لابن حزم الأنـدلسي المتوفى سنة ٤٥٦هـ[2].

اشتمل البحث على ثلاثة فصول :

تنـــاول الفصل الأول المنهج الذى اتبعـه العوتبي في تأليف كتابه، وطـريقته في تقسيم فصوله وأبوابه.

وتناول الفصـل الثاني أسلوبه في التأليف، وطريقته في معـالجة الموضوعات والقضايا التي يطرقها والمسائل التي يتناولها.

أما الفصل الثالث فتناول لغة الكتاب بالتحليل، فأوضح خصائصها ومميزاتها.

وإنى لاعلم أن الموضـوع متشعب وشـاق ويحتاج إلى جهـد أكبر ومجال أوسع، ولكني أرجو أن أوفق في إلقاء بعض الضوء على منهج الكتاب ولغته وأسلوبه.

---

(١) انظـر في ذلـك الشيخ سيف بن حمود البطـاشي، إتحاف الأعيـان في تـاريخ بعـــض علمـــاء عُمـان، الجزء الأول ص٢٧٣-٢٧٥، و د. عصـام بن علي الـرواس، نظرة على المصادر التاريخيـة العُمانية.

(٢) الشيخ أحمد بن سعود السيابي، رسالة بخطه.

أولاً : المنهـــج

قسم العوتبي كتابه «الضياء» تقسيماً منهجياً، فبدأ بالعقيدة وأصولها، ثم العبادات، ثم المعاملات، ورتب الموضوعات داخل كل جزء ترتيباً متسلسلاً في أبواب وفصول يسلم بعضها إلى بعض، واتسم منهجه بعدة سمات، أهمها :-

١- البدء بالأصول ثم الانتقال إلى الفروع :

فقد بدأ بالأساسيات التي تنبنى عليها الأحكام، والمقدمات التي تترتب علها النتائج، والأصول التي يقوم عليها الدين فجعل **الجزء الأول** في العلم والمعرفة والتوحيد، وجاء في ثلاثة وعشرين بابا، **أولها في «بسم الله الرحمن الرحيم»** وفضلها وما ورد في شأنها(١)، فكانت بداية منهجية موفقة.

وبعد ذلك **خص العلم والمعرفة** والحكمة بثمانية عشر بابا، لأنها أصل ينبنى عليه التوحيد.. ولذا ناسب أن يفرد له هذه الأبواب العديدة، وهي على الترتيب كما يلي :

في العلم، في الحكمة، في مدح العلم وتفضيله، في ذم الجهل وتضليله وكثرة أهل جيله، وفيه عرف الجهل بأنه نقيض العلم، وتطرق للحديث عن الحمق، فمهد بذلك الباب للذي يليه، وهو **«في العقل»**، حيث أوضح قيمته وفضله، ثم جاء **الباب السابع** في تفضيل العلماء وإعظامهم وتبجيلهم وإكرامهم. **والباب الثامن**(٢) في مراتب العلماء وأحوالهم، وما جاء في أقوالهم وأفعالهم ومكانتهم وفضلهم عند الله، ودورهم في الدنيا، وربط بين العلم والهدى، والعلم والعمل والتقى، فكان ذلك بمثابة تمهيد **للباب العاشر** وهو في الحث على العلم وتعليمه.

وبعد أن اطمأن الشيخ إلى أن قارئه قد وثق في صدق مايقول، واقتنع بالعلم قيمة عظيمة، وتحمس له، **انتقل إلى الحديث عن العملية التعليمية**، بأطرافها الثلاثة: **المعلم والمتعلم والوسيلة، فعقد للمعلم بابين لأهميته، الأول** «في آداب العلماء» في ذاتهم، ربط فيه بين الأدب والعلم، وذكر فيه أن من آداب العلماء أن يؤدبوا أقوالهم ويهذبوا أفعالهم، **والباب الآخر:** ما يجب على العلماء في التعليم من مجانبة العجب وعدم كتمان العلم، وتوسم المتعلم بفراسته ليعلم بها استحقاق حالته، ومبلغ طاقته، فيعطيه ما يحتمله، ولايزيده فيذهبه.

---

(١) انظر : سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، الضياء، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م، الجزء الأول، ص٢٧ وما بعدها.

(٢) وردت الابواب في الكتاب دون أرقام، وهذه الأرقام من عمل الباحث.

وبعد أن أوضح ما يجب على المعلم والمتعلم، كلا على حدة، انتقل للحديث عن العلاقة التى تربطهما وهى العملية التعليمية فنظمها، وأوضح وسائلها المختلفة، وهي:

السؤال والدرس والمذاكرة والاقتداء، فأفرد لكل واحدة منها بابا، **فباب في أدب المسؤول والسائل** والفتيا والجواب عن المسائل، أوضح فيه وجوه السؤال وأدواته، وما ينبغى للعالم، من عدم الضجر من إعادة السائل لسؤاله، ومن لين للسائل، وعدم الكذب، وأن يجيب وهو جالس غير مشغول ولاحاقن، وأن يشاور في الجواب من يحضره ممن يصلح لذلك، وغير ذلك من الواجبات التى تضمن أن يأتى الجواب على حقه(١).

ولايغفل العوتبي عن أن يوضح -على الجانب الآخر- ما يجب على السائل. وبعد ذلك عقد بابا في صفة المستحق للسؤال عن الحلال والحرام، لئلا يسأل أحد غير أهل العلم، **ثم عقد بابا في الدرس والمذاكرة، وبابا في التقليد**، أوضح فيه مايجوز من التقليد وما لايجوز، **ثم عقد بابا في وجوب التكليف وأقسامه**، (اعتقاد وفعل وكف) والتبليغ كمهمة أساسية للعلماء (بلوغ الدعوة وقيام الحجة).

تناول العوتبي في أبوابه السابقة العملية التعليمية من جميع جوانبها، ففصل القول فيها، ولمس أدق المسائل بطريقة منهجية منظمة، مستعيناً في ذلك بخبرته، مستشهداً بالمأثور من كلام العرب شعراً ونثراً وبالقرآن والحديث، فظهر كعالم من علماء التربية يتبع المناهج الحديثة والطرق التربوية الصحيحة في التدريس.

وبعد هذه المقدمات والأسس جاء **الباب العشرون** في التوحيد نتيجة وثمرة للأبواب السابقة في العلم والمعرفة.

عرف العوتبي التوحيد وبين نقيضه، فتحدث عن الإلحاد، وهو الانحراف عن الشيء والعدول عنه إلى ناحية، والذين يلحدون في أسمائه، أي يميلون عن أحسنها إلى أن يقولوا له شريك وله ولد(٢).

والملاحظ أنه أفرد هذا الباب فلم يقسمه إلى فصول أو مسائل كما هو، في سائر الأبواب، كأنما أراد أن يتناسب ذلك مع ما يتحدث عنه من التوحيد.

وأتبع العوتبي هذا الباب ثلاثة أبواب تتعلق بالتوحيد، فالباب الحادي والعشرون في الأسماء، أوضح فيه أن الاسم مأخوذ من السمو والرفعة، وتحدث عن «بسم الله الرحمن الرحيم» مفتاح كل كلام. وتطرق إلى قضية لغوية ولكنها تخدم الموضوع الذى

---

(١) انظر : الضياء ج١ ص١٧٤-٢٠١.
(٢) انظر الضياء ج١ ص٢٠٢-٢١٢.
(٣) انظر الضياء ج١ ص٢٩٣.

يتناولـه، فتحدث عن علة حذف الألف منهـا، وعن البدء بالباء وهى حـرف جر، وعلل ذلك بانها متعلقة بفعل محذوف هو «أبتدىء» بسم الله الرحمن الرحيم(١).

ثم أورد الآراء المختلفة في اسم الله الأعظم(٢)، وقولنا في الدعاء «يارب» بإسقاط الألف واللام، ويقـال كذلك «رب» واستدل على ذلك بقـوله تعـالى على لسان موسى عليـه السلام ﴿رب أرنى أنظر اليك﴾(٣).

والبـاب الثـاني والعشرون «في أسماء الـذات وأسماء الصفـات»، والبـاب الثـالث والعشرون «في التوحيـد»، أوضح فيه أصل التوحيد ودليل الـوحدانية، فكل ما في العالم دليل على الواحد الذي لايشبهه شيء، وبين أن «أصل التوحيد ثلاث خصال: الواحد، القدير، الرحيم(٤).

وجاء الجزء الثاني من كتاب الضيـاء مرتبطا بالجزء الأول، فقـد ختم الجزء الأول بأصل التـوحيد ودليل الـوحدانيـة، وفي الجزء الثـاني تناول بعض القضـايا المتعلقـة بتلك القضية الكبرى، ففصل الكلام فى التوحيد وحقيقته وما يتعلق به، فجاء هذا الجزء في خمسة عشر بابا.

الباب الأول: ما يجوز من الصفات حقيقة ومجازا، قسمه إلى أربعة عشر فصلا، تناول فيه كثيراً من المسائل التى تتعلق بالعقيدة وتصحيح ما انحرف منها.

الباب الثاني: جاء مقابلا للباب الأول فأوضح ما لايجوز من الصفات.

البـاب الثـالث: في القول في آيات تتعلق بـالموضوع الذى يعالجه، مثل قـوله عز وجل «يخادعون الله وهو خادعهم»، فأوضح أن ذلك توسع ومجاز في لغة العرب.

وناقش كثيراً من المسائل ورد عليها في أسلوب حـواري، يقول مثلا: فإن قال قائل كذا.. قيل كذا، وإن قال... قيل...

الباب الرابع: في القول في أحاديث لرسول الله ﷺ متعلقة بذلك.

الباب الخامس: في التوحيد قولا، وهو قول «لا إله إلا الله».

وبعد الحديث عن حقيقة التـوحيد فيما يتصل بالوحـد سبحانه وتعالى، والتـوحيد قولا، ناسب أن يكـون الحديث عن نتيجة عقيـدة التوحيد فيما يتصل بجـانب الموحد متخـذا مما أرساه في الأبواب السابقة منطلقـا في معالجة مختلف القضايا، **فجاء البـاب السادس** في

---

(١) الضياء : ج١ ص٢٩٨.
(٢) انظر المرجع السابق ج١ ص٣٠٥.
(٣) : الأعراف / ١٤٣.
(٤) الضياء ج١ ص٣٧٣.

القضاء والقدر، رد فيه على القدرية والمعتزلة في مسائل عديدة. **والباب السابع** في الرزق وطلب المعيشة، **والباب الثامن** في القرآن كتاب الله عز وجل، وأنه لايسمى بذلك غيره من سائر الكتب. ويدعو إلى التمسك به واللجوء إليه «عليكم بالقرآن». ويتناول عدة مسائل مثل إعجازه ونزوله وعدد سوره، والمكى والمدنى.

والباب التاسع فى أحكام القرآن، والنسخ، ومايقع فيه النسخ وما لايقع. **والباب العاشر** في المحكم والمتشابه، **والباب الحادى عشر** في الأوامر والمناهى.

ثم جاء الباب الثاني عشر في الأصل الثاني من أصول الفقه، في الإخبار عن النبى ﷺ، منطلقا مما روى عنه ﷺ أنه قال: «رحم الله امرءا سمع منا صفة فأداها كما سمعها». وفي خبر: «رحم الله امرأ سمع مقالتى فأداها كما سمعها، فرب حامل فقة إلى من لافقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»(١). وفي ذلك دعوة إلى الصدق فى الرواية والتبليغ وعدم التصرف فيها بشكل من الأشكال.

وختم هذا الجزء ببابين: أحدهما: مالا يسع جهله، والآخر مايسع جهله. أوضح فيه أنه «يسع جهل أداء الفرائض مالم يبتل بالعمل بها، فإذا وجب العمل وحضر وقتها لم يسعه ذلك(٢).

وإذا كان الفقة نتيجة للعلم والمعرفة، فهو أساس فقه العبادات والمعاملات، فبعد أن حدث عن العلم مدخلا والتوحيد نتيجة له وقول «لا إله إلا الله» للدخول فى الدين، **جاء حديثه في أصول الدين في الجزء الثالث، فجعل الباب الأول منه** فى شىء من الأصول، فعرفها وأوضح الفرق بينها وبين الفروع، وقيمتها وضرورة العلم بها.

وتحدث بعد ذلك عن الاكتساب في الفعل، والعرض العلة، والإجماع، والأصل المجمل والمفصل.

وجاء الباب الثاني في القياس، فعرفه وأورد حجة صحته وبطلان القول بنفيه، عن طريق العقل والنقل. **وجعل الباب الثالث** في الدين، فعرفه بادئا بأقوال العرب نثرا وشعراً، وذلك لأنه يخاطب العقل بداية، ثم عرفه بعد ذلك من خلال القرآن والحديث.

٢- الانتقال من العام إلى الخاص:

ففي **الجزء الثالث** جعل الباب الثالث في الدين، ثم جعل الباب الرابع في «الإيمان والإسلام»، ثم ارتقى للحديث عن أهل التقى في الباب الخامس، وتطرق إلى مايجب للمسلم على المسلم في الباب السادس، ثم جعل الباب السابع في الصحبة والمعاشرة، والذى يليه في

---

(١) تذكرة الموضوعات لابن القيسراني، المطبعة السلفية ص٤٦٢.
(٢) الضياء ، ج٢ ص ٢٧٩.

الولايـة والبراءة، مورداً بعض المسائل في ذلـك، ومسائل غيرها في الأطفـال: أطفال المؤمنين وأطفال الكافرين.

٣- المزاوجة بين المعاني والموضوعات :

بعـد أن انتهى العوتبـي إلى دقائق الأمـور وخصـائصها فيما يتعلق بـالـدين، انتقل إلى الحديث عن **الجانب المقابل**، في تدرج وتسلسل، بادئا بباب «في الشرك والمشرك»، وآخر «في الكفر والكافر»، ثم «في النفاق والمنافق، و«في الفسق والفاسق»، و«في الظلم»، و«في الفجور»، إلى أن ينتهى إلى الإثم والوزر.

والعوتبـي في ذلك متأثر بأسلـوب القرآن الكريـم في المزاوجة بين الأمـــر والنهي، والترغيب والترهيب، والوعد والـوعيد، والحض والزجر، وذكـر الجنة والنار، وغير ذلك من المزاوجات، فإذا عقد بابا في الجزء الخاص بالصـلاة -لما يجوز للمصلي فعله، عقد بابا تاليا لما لا يجوز للمصلي فعلـه، وبـاب مـا ينقض الصـلاة يقـابلـه بـاب مـالا ينقض الصـلاة، ويتوسطهما باب «ما يكره للمصلي فعله ولاينقض الصلاة». وباب ما تجوز الصلاة به من الثياب وغيرها، يقابله باب مالا تجوز به الصلاة من الثياب وغيرها. وباب مايجوز السجود عليه يقابله باب مالا يجوز السجود عليه ويكره.

ويقابل العوتبي بين المتنـاقضات، ويوازن بين المعاني، فيعقد البـاب السادس عشر «في الهدى والضلال». وناسب أن يأتي الحديث بعد ذلك فيمن جمع بين الحالين من الناس، فكـان الباب السـابع عشر «في المرتد»، ثم جـاء بعـد ذلك باب «في أهل الـذمة»، وتطـرق إلى مـايتعلـق بهم، فجعل البـاب التـاسـع عشر في أطعمـة أهل الكتـاب وغيرهم من المشركين، وذبائحهم ورطوباتهم وأحكام ذلك منهم. ثم جاء الباب العشرون في الجزية وأحكامها.

وجاء البـاب الحادي والعشرون في شيء من اختلاف الفرق والمذاهب والأقـاويل، والباب الثاني والعشرون في اختلاف الناس في المقالات، وقد أورد مواطن متعددة مما اختلف الناس فيه، وأورد المقـالات المختلفة في كل مـوطن، وتحدث عن الفرق وألقـابها، ثم رد على جماعة المغاليين من تلك الفرق والرافضة خاصة(١).

٤- الإجمال بعد التفصيل :

وفيما يمكن أن يسمى عوداً على بـدء أو إجمالاً بعد تفصيل ختم العـوتبي الجزء الثالث بـالحديث عن **المعرفة والتـوحيد**، فعقـد لهما الفصلين الأخيرين من موسـوعته، محتفظاً بنفـس الترتيب بينهما، فالفصل الأول منهما في العلم وطلبـه ومعرفـة الله سبحانـه ونفي

---

(١) الضياء ج٣ ص١٨٤.

الأشباه عنه، ومعرفة الفرق بين صفاته الذاتية وصفاته الفعلية، كأول مايجب على العبد عند أول أحوال التكليف(١) وكأنه أراد أن يذكر بالأصل الأول الذى ينبنى عليه الدين، وهو ما عقد له ثمانية عشر باباً في الجزء الأول.

والفصل الآخر في التوحيد، ذلك الهدف الأسمى الذى تحدث عنه في ختام الجزء الأول وبدء الجزء الثاني، وها هو يختم به الجزء الثالث في صورة مقابلة لصورة تفرق المسلمين واختلافهم في المقالات. وبدأ هذا الفصل بقوله: «اعلموا وفقكم الله أن الدين واحد وإن اختلفت فيه المقالات، وكثرت فيه الجهالات، ووقع بين الأمم الافتراق، وواقع الشيطان بينهم في الشقاق»(٢).

وهو في ذلك يدعو الأمة إلى التوحيد وترك التفرق والانتباه إلى مكايد الشيطان، ومبعث ذلك أن الدين واحد، والحق أيضاً واحد، مستشهداً بآيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي ﷺ قال -عز وجل- ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾(٣) وقال -تعالى-: ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾(٤) وقال تعالى: ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون﴾(٥).

الجزء الرابع: في الذنوب والكبائر والحدود، وهو جزء كبير نسبياً، فقد جاء في تسعة وأربعين باباً، كما يلي:

الباب الأول : في الذنوب والكبائر والتوبة منها. والباب الثانى : في المرتد. والباب الثالث : في الزنا، وهو من أكبر الكبائر وأخطرها على الدين والمجتمع، ولذلك جاءت الأبواب الثمانية التالية لهذا الباب متعلقة به، وجاءت متسلسلة في تدرج منطقي، كما يلي: في الملاعنة، في القذف، في الإحصان، في الحدود، في العفو عن الجنايات، فيما لاحد فيه، في الأدب والضرب والتعذير، في إقامة الحدود وصفتها ومعرفتها، في الحدود.

وجاءت الأبواب **بعد ذلك في الأشربة، وفي السكران وأحكامه، وفي المجنون والأبله، وفي الأعجم والأبكم والأخرس، وفي الأعمى، وفي الغائب.**

وقد ورد في الباب الأخير عدة مسائل دون تسميتها مسألة، ولعل ذلك لأنها حالات فردية وليست مسائل عامة.

وتبعت هذا الباب «**في الغائب**» عدة أبواب تتعلق به وتترتب عليه، **فالباب التاسع عشر** في اليتيم، فاليتيم طفل غاب أبوه ولكن بموت. ثم تلت ذلك أبواب تتعلق باليتيم، **فباب في مال اليتيم، وباب في الوصاية والوكالة والاحتساب والقرض لليتيم، وباب فيما**

---

(١) الضياء ج ٣ ص٢٠٩.
(٢) الضياء ، ج٣ ص٢١٠.
(٣) آل عمران / ١٩.
(٤) الحج / ٧٨.
(٥) يونس / ٣٢.

يجوز للوصى والوكيل والمحتسب والحاكم في مال اليتيم، ومالا يجوز. وختم هذه الأبواب بباب في الرشد وبلوغ اليتيم ودفع ماله إليه.

انتقل العوتبي بعد ذلك إلى مشكلة أخرى تتعلق بالأطفال، أو نوع آخر من الأطفال الذين لهم مشاكل وهو اللقيط. ثم جاء باب في المملوك وأحكامه، وهو باب طويل نسبياً، فقد بلغ حوالي خمسين صفحة(١).

وبعد أن عالج العوتبي قضايا الأسرة والعلاقات الداخلية بينها انتقل إلى العلاقات الخارجية فجاءت الأبواب كما يلي: **في الجار، وفي صلة الأرحام، وفي القرابة وصلتهم وهجرهم.**

وعاد مرة ثانية لما يتصل بالأسرة فعقد **بابا في الوالدين** وبرهما، **وآخر فيما يستحق الولد من مال الوالد**، ويتناول الصورة المقابلة لها فيأتى **الباب الحادي والثلاثين فيمن عق والديه، والباب الثاني والثلاثين فيما يجب للوالد على ولده وللمولى على عبده**، وأوضح في مقابل ذلك مايجب للولد على والده وللعبد على سيده، وما يجب من الحقوق لبعضهم على بعض.

وجعل الباب الثالث والثلاثين في شيء من النهى وما جاء فيه اللعن. والباب الرابع والثلاثين في الكذب وما جاء فيه، ولم يدخله في باب النهي لأن منه ما يباح، ولذلك جعله بابا مستقلا، وجاء الباب الذى يليه مقابلا له، فقد جعله «في الصدق»، ثم توالت الأبواب بعد ذلك في الأخلاق والصفات، في الوفاء، وفي كتمان السر، وفي الحياء، وفي الوعد والعهد، وفي المشورة. وبعد ذلك جاء الباب الحادي والأربعون في طاعة الله عز وجل، ومعصيته، والثواب والعقاب.

وجاء الباب الثاني والأربعون في ترك العجب وكراهة المدحة والتواضع لله تعالى والخضوع له. والباب الثالث والأربعون فيما يروى من قول الله عز وجل، من غرائب الحديث من قول الله عز وجل. والباب الرابع والأربعون فيما روى من كلام النبي ﷺ الذى لم يسبقه اليه أحد، وبعض الأقوال التى تشبه الأمثال. الباب الخامس والأربعون في الأيام والليالي والأهلة. والباب السادس والأربعون في الحمد والشكر. والباب السابع والأربعون فيما جاء في السؤال. والباب الثامن والأربعون فيما جاء في الفقر وأهله. والباب التاسع والأربعون في الورع والعفة.

---

(١) الضياء ، ج٤ ص٣٠٣ – ٣٥٠.

٥- البدء بالعقيدة ثم الانتقال إلى العبادات :

بعد هذه الأصول من المعرفة والتوحيد انتقل إلى العبادات فجعل الجزء الخامس في الصلاة ومايتعلق بها، وجاء فى واحد وثلاثين بابا بدأها بباب القبلة والسترة ومايتعلق بهما ونسخ بيت المقدس، ثم جاءت الأبواب متتابعة كما يلي: فى المساجد وقيمتها ومكانتها عند المسلمين، وما يجوز فعله وما لايجوز، وفي الأذان والمؤذنين والإقامة، وفي الصلاة ووجوبها ومستحبها، وفي معرفة الصلوات وأوقاتها، وفى الفرائض التى لاتتم الصلاة إلا بها ولاتنبنى إلا عليها، وبها يصلح عملها، وأوضح أنها سبع خصال[1] : النية والطهارة والسترة الطاهرة، وطهارة الموضع الذى يستقر المصلي عليه، والعلم بالوقت، والتوجه إلى الكعبة، والقيام منتصبا عند فعل الصلاة، وأورد حجج وجوب كل خصلة منها من القرآن والحديث. وفي الفرائض من الصلوات والسنن، وفي صلاة الوتر، وفي صفة الصلوات عند القيام إليها، والإقامة، والتوجيه، وفي تكبيرة الإحرام، والاستعاذة، والقراءة في الصلاة، وفي الركوع، وتكبيرة الركوع، والسجود وتسبيحهما، وفي السجود، وما يجوز السجود عليه، وما لايجوز، والتحيات والتسليم، وفي التسبيح وفي الدعاء وما يجوز منه وما لايجوز، وفي الصلاة على النبى ﷺ، وفي صلاة المرأة والخنثى، وما يجوز للمصلى فعله، وما لايجوز، وما ينقض الصلاة، وما يكره للمصلى فعله ولا ينقض عليه، وما لاينقض الصلاة وما لايقطعها، وما تجوز الصلاة به من الثياب وما لايجوز، وعالج في هذا الباب اختلاف صلاة المصلى في صلاته لاختلاف أحواله وأوقاته، مثل صلاة المرض والخوف والحرب، وصلاة الحاجات مثل الكسوف والزلزلة والاستسقاء، وصلاة السنن والنافلة والتطوع مثل صلاة الضحى، وقيام الليل، وصلاة التراويح. والجزء السادس في الزكاة وإخراجها، والصيام وما جاء فيه، والجزء السابع في الحج وأركانه.

٦- بعد الفرائض جاءت المعاملات والعلاقات بين الناس:

وهى على مستويات متعددة مختلفة، فقد تدرج فيها من الخاص إلى العام، فبدأ بأقرب العلاقات وأكثرها خصوصية، وهى العلاقات في مجال الأسرة الصغيرة، ثم الأسرة الأكبر، ثم الجوار، ثم المجتمع، ثم الدولة والحكم بين الناس، فجاء الجزء الثامن في العتق والرضاع والنكاح وأحكامها، والجزء التاسع في الطلاق، والعاشر في الخيار، والخلع، والإيلاء، والظهار، ورد المطلقة، والعدة، والحضانة، والحيض وأحكامه. والجزء الحادى عشر في القضاء (الحكم بين الناس).

وهكذا نجد أن كل باب يسلم إلى الباب الذى يليه، فيمهد السابق للاحق، أو يفصل اللاحق ما أجمل فى السابق، أو يخصص ما عم.

---

(١) الضياء ج٥ ص١٠٩

٧- الاستدلال العقلي والنقلي :

استعان العوتبي بالعقل والنقل على صحة ما يقول، فاستخدم القياس المنطقي الذي يعتمد على العقل، كما استخدم الأدلة النقلية على حد سواء، ومن أمثلة ذلك استدلاله على بطلان قول من قال (المحرم منه «أى الخمر» الذي أسكر دون مالا يسكر، وإن الشربة التي تسكر هي الحرام)(١). يقول العوتبي فى إثبات بطلان ذلك : إن كان الاختلاف بين الناس في الخبر على ضربين فسد أحدهما وصح الآخر، والنظر يوجب أن الخبر، إذا كان صحيحاً قول من قال إن الشربة التى حدث معها السكر هى المحرمة دون غيرها، أن ذلك إغفال ممن قال به، إذ محال أن يحرم النبي ﷺ الشيء بعد فعل الفاعل له، ومحال تحريم الشيء بعد فعل الفاعل له، وإنما حرم شرب المسكر قبل شربه، وغير جائز أن يحرم شيئا ويكون ذلك الشيء المحرم غير معلوم، إذ لو كان ذلك كذلك لما وجد العباد السبيل إلى الطاعة لأن المتطوع متى قصد إلى فعل ما أمر بفعله، أو ترك ما أمر بتركه وهو عالم به، فغير جائز أن يحرم الله شيئا ولايدل عليه بدليل أمر هو به، فلما استحل ما ذكرنا عندنا وعند من اختار غير اختيارنا علمنا أن الله حرم قليل السكر وكثيره على لسان نبيه ﷺ، وفى صحة ما اخترنا دليل على إبطال من قال إن المحرم الشربة التى تسكر. والله أعلم(٢).

يبرز العوتبى هنا كعالم من علماء الكلام في استدلاله العقلي عن طريق الفروض الجدلية ليصل إلى صحة ما اختاره في النهاية.

ويورد بعد ذلك الأدلة النقلية على تحريم الخمر من الحديث والأخبار. وفي هذا المجال ومثله يحرص على ذكر سند الحديث ليؤكد صحته ويقطع اللجج، يقول: «والأخبار المتواترة عن النبي ﷺ -مع اختلاف الرواة لها، وتفاوت ما بينهم، واختلاف معانيهم- أنه حرم المسكر، وقال «كل مسكر حرام». وقد قيل ملء الكف حرام، وقال : القطرة حرام.

وعن جابر، يرفع عن النبى ﷺ أنه قال: «ما أسكر كثيره فقليله حرام».

وروي عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال : «ما أسكر الفرق منه فملء الكف حرام، والقطرة حرام والجرعة منه حرام»(٣) وهذا الحديث وغيره والأخبار والروايات كلها تفسد قول من أجاز شرب النبيذ المنهي عنه الذي من شرب منه سكر، وإنما أجازت الأحاديث والروايات الشراب من غير الخمر إذا لم يكن مسكرا، مما لم يكن في الأصل مسكرا، أو لم يكن خمرا، ولا من وعائه.

---

(١) الضياء ج٤ ص١٨٨.
(٢) الضياء ج٤ ص١٨٩.
(٣) ميزان الاعتدال ١٠٤٠٨.

وقد روي أن ابن عمر بن الخطاب وعلي بن أبى طالب ومعاذ بن جبل، وأبا موسى الأشعرى، وأبا عبيده بن الجراح أنهم كانوا يحرمون شرب الطلاء على الوصف الذى ذكرناه من الطبخ.

وروي عن النبى ﷺ من طريق جابر بن عبدالله أنه نهى أن ينبذ التمر والزبيب جميعاً، ولا الرطب والبسر جميعاً، وأن ينبذ كل واحد على حدة.

ومن طريق أنس عنه ﷺ أنه «نهى عن نبيذ التمر والبسر جميعاً»(١)

ومن طريق عمر أنه «نهى أن يخلط البلح قبل البسر والتمر»(٢)

ومن طريق ابن عباس أنه «نهى أن يخلط البسر والتمر جميعاً».

وفي الحديث عن القياس وصحته يضرب أمثله للقياس الغلط فيقول : «ومن شبه الزكاة بالصلاة فغلط لأن الصلاة عمل على البدن ليس لأحد فيه حق، والزكاة دين تقوم في ماله يخرجها هو ويخرجها غيره بأمره، ويخرجها الإمام إلى أهلها إذا غاب عنها أو منعها بغير رأيه لأن الإمام حاكم يحكم بماثبت عنده من حق على الغائب والحاضر والممتنع. ثم يقول تأدباً وتواضعاً «والله أعلم».

ويتابع قائلاً: «وليس شهادة النكاح كشهادة الحقوق لأن الحقوق لايحكم بها الحاكم إذا عدل إلا بالعدول من البينة لأن الحاكم يطلب أن يكون عدلاً على الحقوق والأحكام، فشهوده أيضاً عدول مثله، وليس كذلك فى النكاح، لأن النكاح لايطلب العدول فيه من الأولياء والمتزوجين جاز أن يكون البينة لهم كذلك والله أعلم(٣).

٨- ابتعد العوتبي عن نقاط الخلاف :

فإن كان الرأي مخالفا أورده بالبناء للمجهول لمجرد العلم به فيقول مثلا، ويرى بعضهم، أو قال بعضهم، أو وقال من قال، أو روى بعضهم، أو قيل، أو روي،.... إلى غير ذلك من الأفعال المبنية للمجهول أو التى لم يذكر فاعلها، مكتفيا بكلمة بعضهم. ولم يغير أو يبدل في مقالاتهم، ويقول في مقدمته لكتابه (الضياء) موضحاً منهجه في ذلك: «وقد ذكرت شيئاً من أقاويل قومنا الموافقة لنا، والمخالفة لأقاويلنا في مواضيعها من الكتاب، إذ العلم بذلك خير من الجهل به»(٤).

---

(١) مسند ابى حنيفه ١٥٣.
(٢) مسند ابى حنيفه ١٥٣.
(٣) الضياء ج٣ ص٢٢.
(٤) الضياء ج١ المقدمة ص١٨
(٥) المرجع السابق ص٢٠.

ومن الأصول التي اعتمد عليها منهجه في الضياء أن «السكوت خير من الكلام العاري من البرهان، والخرس أفضل من قول بغير بيان»(٥).

ومن هذا المنطلق لم يهتم بالرد فيما اختلفت فيه الأقوال بحسب التأول، وإنما اكتفى بتأكيد رأيه بالدليل والحجة من نقل وعقل، أما عندما يكون الاختلاف في مسألة تمس العقيدة فإنه يرد بقوة وعنف، ومن ذلك رده على جماعة غالية الشيعة والرافضة.

ثانيـاً : الأســلوب

كلمـة «الأسلــوب» في العربيـة مجاز مأخوذ من معنـى الطريق الممتد، أو السطـر من النخيل، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، **والأسلوب** الطريق والوجه والمذهب، يقال أنتم في أسلوب سوء، ويجمع على أساليب، والأسلوب الفن، يقـال: أخذ فلان في أساليب من القول، أى أفانين منه(١).

وتناول الـزمخشرى مادة «سلب» فقال: «سلبه ثـوبه، وهو سليب، وأخذ سلب القتيل وأسـلاب القتلى، ولبست الثكلى السـلاب، وهـو الحداد، وتسلبت وسلبت على ميتهـا فهي مسلب، والإحداد على الـزوج والتسليب عام. وسلكت أسلوب فـلان: طريقته، وكـلامه على أساليـب حسنه. ومن مستلب العقل، وشجـرة سليب: أخذ ورقهـا وثمرها، وشجـر سلب. وناقة سلوب: أخذ ولدها، ونـوق سلائب. ويقال للمتكبر: أنفه في أسلوب، إذا لم يلتفت يمنة ولايسرة(٢).

وبالنظر إلى التحديد اللغوي لكلمة **«الأسلوب»** يمكن تبين أمرين: **الأول:** البعد المادى الذى يمكن أن نلمسه في تحديـد مفهوم الكلمة من حيث ارتبطت في مدلـولها بمعنى الطريق الممتد، أو السطر من النخيل، ومن حيث ارتبـاطها أحياناً بالنواحي الشكليـة كعدم الالتفات يمنـة أو يسرة. **الثـاني:** البعد الفني الذي يتمثل فى ربطها بأسـاليب القول وأفانينه، كما نقول: سلكت أسلوب فلان: طريقته. وكـلامه على أساليب حسنة. ولعل المعنى الاصطلاحى لم يبعد كثيراً عن هذا المفهوم اللغوي إن لم يطابقه(٣).

والحديث عن «الأسلوب» يبدأ بأرسطو وكتابه «فن الخطابة»، حيث أفرد المقالة الثالثة والأخيرة من هذا الكتـاب للأسلـوب، وفى هذه المقالـة استخدم الأسلـوب بمعنى اللغة التي يستعملها المتكلم إذ يقول في بدايتها: «إن المرء يراعـي فى قوله ثلاثة أشياء: **أولها وسـائل الإقناع، وثانيها الأسلوب أو اللغة التى يستعملهـا، وثالثها ترتيب أجزاء القول»**(٤) ولعله كـان أكثر وضـوحاً في تحديـد معنى الأسلوب حين أشـار فى موضـع آخـر إلى أهمية الطريقة التى يعبر بها المرء عما يريد، فـلا يكفي أن يعرف المرء ما ينبغي أن يقال، بل يجب أن يقـوله كما ينبغي، فيستخـدم في أسلـوبه الـوسائل الكفيلـة بخلق التأثير الـذي يريـده

(١) انظر : مادة (سلب) لسان العرب – ابن منظور، دار المعارف : ٢٠٥٩.
(٢) أساس البلاغة – كتاب الشعب ١٩٦٠ : ٤٥٢.
(٣) د. محمد عبدالمطلب ، البلاغة والأسلوبية ، الهيئة المصرية ١٩٨٤م ص١٣.
(٤) د. محمد غنيمى هلال، النقد الأدبي الحديث ، القاهرة ١٩٦٢م ص١٢٩.

والوصـول إلى غايتـه التى ينشدهـا. ومن هذه الـوسائل مـايتصل بمعجم الألفـاظ، ومنها مايرجع إلى أنماط التراكيب، ومنها مايرجع إلى ألـوان المجاز، مع صحة الأسلوب ووضوحه ودقة التعبير(١).

وإن كنا لانجد كلمة «الأسلوب» مستخدمة فى نقدنا العربى القديم فقد استخدمت كلمات وعبارات أخرى فى مجال وصف النصوص الأدبية وتحليلها وتقييمها، مثل «فصاحة اللفظ» و «جزالة العبارة» و «حسن السبك» و «براعة التأليف» وما إليها من العبارات.

أما الذي أفاض فيه نقادنا العـرب القدماء فهو «اللفظ» و «المعنى» باعتبارهما العنصرين اللذين يتألف منهما «القول» أو «الكلام»(٢).

وتأثر الجاحظ(٣) بفكرة الفصل بين اللفظ والمعنى التي انطوت عليها صحيفة (بشر بن المعتمر ت٢١٠هـ).

أما عبدالقـاهر الجرجانى فقد انفرد من بين النقاد العرب القـدماء باستخدام مصطلح «الأسلـوب» بمعنى النظم فيما يعـرف باسم «نظـريـة النظم» فى سياق حـديثـه عن معنى «الاحتذاء».

وقد أفاد عبدالقاهر بما في النحو من إمكانات تركيبية ووظفها بشكل مباشر فى محاولة خلق نظرية لغوية فى فهم الأسلوب، من حيث كان النحو خالقا للنسق التعبيري الذى يحقق (المزية والفضيلة) بجانب الصحة والسلامة.

ففى مجال أبنية الكلمات قدم النحاة لمحات كاشفة عن دلالة بعض الأبنية وتمايز كل بنية عن الأخرى، وما تنفـرد به كل بنية من حيث دلالتها، **فبنية المصدر -على تنـوعها- غير بنية الاسم، وغير بنية الفعل، وصـيغ المبالغة، وأسـماء الفاعلين، والمفعولين وغيرها، يقـول سيبويـه** -وهو يسمي النسب إضـافـة- فى التفـريق بين صيغـة «فعال» وصيغة «فـاعل» في النسب: «هذا بـاب الإضافـة تحذف فيه يـاء الإضافـة وذلك إذا جعلته صاحب شىء يـزاوله، أو ذا شىء. أما مايكـون صـاحب شىء يعالجـه فإنـه مما يكون «فعالا» وذلك قولك لصاحب الثياب: (ثـواب)، ولصاحب العاج: (عواج)، ولصاحب الجمال التي ينقل عليهـا: (جمال)، ولصـاحب الحمـر التـي يحمل عليهـا: (حمار)، وللـذى يعـالج الصرف: (صراف). وذا أكثر من أن يحصى.

---

(١) انظر د. شفيع السيد، الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي، دار الفكـر العربي ، القاهرة ١٩٨٦م ص٩ وانظر أيضا: د. أحمد درويش، الأسلوب والأسـلوبية، مدخل فى المصطلح وحقول البحث ومناهجه، مجلة فصول، المجلد الخامس، سنة ١٩٨٤م ص٦١.

(٢) انظر : الصناعتين، لأبى هلال العسكري، تحقيق على محمد البجاوى، ومحمد أبوالفضل ابراهيم، القاهرة والحلبى ص٧٥.

(٣) انظر كتابه «الحيوان» تحقيق عبدالسلام هارون ، ج٣ ص٨١٣٢.

واما ما يكون ذا شيء وليس بصاحب صنعة يعالجها فإنه مما يكون «فاعلا»، وذلك قولك لذى الدرع: (دارع)، ولذي النبل: (نابل)، ولذي النشاب: (ناشب)، ولذي التمر: (تامر)، ولذى اللبن: (لابن).

والمعنى النحوي ليس منعزلا بطبيعة الحال عن النص، ولايمكن أن يكون كذلك. ولذلك ينبغي النظر دائماً إلى المعنى النحوي بوصفه الجديلة المزدوجة المفتولة بإحكام من المفردات والنظام النحوي معاً، المنصهرة فى بوتقة «الاختيار» بينهما، بحيث تكون دلالة الكلمة الحقيقية في سياق بعينه جزءا من دلالة الجملة كلها، ومن هنا تكون دلالة الكلمة حصيلة لاجتماع المعنى النحوي والمعنى المعجمي في سياق مخصوص(١).

ويقول عبدالقاهر الجرجاني في الجمع بين المعنى النحوي والسياق: «فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صواباً، وخطؤه إن كان خطأ، إلى «النظم»، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو من معاني النحو قد أصيب به موضعه(٢).

ويقول فى موضع آخر «وإذ قد عرفت أن مدار أمر «النظم» على معانى النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لاتجد لها ازدياداً بعدها. ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها، ومن هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض»(٣).

ويتخذ الدكتور محمد حماسة هذه المقولة، «وهى تكون دلالة الكلمة من المعنى المعجمي والوظيفي والسياق معا» منطلقا إلى القول ان «الأسلوبية التطبيقية» التى تتعامل مع جانب واحد من جوانب النص –والإحصائية منها على وجه الخصوص– أسلوبية جافة(٤).

واستطاع عبدالقاهر من خلال مفهومه للنحو أن يستكشف جوانب خصبة فى التراكيب، فربط نظامها بالفكر اللطيفة، وكان مدخله لمناقشة قضية الإعجاز القرآنى، وأطلق على نظريته كلمة دقيقة هي «النظم».

والأسلوب أو النظم عند عبدالقاهر هو ترتيب مفردات اللغة ترتيباً مبنياً على العلاقات النحوية، أو معاني النحو كما يسميها، واعتبر الألفاظ رموزاً للمعاني، «فإذا وجب لمعنى أن يكون أولاً في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولاً في النطق»(٥) فالفكر لايتعلق

---

(١) انظر : د. محمد حماسة عبداللطيف، النحو والدلالة، مطبعة المدينة، مصر ١٩٨٣م ص١٧٣.
(٢) دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مصر ١٩٨٤م ص٨٢، ٨٣.
(٣) المرجع السابق ص٨٧.
(٤) د. محمد حماسة ، النحو والدلالة ص١٧٣.
(٥) دلائل الإعجاز ص٥٢.

باللفظة المفردة، وإنما يتعلق بما بين المعانى من علاقات، والنحو بإمكاناته الواسعة هو الذي يقدم للمبدع كل الاحتمالات الممكنة في تكوين الجملة بحيث يكون النظم عملية تسلسل تركيبى للإمكانات الاستبدالية والقدرة التوزيعية، وفى مقولتهم عن انتهاك اللغة وانحرافها عن النمط المألوف، وذلك باخضاعه المجاز لسيطرة النحو وعلاقاته التركيبية. إن لم نقل إنه جاوزهم بمقولته عن تجدد المواضعه تبعاً لتجدد الاستعمال.

وقدم عبدالقاهر كثيرا من النماذج، محللا لها، كاشفا عن نظامها النحوي، موضحاً للعلاقات التركيبية في هذا النظام، وما لكل ذلك من أثر في الدلالة، وصولاً إلى فردية الاستعمال وما يترتب عليه من وجود مناطق نحوية أثيرة يتحرك فيها كل مبدع. ويكاد يكون المجاز ممثلا لأكبر قيمة في انتهاك النظام اللغوى والخروج على مألوفه، والعدول فيه يبدو وبشكل بارز فى تحديد مفهومه على المستوى اللغوى أو المستوى الاصطلاحى، مما جعل له دوراً بارزاً في الدلالة ومباحثها، ودوراً بارزاً فى خلق الصورة الفنية من خلال مباحث الاستعارة والكناية والتمثيل.

وهكذا اقترب النقد العربي القديم في حركته، أو بمعنى آخر، اتصل بحركة الدرس الأسلوبي، يتمثل ذلك في عملية التمازج بين النقد والبلاغة والنحو، حيث أصبحت بحوث النحويين المنهجية وسيلة لتقييم الأسلوب ورصد خواصه، مثلما نجد في الحديث عن التعجب والاستفهام -مثلا- وخروجهما عن الغرض الأصلي إلى أغراض إضافية تمثل قيما جمالية تعبيرية فى النص الأدبى(١).

والأسلوب عند ابن خلدون هو المنوال الذى ينسج فيه التركيب أو القالب الذى فرغ فيه(٢).

وهو عند حازم القرطاجني «هيئة تحصل عن التأليفات المعنوية والنظم، وهيئة تحصل عن التأليفات اللفظية. ولما كان الأسلوب في المعانى بإزاء النظم فى الألفاظ وجب أن يلاحظ فيه من حسن الاطراد، والتناسب، والتلطف في الانتقال من جهة إلى جهة، والصيرورة من مقصد إلى مقصد، مما يلاحظ في النظم من حسن الاطراد من بعض العبارات إلى بعض، ومراعاة المناسبة ولطف النقلة»(٣).

فالأسلوب -إذن- معان مرتبة قبل أن يكون ألفاظاً منسقة، وهو يتكون في العقل قبل أن ينطق به اللسان أو يجري به القلم. ولايزال هذا هو تعريف الأسلوب إلى اليوم، فهو

---

(١) انظر ص١١٦، ١١٧ وانظر ايضا د. شكرى عياد، الأسلوب في التراث القديم، مجلة فصول، عدد أكتوبر سنة ١٩٨٠م.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص٥٧.

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق الدكتور محمد الحبيب خوجه، تونس ١٩٦٦م ص٢٦٤.

طريقة الكتابة أو طريقة الإنشـاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعانـي قصد الإيضاح والتأثير، أو الضرب من النظم والطريقة فيه(١).

فـالأسلوب يمثل أداة فنيـة لها أهميتهـا وخطورتها حين يـريـد المؤلف أن ينقل فكرتـه وآراءه وعـاطفته ومعـانيه إلى النـاس. ومن هنـا يتدخل الجمهـور أو المتلقى عنصراً ضمن عناصر الحكم على الأسلوب أو لـه، لبيان تأثيره وما نقله من التجربـة، وكيفية الانتقال بما يتطلبه من موسيقى وتصوير لخلق المزيد من التأثير في النفوس»(٢).

وهكذا نجـد أن كلمة «الأسلـوب» قد ظهـرت فى تراثنـا القديم على نحـو ربطت فيه بين مدلول اللفظ وطـرق العرب فى أداء المعنى، أو بينه وبين النوع الأدبى وطـرق صياغته، كما ربطت أحياناً بينه وبين شخصية المبدع ومقدرته الفنية، كما أنها ربطت -أيضا- بينه وبين الغرض الذي يتضمنـه النص الأدبى، وقد يتساوى مفهوم الكلمـة مع مفهوم «النظم» الذي يمثل الخواص التعبيرية فى الكلام، لكن ذلك كله لم يقدم نظرية مكتملة يمكن اعتبارها بحثاً أسلوبياً عربياً فى المجال التنظيري أو التطبيقي.

أما كلمة «الأسلوب» فقد ظهرت خـلال القرن التاسع عشر عند الغربيين، لكنهـا لم تصل إلى معنى محدد إلا فى أوائل هـذا القـرن، وكان هـذا التحـديد مـرتبطـاً بشكل وثيق بأبحاث علم اللغـة، فحين ظهرت بـوادر النهضة اللغـوية فى الغرب فيما عـرف بالفيلـوجيا Philalagy أكدت الصلـة بين المباحث اللغـوية والأدب. لأنها لم تنظر إلى الـدراسة اللغـوية باعتبارها جهود علماء الغرب فى إرساء معالم الأسلوبية(٣).

وحظيت دراسة الأسلوب Style-Study منذ مطلع هذا القرن بعناية الباحثين في أوربا، واتجه اهتمامهم إلى تقديم بعض المبـادىء والأسس النظرية العـامة المتعلقة بـه، أو دراسة بعض الظواهر الأسلوبية فى عمل أدبي معين أو عند كاتب بذاته.

وانصب الاهتمام على النسيج اللغوي للعمل الفنـي، على الصنعة الأدبية نفسهـا، والبعد عما هو خارج النص، كبعض الحقائق التي تتصل بحيـاة المؤلف، وسيرته الذاتية، والأحكام الأدبية التقليدية التى تسبق العمل الأدبي(٤).

يقول «فاليرى» إن الأسلوبية إنما تبحث التأثيرات الأدبية، وتفحص الوسائل التعبيرية والإيحائيـة التى يبتكرهـا الكاتب أو الشـاعر لترفـع من طاقـة الكلام وقـدرته على النفـاذ

---

(١) انظر : أحمد الشايب، الأسلوب ، النهضة المصرية، القاهرة ، الطبعة الثامنة ١٩٨٨م ص٤٠، ٤٤.
(٢) انظر : د. عبدالله التطاوى، قضايا الفن في قصيدة المدح العباسية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٨١م ص٤٥٤.
(٣) انظر : د. محمد عبدالمطلب، البلاغة والأسلوبية ص١١٧ - ١١٩.
(٤) انظر : G. Haugh. Styleand Stylistics, Landan, 1969, 14-15.

والتأثير، أو على حد تعبير أحد النقاد الأمريكيين إنها «دراسة ما يتجاوز منطق اللغة في التعبير»(١).

وإذا كان «علم اللغة» ينصب على دراسة ما يقال، فإن «الأسلوبية» تنصب على كيفية ما يقال، بحيث تتحول الحقائق اللغوية إلى قيم جمالية فى الأداء الإبداعى دون وقوع فى شرك الفصل بين الشكل والمضمون.

وذكر «بوهلر» أن للغة ثلاث وظائف فى عملية الإبداع الدلالي، هى الوظيفة الوصفية، والوظيفة التعبيرية، والوظيفة الاقتصادية، وقال إنها عادة ما تجمتع في المنطوق اللغوى الواحد.

ثم جاء «جاكبسون»، وعدل فى تصنيف «بوهلر» واصطنع فكرة «الأداء» بدلا من «الاقتضاء»، وفكرة «المرجعية أو الإحالة» بدلاً من «التمثيل أو الوصف» وصنف للغة ست وظائف هي:

١- **الوظيفة المرجعية:** وتتعلق بموضوع الرسالة.. وهذه الوظيفة تحدد العلاقات بين الرسالة والموضوع الذي تدل عليه، ويقال لها الوظيفة الإحالية أو الدلالية.

ويمكن أن نسميها عملية تحديد المشكلة أو الموضوع بحيث ينحصر ويتضح لدى المتلقي ولايكون ذلك إلا بقدرة المرسل على توضيحه وتجليته وتنقيته من الغموض.

٢- **الوظيفة الندائية:** وتتعلق بالمخاطب وموقفه النفسي، وتعود إلى العلاقات التي بين الرسالة والمتلقى فى مهمة لموضوعها، ويقال لها الوظيفة الإفهامية (مراعاة مقتضى الحال فى البلاغة العربية).

٣- **الوظيفة الانفعالية:** وتتعلق بالمتكلم وقدرته على إبلاغ رسالته، وتحدد العلاقات التى بين المتكلم أو المرسل والرسالة أو المنطوق اللغوي.

٤- **الوظيفة الاتصالية:** وتتعلق بما يستخدمه المتكلم من وسائل لتأمين عملية الاتصال، إذ تحرص على إبقاء التواصل بين المرسل والمتلقي (عملية تشويق المتلقي وجذب انتباهه للرسالة).

٥- **الوظيفة الشعرية:** وتشير إلى قيمة الرسالة نفسها، وقد عرفها «جاكبسون» بأنها «علاقة ذاتية، هي العلاقة بين الرسالة وبين ذاتها إذ تكون الرسالة غاية في ذاتها.. «وكأنه يقصد ما يقصده أصحاب نظرية الفن للفن»(٢).

---

(١) انظر : S. Ulmann, Meaning and Style, Oxford, 1973, P.41 وانظر أيضا د. شفيع السيد، الأسلوبية ص٧٠ وما بعدها.
(٢) د. عبدالرؤوف مخلوف، من قضايا اللغة والنقد والبلاغة، دار الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى ١٩٨١م ص١١١.

٦- **الوظيفة «الماوراء لغوية»**: وتعود إلى العلاقات اللغوية نفسها، وهي تتعلق بقابلية المضمون الكلامي للصياغة وأن يصبح مدونة ذات مفروضات.

ويرى «جاكبسون» أن كل حدث لغوي يتضمن رسالة وأربعة عناصر مرتبطة بها، هي: المرسل، والمتلقي، ومحتوى الرسالة، والكود أو الشفرة المستعملة فيها، أما علاقة هذه العناصر بعضها ببعض فمتنوعة متغيرة، فقد يحدث أن تعمل الوظائف المختلفة لها بشكل منعزل، لكن المألوف أن نجد مجموعة من الوظائف متماسكة، مترابطة، لاتتكدس مع بعضها البعض ولكنها تنتظم فى مراتب(١).

واقترح «جاكبسون» نموذجاً شاملاً للاتصال اللغوي، قدم فيه ستة عناصر، شرحها كما يلى:

يوصل المرسل **خبرا إلى المستقبل**، وينبغي أن يعتمد ذلك على **سياق** (ويقصد به المحيط غير اللغوي)، ويتطلب الأمر **نظاماً لغوياً** مشتركا بين المرسل والمستقبل، **ووسيلة اتصال**. والمقصود بوسيلة الاتصال قناة بالمفهوم النظري الإعلامى، والتي من خلالها يتصل المرسل والمستقبل أحدهما بالآخر.

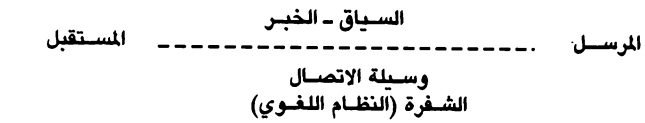

ويمكن عرض تلك الوظائف، التى يرتبط بعضها ببعض (بالنظر إلى العوامل الأساسية فى مسألة الاتصال)، كما يلي :

انفعالية	سياق شعرية اتصالية لغوية	تقويمية

وقد وضعت العناصر الهامة هناك والصلات بينها في نموذج يمكن تمثيله فى الشكل التالى:(٢)

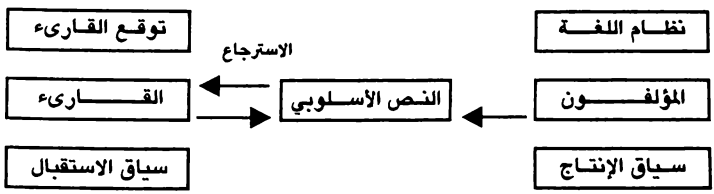

---

(١) للتعريف على الوظائف الاساسية والوظائف الثانوية انظر : د. صلاح فضل، نظرية في النقد الأدبي، الانجلو المصرية، الطبعة الثانية ١٩٨٠م ص٣٨٣. وما بعدها - د. محمد عبدالمطلب، البلاغة والأسلوبية ص١٥٧ - ١٧٩.

(٢) برند شبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية ، ترجمة د. محمود جاد الرب، الدار الفنية، القاهرة ص ١٩٨٧١ ص ١٠٧ - ١٠٩.

وعرض «ألمان» صورة وافية لعلم الأسلوب كما استقر -حوالى منتصف هذا القرن- لدى المدرسة الفرنسية من تلاميذ «بالى» وهو «علم الأسلوب الوصفي» كما يسمونه، وموضوعه، كما يعنون «ألمان»، دراسة «الإمكانات الأسلوبية فى لغة ما». وقدم مثالاً من عنده لهذا النوع من الدراسة حين عدد «القيم الخاصة» لتركيب فرنسي خارج عن المألوف، وهو تقديم الفعل على فاعله فى الجملة غير الموصولة والمبدوءة بظرف. على أنه أضاف إلى هذا النوع عرضاً موجزا لما أسماه «الجمل الإيحائية»، وهذه لاتستمد قيمتها من التشكيل اللغوى ذاته كالنوع السابق، بل من «الأعراف اللغوية الاجتماعية» Rigirsters التى عني بها الباحثون اللغويون والأسلوبيون الإنجليز بصفة خاصة(١).

فاللغة فى تركيباتها تنطوى على جانب يتصل بالفكر، وجانب آخر يتصل بالوجدان، وقد يطغى أحدهما على الآخر بحسب الحالة التى يكون عليها المتكلم، وحسب الظروف التى تحيط به.

وتاتى الأسلوبية لتتبع ملامح الشحن العاطفى فى الخطاب بوجه العموم من حيث استخدام اللغة بشكل متجدد، يختلف إلى حد بعيد عن ذلك النمط التركيبي الذى نلمسه فى الخطاب النفعى العادى، فالأسلوبية تعنى بالجانب العاطفى فى الظاهرة اللغوية -أو ما يسميه «ج.كوهين» بالانتهاك(٢). خروجا على النمط اللغوى العقلانى الخالص. وتحاول قدر جهدها استكشاف الكثافة الشعورية التى يتلون بها الخطاب.

لذلك حدد «بالى» حقل الأسلوبية بظواهر تعبير الكلام، وفعل ظواهر الكلام المليئة بالإحساس.

فمعدن الأسلوبية ما نجده فى اللغة من وسائل تعبيرية تبرز الملامح العاطفية والجمالية، بل إنها تكشف أيضاً عن النواحى الاجتماعية والنفسية من خلال النص الأدبى، فهى إذن تنكشف أولا بالذات فى اللغة الشائعة التلقائية قبل أن تبرز فى الأثر الفنى(٣).

وكما يقول «تشوسكى» إن النقطة الأساسية التى تمركزت حولها الدراسات الأسلوبية هو المظهر الإبداعى للغة، حتى على مستوى الاستعمال العادى، إن كل المظاهر لتوحى بأن الذات المبدعة تخترع لغتها -بوجه من الوجوه- كلما عمدت إلى التعبير عن نفسها، أو هى تعاود اكتشاف تلك اللغة كلما سمعت الآخرين -من حولها- يتكلمون بها، وكأنما هى قد تمثلت فى صميم جوهرها المفكر نظاماً متسقا من القواعد. وبعبارة أخرى، يمكن القول بأن كل الظواهر توحى بأن الذات المتكلمة تملك ضربا من النحو الذى يسمح لها بابتكار لغتها الخاصة(٤).

---

(١) انظر : د. شكرى عياد، اتجاهات البحث الأسلوبي، دار العلوم للطباعة والنشر، السعودية ١٩٨٥م ص١٤، ١٥.
(٢) Stcucture du Language Paetique - P. 100. نقلاً عن د. محمد عبدالمطلب، المرجع السابق ص١٤٤.
(٣) عبدالسلام المسدى، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب ، ليبيا، طرابلس ص٣٧.
(٤) د. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر ، القاهرة ص٧٢.

ولاشك أن كل مبدع يصل إلى مرحلة النضج يستطيع أن يفهم ثم ينتج تركيبات لاتنتهى، فاللغة بوسعها أن تستعين بعدد محدد من الوسائل لتنتج عدداً لايتناهى من الاستعمالات، وهذه الاستعمالات هى التى ترتكز عليها الأسلوبية فى مظهرها الحسي، باعتبار أن الكلام الأدبى مجموعة من الجمل لها وحدتها المميزة، ولها قواعدها ونحوها، ودلالتها، ولأسلوبيون يتعاملون مع الجملة كتعاملهم مع النص بأكمله، لأنها قابلة للوصف على مستوياتها المتعددة، من صوتية، وتركيبة، ودلالية(١).

فالأسلوب هو طريقة المرسل فى توظيف اللغة للإبانة عن الموضوع، بدءاً من الإبانة البسيطة وانتهاء الإبانة التى لايبلغ شأوها إلا الأقلون، ومروراً بإبانات الملايين من الذين يستخدمون اللغة وسيلة إبانة.

وتحت كلمة «الطريقة» أو «الشكل» أو «النمط» أو الصورة» تأتى دراسات لاحصر لها، منها ما يتصل بالدلالة، ومنها ما يتصل بالبنية، ومنها ما يتصل بالنبرة، ومنها ما يتصل بالجرس الموسيقى، ومنها ما يتصل بالتركيب والنحو، ومنها ما يتصل بالعلة الباعثة، ومنها ما يتصل بالغاية.. وتلك في جملتها أدوات لابد للناقد من الإلمام بها كيما يستطيع الحكم على النتاج اللغوى أو الأسلوب(٢).

إن الأسلوب يمكن أن نعتبره طبيعة بيانية للكتابة ذات حدود شكلية. وليست البيانية هنا بالمعنى الموروث عن البلاغة القديمة، ولكن بمعنى أن لغة الكتابة تختار لنفسها أشكالاً تتعدد بتعدد الأنواع.

فالأسلوب يرتبط بوسائل تعبيرية معينة نتجت من استعمال معجم الكلام الذى خلقت له اللغة نظاماً مرتباً، ويأتى الاستعمال ليحدث خللا فى هذا النظام، بدءا من اللغة المشتركة، ووصولاً للوظيفة المزدوجة لفن اللغة وفن الأدب.

إنه النمط الذى يتبعه المنشىء فى استخدام اللغة على نحو خاص لأداء ما يقصد إليه من تصوير وإحضار. ونعنى بالنمط اختيار الألفاظ بأعيانها، وطريقة تركيبها بعضها مع بعض، على النحو الذى يشاؤه، بحيث تجىء العبارة فى آخر الأمر ولها هيئة خاصة، وتركيب خاص، ونمطية خاصة، يستتبع ذلك كله تصويراً وتأثيراً خاصين، بحيث نجد أن شخصين لايمكن أن يتفقا فى الأسلوب تمام الاتفاق فى نقل فكرة ما. ومن ثم يمكن أن نقول إن أسلوب الرجل هو الرجل ذاته، وحيث لاتتطابق صورة رجلين ولو كانا توأما، فإن أسلوبين لن يتطابقا أبداً، فلا المفردات هى المفردات، ولارصف الكلمات وترتيبها هو

---

(١) د. محمد عبدالمطلب، البلاغة والأسلوبية، ص١٤٥.

(٢) انظر : د. عبدالرؤوف مخلوف، من قضايا اللغة والنقد والبلاغة ص١١٥، ١١٦.

الرصف والترتيب، ولا الشكل العام هو الشكل، وإنما هذا قصيد، وهذا مقال، وهذه رواية وتلك قصة.

إن كل واحد يصدر فى لغته عن ضخصيته، تلك التى تختلف من فرد إلى فرد تبعا لاعتبارات لا يأتى الحصر عليها، فخلقة الفرد وشكله من طول وقصر وقماءة وفراعة، وما عليه حواسه من عمى أو بصر، وما يحيط به من بيئة، وما يدور فيه من نوع العيش، ورخائه وبؤسه، ونعيمه أو شقائه، وما عليه مجتمعه بحضارته وثقافته، جميع ذلك يوجه أسلوبه، تماماً كما يوجه تفكيره.

وخلاصة ذلك أن الأسلوب أثر لعوامل لايسهل عدها، بل لايمكن عدها، فغرض الكاتب حين يكتب، ومذهبه الدينى والسياسي والاقتصادى، وثقافته، وحدة طباعه، أورقة شمائله، ورضاه عن مجتمعه أو سخطه عليه، ومزاجه الخاص.. كل ذلك يتدخل فى تشكيل أسلوبة(١).

واللغة العربية من اللغات التى تتميز بعدم حتمية الترتيب فى أجزاء الجملة، لكن المألوف فيها أن نجد بعض الرتب المحفوظة -وخاصة فى مجال الأسلوب الإخبارى- كتقدم المبتدأ على الخبر، والفعل على فاعله، والفاعل على مفعوله، وهى أمور تحدث فيها النحاة كثيراً فى مجال التعبير المألوف، وبالمثل أيضاً تحدثوا عن الرتب المحفوظة فى التأخير، كتأخير الصلة عن الموصول، والصفة على الموصوف، والمضاف إليه عن المضاف، ومع كل هذا تتأتى مقدرة المؤلف في قلب هذه الأحوال متخطياً لها بغية الانحراف عن النمط المألوف، وقد يصبح هذا الانحراف يوماً نمطا مألوفا هو الآخر -فى مثل ما أطلقوا عليه المجازات الميتة- فمستعمل اللغة يتصرف بحرية فى تنظيم تراكيبه دون استسلام لاستخدام معين، ويصبح هذا التصرف الجديد خاصة أسلوبية قد تأخذ شكلا عاماً فى عصر من العصور نتيجة لجهد مبدعين متعددين، أو يكون نتيجة جهد فردى لشخصية أدبية فذة تفرض باستعمالها نمطا فى الأداء يؤثر فيمن حولها مكانا وزماناً، كالجاحظ أو بديع الزمان وغيرهما من أصحاب الكتابة فى العصور القديمة والحديثة(٢).

إن من أهم مباحث الأسلوبية رصد انحراف الكلام عن نسقه المألوف، أو «الانتهاك» -بحسب تعبير «ج.كوهين»- الذى يحدث في الصياغة، والذى يمكن بواسطته التعرف على طبيعة الأسلوب، بل ربما كان هذا الانتهاك هو الأسلوب ذاته، وما ذلك إلا لأن الأسلوبيين نظروا إلى اللغة فى مستويين: الأول: مستواها المثالى فى الأداء العادى. والثانى: مستواها الإبداعى الذى يعتمد على اختراق هذه المثالية وانتهاكها.

---

(١) د. عبدالرؤوف مخلوف ، من قضايا اللغة والنقد والبلاغة ص١٠٥، ١٠٦.
(٢) انظر : د. محمد عبدالمطلب ، البلاغة والأسلوبية ص١٣٣.

والمستوى العادى هو الذى يعتمد النحو -التقعيدي فى تشكيل عناصره، كما يعتمد اللغة- في تنسيق هذه العناصر، وثمرة الترابط بين ما يقول به النحاة وما يقول به اللغويون ظهور مثالية اللغة في استخدامها المألوف، وهى مثالية افتراضية أكثر منها تطبيقية واقعية.

ورغم إدراك البلاغيين أن اللغة العربية تتميز بعدم حتمية ترتيب أجزاء الجملة تبعاً لوجود حركة الإعراب التى تحدد المعنى، فإننا نجدهم يفترضون أصلا فى التركيب يقاس إليه العدول عنه، ففى الحديث عن المسند إليه يرون أن أصله التقديم، ولامقتضى للعدول عنه إلا لأغراض حددوها ووصفوها(١).

ويجب أن نوجه اهتماماً خاصاً إلى أن دراسة الأسلوب الفردى يجب ألا تتركز حول الأنماط المنحرفة عن الأصل فحسب، باعتبارات إبداعات براقة واضحة، بل إن دراسة الأسلوب الجارى على النسق المألوف قد يبهرنا أكثر مما يبهرنا النوع الأول، ولذا يجب أن نتحرى في الصياغة ما فيها من منبهات تعبيرية، لها طبيعة جمالية من ناحية، ولها طبيعة استمرارية من ناحية أخرى، كما يجب أن نتحرك وراء التكراريات التى تأخذ شكل ظاهرة أسلوبية فى بعض ألوان الأداء، مما يكسب المضمون حيوية تؤثر فى الشكل اللغوى، فتصبح عملية الأخذ والعطاء بينها قطب النظام الجمالى للكلام.

فمثلا قول النابغة: (فإنك كالليل) الذى هو مدركى. يحقق مستويين دلاليين فى آن واحد: **لأول** : قدرة الملك على الوصول إلى أى مكان بنفسه أو بعماله. **الآخر**: حالة الغضب والسخط التى تسيطر على هذا الملك، والتى يعيشها الشاعر.

ووجود أداة التشبية فى (فإنك كالليل) يقتضى المغايرة بين المشبه والمشبه به، أما قوله (أنت نهار) بحذف أداة التشبيه جرد النهار لوصف الملك بالخير والحياة.

الأسلوب في كتاب الضياء :

إذا انتقلنا إلى البحث في أسلوب كتاب «الضياء» وجدنا أن للعوتبي مناطق نحوية أثيرة يتحرك فيها، من حيث التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والإيجاز والإطناب، والإيضاح والإبهام، ومن حيث التصريح والتضمين، وغير ذلك مما يكون له أثر فى الدلالة.

١- فهو في بعض الأحيان ينتهك النظام اللغوي ويخرج على مألوفه، أو يكرر ألفاظا بعينها من المنبهات الفنية، بما يجعل لذلك دوراً بارزاً فى الدلالة.

أما من ناحية بناء العبارة فإن أسلوبه محكم البناء، تأخذ فيه الألفاظ بعضها بعجز بعض، وتتآلف وتلتحم التحاماً قوياً حتى لايوجد بين أجزاء الكلام تنافر.

---

(١) انظر في ذلك وغيره من أنواع العدول : - مفتاح العلوم ، للسكاكى ص٨٤ وما بعدها - المثل السائر، لابن الأثير ٢/ ١٨٤.

يقول مثلا فى تعريف الإسلام والكفر :

«وإجمالاً الإسلام فى كلمة واحدة، طاعة الله عز وجل، وفى كلمتين طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله ﷺ، وفى ثلاث، القول والعمل والمعرفة، فالقول الإقرار باللسان، والمعرفة بالقلب، والعمل بالأبدان».

ثم أوضح العوتبي الجانب المقابل لهذه الصورة، ليحدث ذلك التوازن الذى يتميز به أسلوبه، فعرف الكفر بقوله: «وإجمالا الكفر فى كلمة واحدة معصية الله، وفى كلمتين معصية الله ومعصية رسوله. والذى دعا الله إليه الخلق ثلاثة أشياء، أن يشهدوا له بالربوبية، ويخضعوا له بالعبودية، ويدينوا له بالطاعة والتوحيد. وحجة الله فى الأرض العقل والاستطاعة والكتاب والسنة والرسل. والدليل على الحق الهدى والرسل والميثاق والإجماع. وأربع لولاهن لهلك الناس جميعاً، هن الوقوف والرخصة والتوبة والتقية»(١).

تعريف الكفر يقابل تعريف الإسلام، ويتوازن مع جمله، ويتضمن كل تعريف على حدة إجمالا ثم تفصيلاً، وقد برزت عند العوتبي ظاهرة المزج بين الفقه واللغة حيث جاء تفصيله لما أجمل على مراحل بدقة وإحكام، وتعريفه الإسلام بأنه «طاعة الله عز وجل» فيه إيجاز وقصر، حيث طاعة الله عز وجل تتضمن طاعة رسوله ﷺ، وتتضمن كذلك الإيمان والعمل، فالإيمان بالقلب، والعمل قول باللسان وعمل بالأبدان.

وفى مجال تعريف الإسلام أردف لفظ الجلالة بجملة «عز وجل»، وقد ناسب ذلك الحديث عن موقف الطاعة إذ يكون الله هكذا فى قلوب المطيعين. وكذلك أورد جملة «ﷺ» بعد كلمة «رسوله»، أما فى مجال الحديث عن الكفر والكافرين فلم يورد هذه الجمل، وقد ناسب ذلك موقف الكافرين من معصية وجحود.

وفى تعريفه للكفر توازنت الجمل مع تعريف الإسلام فى المرحلتين الأولى والثانية، ولكنه فى المرحلة الثالثة انحرف عن الخط الذى سار عليه وخرج على ذلك التوزان فناسب ذلك ما فى الكفر من انحراف. ومن ناحية أخرى جاء أسلوبه طبيعياً غير متكلف، فلم يعتسف ذلك التوازن، فأثار القارىء ونبهه بكسر تلك الرتابة.

ولكنه أبقى على الرقم «ثلاثة» فى هذه المرحلة الثالثة ليحتفظ بذلك الخيط الذى يرتبط بين الجانبين، فقال: والذى دعا إليه الخلق ثلاثة أشياء، أن يشهدوا له بالربوبية، ويخضعوا له بالعبودية، ويدينوا له بالطاعة والتوحيد».

---

(١) العوتبي ، الضياء ج٢ ص٨٤.

وكأنما أراد العوتبي أن تتضمن المرحلة الثالثة من تفصيل تعريفه للكفر ما يبين جحود الكافرين وضلالهم وعصيانهم.

وفى عبارة العوتبي إطناب عن طريق الإيضاح بعد الإبهام، فقد جاء المعنى مجملا مبهما في الجملة الأولى، فتشوقت نفس المتلقى إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح، فإذا جاء المعنى مفصلاً بعد ذلك «تمكن في النفس فضل تمكن وكان شعورها به أتم شعور، ولذتها بالعلم به أكمل»(١).

ومن ذلك أيضا قوله: «وأربع لولاهن لهلك الناس جميعاً، هن الوقوف، والرخصة، والتوبة، والتقية».

تقديم الخبر فى الجملتين، وذلك للاهتمام به، وهو الأولى «حجة الله فى الأرض»، وفى الثانية «الدليل على الحق»، وناسب تأخير المبتدأ أن تتوالى المعطوفات بعدة في الحالين.

ومن الإطناب أو الإجمال والتفصيل قوله «قال أصحابنا الكفر كفران، كفر جحود، وكفر نعمة، وكفر الجحود هو الكفر بالتنزيل. وكفر النعمة هو الخطأ فى التأويل مما تصيبه الناس دينا وادعوا أنه الحق فى مخالفتهم، فهم عندنا بذلك ضلال هالكون إلا أن يتوبوا ويراجعوا الحق»(٢).

جاء الكلام مجملا مبهما فى قوله «الكفر كفران»، ثم فصل ذلك وأوضحه. بالكلام الذى جاء بعده. وهذا اللون هو ما دعاه البلاغيون بـ «التوشيع»(٣)، وهو أن يؤتى فى عجز الكلام -غالبا- بمثنى، مفسر باسمين، أحدهما معطوف على الآخر.

ثم أورد العوتبي القول المخالف لقول أصحابه فى أدب وتواضع، ودون طعن أو تجريح أو تشهير وتسفيه، وإنما اكتفى بإيراد الأدلة النقلية والعقلية على صحة قول أصحابه، يقول: «وأنكر مخالفونا قول أصحابنا فى كفر النعمة، وقولهم إن الكفر كفر واحد وهو كفر الجحود، والله يوفقنا للصواب. عن النبى (ﷺ) أنه قال: «من قال لأخيه المسلم يا كافر فقد كفر أحدهما أو كلاهما». وتأول ذلك كفر نعمة لاكفر شرك. وقال (ﷺ) «من أتى كاهنا أو ساحراً فصدقة فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد (ﷺ)، يعنى كفر نعمة لاكفر شرك الكاهن الذى يخط على الأرض يتكهن فى ذلك»(٤).

---

(١) انظر : الإيضاح، للخطيب القزويني، تحقيق لجنة من علماء الأزهر، مكتبة المتبني ، بغداد ص١٩٥.
(٢) العوتبي ، الضياء ج٣ ص٨٥.
(٣) انظر : النكت فى إعجاز القرآن للرماني (ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن) تحقيق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، مصر.
(٤) الضياء ج٣ ص٨٥.

ويستخدم العوتبي عبارات تفيد التواضع، ومن ذلك قوله «والله أعلم» أو «فيما علمت» وقال في الموقف الذى نحن بصدده «والله يوفقنا للصواب».

واستدل العوتبى على أن كفر الكاهن أو الساحر يختلف عن كفر من يأتيه فيصدقة عن طريق العقل، ومن ذلك أن حد الساحر القتل، وليس كذلك من يأتيه ويصدقه.

٢- تصوير المعانى التى يتناولها فيجعلها مشخصة ماثلة أمام الأعين:

ومن أمثلة ذلك تشخيصه العلم على سبيل الاستعارة المكنية، يقول:

العلم ذو مفاضل كثيرة فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأذنه الفهم، ولسانه الصدق، وفهمه الفحص، وقلبه حسن النية، وعقله سعة المعرفة، ويده الرحمة، ورجله زيارة العلماء، وهمته السلامة، وحكمته الورع، ومستقره سعة الرأى، ومحله الإناة، وسلطانه العدل، ومملكته القناعة، ورئيسيه النجاة، وقائده العافية، ومركبه الوفاء، وسلاحه لين الكلام، وسيفه الرجاء، وقوسه القناعة، وسهمه المحبة، ورمحه التقوى، وفرسه المداراة، وجيشه المشورة، وماله الأدب، وحربه المكابدة، وذخيرته التوبة، وزاده المعرفة، ومأواه الموادعة، ودليله الهدى، ورفيقه مودة الأخيار»(١).

٣- فى الأحكام الفقهية اليقينية فيما يتصل بالحلال والحرام يأتى أسلوبه قاطعاً، فى لغة تقريرية، مستخدما أفعالاً محددة مثل: يجب، أو يجوز، ولايجوز، ومن ذلك قوله: «والصلاة تجب على من حصل منه الإيمان»(٢) وقوله «والإقامة سنة، وهى كالأذان، لازيادة فيها إلا قوله: قد قامت الصلاة مرتين، مثنى مثنى»(٣) وقوله: «ولايكون المؤذن إلا ثقة أمينا»(٤)، وقوله: «ولايجوز أذان المرأة ولا إقامتها»(٥)، وقوله: «ولايجوز أن يغتصب المسجد، وليس لمغتصبه أن يصلى فيه»(٦)، وقوله: «جائز أن تستعمل بئر المسجد لغسل الثياب وسقى الدواب وكذلك دلوها»(٧).

أما فى المسائل الأخرى فإن أسلوبه يأتى منبسطاً فضفاضنا مستقصياً كل رأى، موضحاً الرأى الذى يوافقه. فاذا كان الاتفاق هو الأظهر بدأ بما اتفق عليه سواء كان بين العلماء بصفة عامة أو بين أصحابه، ومن ذلك قوله: «أجمعت العلماء أن النبى (ﷺ) صلى بأصحابه عند الكعبة خلف مقام إبراهيم، وجعل المقام بينه وبين الكعبة، وصف أصحابه خلفه صفوفاً مستديرة كالحلقة»(٨).

---

(١) الضياء ج١ ص٥٣.
(٢) الضياء ج٥ ص٩.
(٣) المرجع السابق ص١٣٦.
(٤) المرجع نفسه ص٦٤.
(٥) المرجع نفسه ص٦٥.
(٦) المرجع نفسه ص٣٦.
(٧) المرجع نفسه ص٤٢.
(٨) المرجع نفسه ص٩

ويقـول: «اتفق أصحابنـا -فيما علمت- أن عدد الأذان الـذى جاءت بـه الروايـة خمس عشرة كلمة»(١).

وإن كان الاختلاف هـو الأظهر يبدأ بذكر الخلاف، ثم ينتهى فى النهايـة إلى القول الذى يـوافقـه مؤيـدا بـالأدلـة والحجج. يقول مثـلا: «اختلف النـاس فى معني قـول النبى ﷺ: «المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة»(٢).

(١) الضياء ج٥ ص٦٣.
(٢) الضياء ج٥ ص٥٧.

ثالثـــاً : اللغـــة :

جمع العوتبي بين علـوم اللغة والاشتقـاق، والتبحر فى اللفقـه وعلومـه، ومزج معـرفته اللغوية بـالمعرفة الفقهية، فعـرف المعانى التى تحدث عنها، وعرف مقـابلها، ووظف المعنى اللغوى فى الاستدلال على المعنى الفقهى أو الحكم الشرعى.

بدأ العوتبي بـاب «في شيء من الأصول» بتعريف الأصل والفـرع، يقول: «الأصل ما عـرف به حكم غيره، والفـرع مـا عرف حكمـه بغيره، وقيل الأصل مقـدمة العلم، والفـرع نتيجة، والواجب على من أراد الفقه أن يعرف أصول الفقـه وأمهاته، فيكون بناه على أصول صحيحة، ليجعل كل حكم فى موضعه، ويجريه على سننه، وليستدل على معرفة ذلك بالأدلة والاحتجاجات الواضحة، لأن لايسمى العلة دليـلاً ولا الدليل علة والحجة علة، وليفرق بين معانى ذلك ليعلم افتراق حكم المفترق واتفاق المتفق»(١).

ويصل من تعـريف **«الأصل» ومقابلـه «الفرع»** إلى حكم فقهي وهو وجـوب معرفة أصول الفقة على من أراد الفقه.

ويعرف المال فيقول: «والمال ظل زائل، وعارية مسترجعة، وقيل سمى المال لأنه ميال. ويقال رجل مائل إذا كـان ذا مال. وليس فى كثرة المال فضيلة، ولـو كان فضيلة لخص الله تعالى بها من اصطفاه لرسالته واجتباه لنبوته، وقد كان أكثر أنبياء الله تعالى عليهم السلام وأوليائه فقراء لايجدون بلغة حتى صاروا مثلا فى الفقر... ولعدم الفضيلة فى المال منحه الله الكافـر وحرمه المؤمن... والمال لايفـرح به عاقل، ولاينتفع بـه جاهل، لأنه يبيـد فيما يبيد، ولايفيده -أيضا- حمداً عاجلاً، ولاذخراً آجلاً»(٢).

اتخذ العوتبي التعريف اللغوى للمال دليلاً على عدم فضيلته، إضافة إلى دليل آخر، عقلى وهو أن الله تعالى لم يخص به من اصطفاه لرسالته، فقد أكثرهم فقراء.

وقـد وظف العوتبي المعنـى اللغوى فى الاستـدلال على المعنى الفقهى، ومـن ذلـك استدلاله على تحريم الخمرة بكتاب الله تبارك وتعـالى فى قوله: «إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق»(٣)، يقول العوتبي: «فالخمرة تحريمها بكتاب الله تبارك وتعالى فى قوله «والإثم»، فالإثم ضرب من الخمر، ويدل على ذلك قول الشاعر:

---

(١) الضياء ، ج٣ ص٧.
(٢) الضياء ج١ ص٦٥.
(٣) الضياء ج٤ ص١٧٩.

شربـــت الإثـــم حتـــى ضـــل عقلي

كـــذالـك الاثم يـــذهب بـــالعقـــول

ومن ذلك أيضـا استـدلاله على وجـوب دنـو المصلى من السترة، يقـول: «ومن صلى إلى سترة فليدن منها، لما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا صلى أحدكم إلى شيء فليرهقه»، وقد فسر العوتبي قول النبي ﷺ «فليرهقه» بمعنى فليغشه وليدن منه ولايبعد منه، مستدلاً على ذلك بالمعنى اللغوى لكلمة «رهـق» واستعمال العرب لها «يقال: رهقت الشيء وأرهقته شرا، إذا غشيته إياه. وقال الله عز وجل ﴿ولاترهقني من أمرى عسرا﴾(١)، أى لاتغشنى. وقوله تعالى: ﴿ولا يرهق وجوههم قتر ولاذلة﴾(٢)، أى لايغشى. وأرهق فلان الصـلاة إذا أخرها حتى يـدنو من الأخـرى. وقد أرهقتنى الصـلاة إذا دنـا وقتها فخفت أن تفـوتك، وأرهقت فلانا، أعجلته. ومثله قد أرهقنى بولى، ورجل مرهق، وملحق، ومدرك، ومستلحق، قد لحقته الخيل. وتقـول قـد أرهقنـاهم الخيل فهـم مـرهقـون، أى الحقنـاهم الخيل فهم ملحقـون. وأرهقتهم أمرا صعباً أى حملتهم عليه»(٣).

وكما استعـان العوتبي بـالمعنى اللغوى على الـوصول إلى المعنى الفقهى، استـدل بالمعنى الفقهى على صحـة المعنى اللغوى، فقال فى تعريفه للصـلاة: الصلاة من طريق اللغة الدعـاء، قال الله جل ذكره: **﴿خذ من أموالهم صدقـة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم﴾**(٤) أى ادع لهم. وقوله تعالى: **﴿وصلوات الرسول﴾**(٥) أى دعاء الرسول. وأما الصلاة الشرعية فهو ما ضم إلى الدعاء من الركوع والسجود والقراءة وغير ذلك مما وقف الرسول ﷺ وبينه من مراد الله تعالى بقوله «أقيموا الصلاة».

يقول العـوتبي بعد ذلك: «ويـدل على أن الصلاة دعـاء من طريق اللغـة أن الصلاة على الميت دعاء ليس فيها ركوع ولاسجود والله أعلم»(٦).

ويورد بعـد ذلك كثيراً من الاستشهادات من أقـوال العرب (شعرا ونثـرا)، ومن القرآن والحديث، مما وردت فيه «الصلاة» بمعنى الدعاء أو بمعان أخرى مثل الرحمة.

وكثيراً مـا يتطرق العـوتبي إلى شرح معنى كلمات وردت فى النص المستشهد بـه، وذلك خدمـة للمعنى الأصلي الذى يكـون بصدده ومن أمثلـة ذلك أنه أثنـاء تعريفـه القبلة وتعليل تسمية الكعبة قبلة، استشهـد بقوله تعالى **«فلنولينك قبلة ترضـاها، فول وجهك شطـر المسجـد الحرام»**، فتطرق إلى شرح كلمـة «شطر» في سبيل تـوضيح معنى القبلة،

---

(١) الكهف / ٧٣.
(٢) يونس / ٢٦.
(٣) الضياء ج٥ ص١٧.
(٤) التوبة / ١٠٣.
(٥) التوبة ٩٩.
(٦) الضياء ج٥ ص٧٩.

يقول: «قيل شطره جهته فى كلام العرب. والشطر والجهة والتلقاء والتجاة والوجاه لغتان، والقصد والنحو كله بمعنى وإن اختلفت الألفاظ. قال الشاعر حقاق بن بديه :

ألا من مبلغ عمرا رسولا

وما تغنى الرسالة شطر عمرو

وقال ساعده بن جويه :

أقول لأم زنباع أقيمى

صدور الخيل شطر بني تميم

وقال لقيط الإيادي :

وقد أظلكم من شطر ثغركم

هول له ظلم تغشاكم قطعا

وقال الهذلي :

إن العشير تهادى فى مجامرها

فشطرها نظر العينين مسجور

فإذا وجد العوتبي ألفاظاً غامضة شرح معناها لتتضح دلالة الشاهد على المعنى الذى أورده له. ولذلك شرح ألفاظ بيت الهذلي فقال: «ويروى مسحور» فبالحاء «الغائب»، وبالجيم «المنقطع». يريد تلقاءها نظر العين، ونحوها جهتها. «والعشير»: ناقة صعبة لم تركب. قال المفضل: العشير ناقة. «مجامرها»: فخالطها. وشطرها: نحوها. ومسجور: ضعيف. «والشطر أيضا النصف، وشطر كل شيء نصفه، وقولهم رجل شاطر: معناه فى كلامهم الخبيث، أو المباعد من الخير، أخذ من قولهم: نوى شطر أي بعيد»(١).

ثم يعود إلى الموضوع الأصلى فيربط به الكلام السابق، حيث يقول: «وقال أبوعبيدة الشاطر معناه في كلامهم الذى شطر نحو الشيء وأراده، من قول الله «**فول وجهك شطر المسجد الحرام**» معناه نحو المسجد الحرام. وشطر فلان على أهله، أى تركهم مخالفا أو مرغما، ويقال شطر فلان شطورا، وعطورة، وشطارة، وهو الذى أعيا أهله، ومن يود به خبثا»(٢).

---

(١) العوتبي ، الضياء ج٥ ص٥، ٦.
(٢) الضياء ج٥ ص٦.

عاد العوتبي فجعل قوله تعالى فـول وجهك شطر المسجد الحرام شاهدا على معنى كلمة «شطر» فى كلام العرب، وكانت فى أول كلامه مستشهداً إليه.

وأسلوب العـوتبي يعتمد على الحوار والتـواصل بينـه وبين القارىء فكثيرا مـــا يخاطب القارىء، ويدعو له، أو يدعـو لنفسه، وهو فى حواره مع القارىء يعتمد على الجدل وفرض الفروض والـرد عليها، يقول مثلا: فإن قـال قائل كذا.. قلنا لـه كذا، وإن قيل كذا.. قلت كذا.

دقته في عناوين أبوابه، فهى تأتى فى الغائب مجرورة بحرف الجر (فى)، فتأتى هكذا: «في العلم»، «في الكلمة»، «في آداب العلماء»، «في إخراج الزكاة»، «في العقل»، «في التوحيد»، «في القياس»، «في الـدين». وحرف الجر هنا أفـاد معنى التبعيض، وذلك فى المعانى العـامة التى يشعر المؤلف أنها أكبر من أن يحيط علمه وتأليفه بها.

أما عنـدما يتصل الأمر بـالأحكام الشرعية من حـديث عن الحلال والحرام فإن عناوين أبـوابه وفصـوله تأتى قـاطعة محددة خـاليـة من حرف الجر، ومثـال ذلك: باب وجـوب التكليف. وبابا مـا يجوز من الصفات حقيقة ومجازا. وباب مـالا يجوز من الصفات. وباب مالا يسع جهلـه، وباب ما يسع جهلـه. وباب مـا يجب للمسلم على المسلم. وفصل الواجب على العبد عنـد أول أحوال التكليف. وبـاب ما ينقض الصـلاة، وباب مـالا ينقض الصلاة. وباب الاثم والـوزر، وباب الهدى والضـلال. وباب الجزية وأحكـامها، وبـاب ما يحرم من النكاح.. إلى غير ذلك.

ولغتـه في الأبواب الأخيرة قـويـة صارمـة، فأسلـوبه تقـريري، وجملـه إخباريـة، والفـواصل فيها قصيرة، ويستخـدم دائما عبارات: يجوز للمسلم كـذا..، ولايجوز له كـذا، ويحرم عليه كذا.. وغير ذلك من العبارات التـى تحمل الحل والحرمة، أو الجواز وعدمه، أو الإباحة، أو الكراهة.

وكثيرا مـــا **يبدأ كـلامه في الأبواب والفصول المتعلقـة بالأحكام الشرعية بـآية أو حديث** يجعله أساساً ينطلق منه، **فباب «مايعتق به العبد** من قول مولاه أو فعله ومالا يعتق به» يبدأ بقوله: «روي عن النبى ﷺ أنه قـال: «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: النكاح، والطلاق، والرجعة»(١).

وباب «مايحرم من النكاح بـالرضاع وما لايحرم منه» يبدأ بقـوله: بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»(٢).

---

(١) سنن الترمزى، مصطفى الحلبى ص١١٨٤، وسنن أبى داود ص٢١٩٤، وسنن ابن ماجة، عيسى الحلبى ٢٠٣٩.
(٢) مسند أحمد بن حنبل ١ : ٣٣٩، والسنن الكبرى للبيهقى ٤٥٢:٧، ٤٥٣، المعجم الكبير للطبرانى ٩٤:٢.

وباب «في العتق وأحكامه» يبدأ بقوله: قال الله تبارك وتعالى: ﴿فلا اقتحم العقبة، وما أدراك ما العقبة، فك رقبة، أو إطعام في يوم ذي مسغبة﴾(١).

وباب «في المكاتب» يبدأ بقوله: قال الله عز وجل: ﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا﴾(٢).

يستخدم كثيرا الألفاظ التى تحمل معنى التوضيح والهداية وأدواتها، فسمى كتابه في الفقه «الضياء»، وعلل ذلك في مقدمته قائلا: «لأستصبح بضيائه مهتديا، وأصبح بما فيه مقتديا»(٣).

دارت ألفاظه في عبارته حول معنى الضياء ومصدره أو نتيجته، فنجد الأفعال «أستصبح» و«أصبح» والأسماء مثل «ضيائه» و«مهتديا» و«مقتديا». ونلمح الربط الرقيق بين الاستصباح والضياء والاهتداء.

وسمى معجمه اللغوي «الإبانة»، وسمى كتابه فى الأنساب «موضح الأنساب»، معللا ذلك بقوله: «ليكون أوضح دلالة وأسهل طلبة لقارئه والناظر فيه»(٤).

ويتضح من كتاب «الضياء» علم صاحبه بالنحو والصرف اللذين وظفهما العوتبي في الفقة، يقول في باب الاستعاذة: «أعوذ بالله فعل مضارع، علامة مضارعته الهزة في أوله، والمضارع: هو يعوذ، فعل مضارع من «عاذ»، وهو فعل معتل لأن عين الفعل واو، والأصل فيه «أعوذ» فاستثقلوا الضمة على الواو، فنقلت إلى الغير، فصارت «أعوذ» فالهمزة في أعوذ إخبار عن النفس: أعوذ أنا، واليا للغائب: يعوذ، والتاء للمؤنثة الغائبة: تعوذ هى. وللمخاطب: تعوذ أنت يارجل، ويعوذ فعل مضارع يصلح لزمانين، للحال والاستقبال، والماضى لايصلح إلا لزمان منقض قرب أو بعد، فإذا أدخلت على الفعل المضارع سينا أو سوف أزالتاه إلى الاستقبال لاغيره، وعوذا مصدر، وإن شئت قلت معاذا أو عياذا أو عوذة وعياذاً، كل ذلك صواب. وعائذ اسم الفاعل، واسم المفعول معوذ به، والأمر عذ للمذكر وعوذى للمؤنث، وعوذا للاثنين، وعوذوا للرجال، وعذن للنسوة. وعن الفراء قال: العرب تقول: نعوذ بالله من وطأة الذليل، أي أعوذ بالله من أن يطأنى الذليل. ويقول معاذ الله من ذلك، ومعاذة الله من ذلك، وعائذاً بالله من ذلك، وعن الكسائي أن الحسن قرأ: وقل رب عائذا بك من همزات الشياطين، وعائذا بك أن يحضرون. معناه: أعوذ بالله من ذلك. وعن الفراء أن العرب تضرب مثلا أول من قال ذلك سليك بن السليكة: اللهم إنى أعوذ بك من الخيبة، فأما الهيبة فلا هيبة، فالخيبة الفقر، ومعنى هيبة أى أن لا أهاب

---

(١) البلد / ١١، ١٢، ١٣.
(٢) النور / ٣٣.
(٣) الضياء ، ج١ ص١٦.
(٤) موضح الأنساب ص٧.

أحداً. وقال الخليل: ومعنى معاذ الله أعوذ بالله. وفى الحديث قال: قال النبى ﷺ لرجل يقول: أعوذ بالله «لقد عذت معاذا»، ومنه الإعاذة. والتعوذ والتعويذ والعوذة هى المعاذة التى يعوذ بها الإنسان من فرح أو جنون. والعرب تستعيذ بالله من شىء تكرهه وتنكره(١). واستدل العوتبي على ذلك بالعديد من آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ وأشعار والشعراء.

وقد يتساءل متسائل، وما قيمة كل هذه التصريفات والاشتقاقات للفعل «عاذ» فى هذا المجال؟

والحقيقة أنها كبيرة الأهمية لمعرفة ألفاظ الاستعاذة واشتقاقاتها ومعانيها، لأن الاستعاذة قول، والمتعوذ محتاج لمعرفة كل ذلك حتى يستخدم أيها شاء أو استطاع، ويفهمهما على وجهها الصحيح إذا سمعها، فلا ينكرها.

ويلاحظ من النص السابق علم العوتبي بالنحو وبالإعلال والإبدال والإسناد إلى الضمائر والاشتقاقات اللغوية، ويلاحظ علمه كذلك **بالقراءات**، إضافة إلى **علوم اللغة وأقوال العلماء** في ذلك.

وتطرق بعد ذلك إلى **نكتة لغوية**، وهى أن «الاستعاذة فى العدد خمس كلمات على عدد اسم المستعاذ منه وهو الشيطان، لأنه شين وياء وطاء وألف ونون، فهذه خمسة»(٢). استدل على أن اسم الشيطان خمسة أحرف وليس سبعة بأن الألف واللام تثبتها العرب وتحذفها، وأورد الأدلة على ذك من أقوالهم شعرا ونثرا.

وشرح العوتبي معنى كلمة (أعوذ) وكلمة (شيطان)، ثم تطرق لما تعوذ منه النبى ﷺ. روى أنس بن مالك أن النبى ﷺ كان يتعوذ من البخل والجبن والهرم وفتنة الرجال وعذاب القبر والكسل.

وعاد إلى الإعلال والإبدال فشرح سبب فتح نون حرف الجر «من» فى «من الشيطان» لتلاشى التقاء الساكنين، وقارن بينهما وبين «عن الشيطان» من حيث سبب فتح النون في الأولى وكسرها في الثانية، بأنهم اختاروا الفتح فى «من» لانكسار الميم، واختاروا الكسر فى «عن» لانفتاح العين(٣).

ويظهر إلمامه بعلوم البلاغة، وذلك في مناقشته للمسائل وتحليل الآراء فيها، ومن ذلك رده على من الكلام على ظاهره فى قوله تعالى ﴿**فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**﴾(٤). فرأى أن الاستعاذة تكون بعد القراءة، معتمداً على أن الفاء للتعقيب.

---

(١) الضياء ج٥ ص١٦٠.
(٢) الضياء ج٥ ص١٦١.
(٣) انظر : الضياء ج٥ ص١٦٣.
(٤) النحل/٩٨.

رد العوتبي على ذلك فقال: «والجواب عن ذلك أن تقدير الأمر إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله، وتكون الفاء معناها تباين الحال»[1] واستدل على ذلك بأقوال البلاغيين فى هذا الشأن، وبآيات أخرى من القرآن الكريم وقع فيها هذا التقدير كقوله تعالى: ﴿إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم﴾[2].

وفى الآية إيجاز وهو مايسمى في البلاغة العربية «إيجاز الحذف» وهو ما يكون بحذف كلمة أو جملة أو أكثر، من غير أن يختل المعنى، مع وجود قرينة تعين المحذوف[3]. وقد دل العقل على الحذف وتعيين المحذوف، وفى ذلك اكتفاء بالمسبب (القراءة) عن السبب (الإدارة)، وفى ذلك إشارة إلى أن الاستعاذة تكون قبل القراءة مباشرة وليس لمجرد الإرادة.

مزج العوتبي المعرفة اللغوية بالمعرفة الفقهية، فكانت له وقفات فيما يتصل بعلوم اللغة بما يخدم الموضوع الذي يتناوله، فكان لغويا فى فقهه، فهو في كتابه الفقهى «الضياء» لم ينس أنه لغوى، فعرف المعانى ومقابلها واستقصى معانيها، وفسر كل لفظة غريبة وردت في كتابه، يقول العوتبي في ذلك: «وقد فسرت جميع ما ذكر فى هذا الكتاب من لفظ غريب ومعنى عجيب ليكون مستغنيا بتفسيره عن الرجوع فيه إلى غيره، على أن الغرض المقصود به والغرض الموضوع له هو الفقه»[4].

وقد تساءلت ألا يمكن أن يكون ما أورده من معان لغوية فى هذا الكتاب تكراراً لما هو موجود في معجمه «الإبانة» فعمدت إلى بعض المواد اللغوية التى تناولها فى «الضياء» وراجعتها مع المادة نفسها فى «الإبانة» فوجدت الفرق كبيرا بينهما، إذ لم يأخذ من اللغة إلى الفقه إلا ما يفيده ولم يأخذ من الفقه إلى اللغة إلا بالقدر المناسب، فهو وإن كان لغويا في الفقه، أو فقيها فى علوم اللغة، فإن أحدهما لم يطغ على الآخر في مجاله، فهو يأخذ من كل جانب إلى الآخر بالقدر الذى يخدمه ولايطغى عليه. ويتضح ذلك من الملحق الذى أثبته فى نهاية البحث لمادتين من كتابه «الضياء» ومعجمه «الإبانة».

ويظهر أثر علمه باللغة فى أحكامه الشرعية، وفى معالجته لمختلف المسائل في العقيدة، يقول مثلا: «ولايوصف تعالى بأنه «مؤقن» لأن اليقين هو العلم الذى يستدركه العالم بعد الشك والارتياب، أو بعد أن لم يكن يعلم، فيكون قد أيقن بذلك بعد أن كان فيه شاكا، فلما لم يجز أن يكون الله تعالى يعلم من بعد شك لم يجز أن يقال إنه موقن»[5].

---

(١) ا الضياء ج٥ ص١٥٨.
(٢) المائدة/٦.
(٣) انظر : الإشارات والتنبيهات ج٢ ص١٤٤.
(٤) الضياء ج١ ص١٧.
(٥) الضياء ج٢ ص٣١.

ويقول: «ولايوصف تعالى بأنه «يفهم» الأشياء كما يوصف بأنه يعلمها، لأن الفهم هو العلم بمعنى الكلام الذى يسمعه حتى يكون إذا سمعه لم يخف عليك[1] معناه..، ولايوصف تعالى بأنه «كامل» لأن الكامل منا هو الذى تمت أبعاضه، والناقص هو الذى نقصت أبعاضه عن أبعاض الكامل منا، وكذلك الكامل فى خصاله منا نحو كمال الرجل فى علمه وعقله ورأيه وقوته وفصاحته وسماحته إنما يصير بهذه الخصا كاملا لتكامل خصاله هذه وتمامها، ويكون ناقصا عن حد الكمال بنقصان هذه الحال، فلما كان الله سبحانه وتعالى لايجوز أن يوصف بالأبعاض لم يجز أن يوصف بالكمال فى ذاته ولا بالنقصان، ولما لم يجز أن يشرف بأفعاله لم يجز أن يوصف بالكمال من جهة الأفعال كما يوصف الإنسان بذلك»[2].

وإلى جانب اعتماده على المعنى اللغوي فى نفي هذه الصفات عن الله -سبحانه وتعالى- نجد أنه اعتمد كذلك على العقل، فاستخدم الاستدلال المنطقى فى عدم جواز نسبة هذه الصفات لله تعالى.

ومن ذلك أيضا قوله: «ولايوصف تعالى بأنه «بليغ»، ولكن يوصف كلامه بأنه بليغ، لأن البلاغة إنما هى للقول على الحقيقة لا للقائل..، ولا يوصف تعالى بأنه «نبيل» لأن النبل عند أهل اللغة إنما هو الحسن والجمال مع صيانة النفس وتكامل الخلال المحمودة، فلما كان الله سبحانه وتعالى لايجوز عليه الأحوال، ولم يجز أن يفضل وأن ينبل بأفعاله، ولايتكامل بالخلال كما ينبل النبيل منا، لم يجز أن يوصف بأنه نبيل»[3].

---

(١) هنا التفات لطيف من ضمير الغيبة إلى الخطاب من أجل تنبيه القارىء أن هذه الصفات للبشر فلا يظن أن ضمير الغائب يعود على الله سبحانه وتعالى، وإنما يقصد به الإنسان، والمخاطب منهم.

(٢) الضياء ج٢ ص٣٣، ٣٤.

(٣) المرجع السابق ص٣٦، ٣٨.

١- مـــادة «ق ب ل»

أ) فى كتاب «الضياء» :

القبلة مأخوذة من القبالة، وهى المحاذاة والمقابلة، ويقال منازل فلان قبالة كذا وبحذائه، ويقال أيضا هـو قبل له، إذا كان موازيا له متـوجها إليه ومقابلا له. قـال الشاعر: «إذ لاح سهيل كأنه قبل». واستقبل فلان القبلة، إذا وقف بحـذائها. وكأن القبلة فى كل بقعة سميت بذلك لأنها بحذاء الكعبـة. ويقال الكعبة نفسها قبلـة لأنها قبلة لأهل الأرض، وسميت بذلك لأن من استقبلها فهـو متوجه إلى الله عـز وجل. قال تبـارك وتعالى: ﴿**فلنـولينك قبلـة ترضاها، فول وجهك شطر المسجد الحرام**﴾(١) فسماها قبلة. وقال بعضهم سميت قبلة لأن الله عز وجل يتقبل صلاة من يتوجه إليها، فكأنها فعلة من قبل، يقبل، قبلة وقبولا، كما تقول جلس، يجلس، جلسة، وجلوساً، وقعد قعدة وقعوداً. ومنه قوله تعالى ﴿**فول وجهك شطر المسجد الحرام**» قيل شطره جهته فى كلام العرب. والشطر والجهة والتلقاء والتجاه والوجاه لغتان، والقصد والنحو كله بمعنى وإن اختلفت الألفاظ»(٢).

واستمر العـوتبي بعـد ذلك فى شرح معنى كلمة «شطـر» مستدلا بكـلام العرب خـدمة للموضوع الأصـلى وهو شرح معنى القبلة.

ويعود مرة أخرى إلى مادة «قبل» فيذكر ما وردت فيه من آيات وأحاديث، ولكنه يقتصر على ما كان منها متصلا بمعنى القبلة.

ب) فى معجم الإبانة :

تقول هو من قبل أى ومن أمامه، من دبر أي من خلفه، وفى القرآن ﴿**وقدت قميصه من دبـر**﴾ أى من خلفه، ومن قبل أى من أمامـه ويجمع فى هذا الموضـع على الإقبال والادبار. وسأل رجل الخليل عن قول العـرب كيف أنت لو أقبل قبلك فقـال أراه مرفوعـاً، لأنه اسم وليس بمصدر كـالقصد والنحو وإنما هـو كقولك: كيف أنت لـو استقبل وجهك بما تكره. والقبل الطاقة، قال الله تعالى: ﴿**فلناتينهم بجنود لاقبل لهم بها**﴾ أى لاطاقة لهم بها وقال الكميت:

ومـــرصـــد لك بـــالشحنـــاء ليس لـــه

بـــــالحل منك إذا أوضحتـــــــه قبـل

---

(١) البقرة / ١٤٤.
(٢) الضياء ج٥ ص٥.

وفى موضع آخر هو التلقاء، تقول رأيته قبلا. أى مواجهة، وأصبت هذا من قبله أى من تلقائه، أى من لدنه، وليس من تلقاء الملاقاة، ولكنه فى معنى من عنده، والقبل أن ترى، الهلال أول ما ترى تقول رأيت الهلال قبلا والقبل: اليسير من الأرض يستقبلك تقول رأيت شخصاً بذلك القبل. والقبل أن يتكلم الرجل بالكلام ولم يستعد له فى الكفالة به فهو يقبل قبالة، ويقال من يقبل بكاى من يكفل بك، قال الشاعر :

إن كفي لك رهن بالرضى

فاقبلي يا هند قالت قد وجب

وقوله تعالى ﴿**وحشرنا عليهم كل شيء قبلا**﴾ أى قبيلا قبيلا، وفسر بعضهم عيانا يستقبلونك كذلك. وكل جيل من الناس والجن قبيل، وقوله تعالى ﴿هو وقبيلة﴾ أي من كان من نسله، والقبل رأس كل شيء مثل الجبل والأكمة وكثيب الرمل وتحوه. وقبالة كل شيء ما كان مستقبل شيء فهو قباله وهو مقابله، ومن الجيران مقابل ومدابر. قال الشاعر:

حمتك نفسي ومعي جاراتى

مقابلاتى ومدابراتى

والقابلة الليلة المقبلة، وكذلك اليوم القابل والعام القابل، وهو المقبل ولايقولون منه فعل فعل، والقابلة المرأة التى تقبل الولد عند الولادة، والجميع القوابل، والقبول من الرياح هي لصبا لأنها تستقبل القبلة، وتستقبل الدبور، وهى تهب مستقبلة القبلة من المشرق، وتصير إلى الغرب قال الشاعر:

فان تمنع سدوس درهميها

فإن الريح طيبة قبول

والقبول أن يقبل العفو والعافية، وهو مصدر تقول يقبلها قبولا بفتح القاف. وتقول تقبل الله منك وعنك عملك قبولا، وتقبلا، قال الله تعالى: ﴿**فتقبلها ربها بقبول حسن**﴾ والقبل فى وعين إقبال السواد على المحجر، وقيل إذا أقبل السواد على الأنف فهو أقبل، وإن أقبل على الصدغين فهو أحرز. والفعل أقبل يقبل قبلا، وامرأة قبلا وعين قبلا. وتقول فعل هذا من ذى قبل أى من استيناف، ورجل مقابل فى الكرم والشرف من قبل أخواله وأعمامه، ورجل مقتبل الشباب لم يرفيه أثر من الكبر بعد، قال الشاعر:

ليس بعل كبير لانساب له

لكن أثيلة صافي الوجه مقتبل

قال الأصمعى: كل كبير السن صغير الجرم على واصل ذلك القرار، والعل القراد الضخم والعل من الرجال الذى يزور النسا. ورفع أثيلة على طلب الهاء على معنى لكنه أثيله.

وقبيل القوم القيم بأمرهم للسلطان وغيره، ومصدره القبالة وضمانه القبالة وكل كتاب بين قوم بقبالة أو مقاطعة فهو قبالة قبل عقيب بعد، فإذا أفردوا رفعوا فقالوا قبل كقوله -تعالى- ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ رفعا بغير تنوين، لأنهما غايتان، فإذا أضفتهما إلى شىء نصبت تقول جاءنا قبل زيد تادم وبعد خارج إذا وقعتا موضع الصفة، فإذا القيت عليهما من صارا من حد الأسما، كقولك من (قبل زيد) (ومن بعد عمرو) فصار من صفة وخفض قبل وبعد لأن (من) حرف خفض، وإنما صار «قبل» منقادا لمن متحولا من الوصفية إلى الإسمية، لأنه يجتمع فيه صفتان وعليه من لاى من فى صدر الكلام فقلت جيتك قبل عبدالله وجاءنى قبل زيد أو كان هذا من قبل ذاك، فإذا لم تضف ولم تستعمل من مع الإضافة فسبيلة الدفع كقوله تعالى: «لله الأمر من قبل ومن بعد» لأنهما غايتان ليس وراءهما شىء. وقبل الأول وبعد الآخر، والآخر ضد الأول والآخر سوى الأول، وتقول جاءنى رجل ورجل آخر، والآخر دون الرجل الأول»[1].

---

(١) معجم الإبانة ، مخطوط وزارة التراث القومى والثقافة ص٤٤٦ - ٤٦٩.

٢- مـادة «ش ن ع»

أ) فى كتاب «الضياء» :

عندما وردت كلمة (شنع) فى كلام العوتبي عن مخالفيه استطرد في شرح معناها ليوضح ما تحمله الكلمة من معنى القبح ليؤكد قبح المخالفة، يقول: «ذكر شىء من شنع مخالفينا والذي جازوا به عن الصواب»

والشنع هو (القبيح)، و(الشنع) و (الشناعة) و (الشنوع) كل ذلك من قبح الشىء الذى يستشنع إذا قبح، يقول شنع الشىء، فهو يشنع إذا قبح، وقال القطامي:

ونحن رعيـــــة وهم رعـــــاة

ولـــــولا رعيهم شنع الشنـــــار

ونسخة (شنع) بضم النون، والشنار هو العار. و (شنع) الخلق وأشنع، وقصة شنعا، أى قبيحة، وأمور شنع، وقال وفى الهام منها مطرة وشنوع، أى قبح واختلاف يتعجب منه، وتقول (رأيت أمراً شنعت به شنعاً) أى استشنعته. وقال مروان بن الحكم:

فـــوض إلى الله الأمـــور فـإنـــه

سيكفيك لايشنـع بـــرأيك شـــانـع

وتقول: (شنعت) على فلان هذا الأمر شنيعاً، وقد استشنع بفلان جهله(١).

وبعد هذا الشرح لمعنى كلمة «شنع» أورد العوتبي مخالفات مخالفيهم ورد عليها وقدم أدلته.

ب) فى معجم «الإبانة» :

شنع فلان على فلان أى أخبر بأمر قبيح شديد عظيم، وتقول شنعت على فلان هذا الأمر تشنيعاً، وقد استشنع بفلان جهله. وكلام العرب أمر أشنع، وخصلة شنعا، إذا كانت شديدة عظمية. قال:

انـــاس إذا مـــا أنكـــر الكلـب أهلهم

حموا جـــارهـم من كل شنعـــا مضلع

---

(١) العوتبي ، الضياء ج٣ ص١٩٣.

معناه إذا لبسوا السلاح وتقنعوا به فأنكر الكلب صاحبه منعوا جارهم من أن ينزل به أمر شديد عظيم. ويقال ضلعنى الأمر إذا غلبنى واشتد على، والشنع والشناعة والشنوع كله مثل قبح مايستشنع إذا قبح، قال القطامى:

ونحن رعيـــــــة وهم رعـــــــاة

ولـــــــولا رعيهم شنع الشنـــــــار

الشنار هو العار، وقصة شنعا أى قبيحة، قال وفى الهام منها نظرة وشنوع أى قبح واختلاف يتعجب منه. وتقول رأيت العام أمرا شنعت به شنعا أي استشنعته(١).

ونلاحظ اتفاقا إلى حد ما بين الكتابين فى المادة الثانية، وذلك لأن المادة لها معنى واحد ووجه واحد فى الاستعمال، أي حقلها الدلالي واحد.

---

(١) العوتبي ، الإبانة ص١٤٩.

المصادر والمراجع

١- مصادر ومراجع عربية :

- ابن الأثير (نصرالله محمد بن عبدالكريم أبوالفتح ضياء الدين)، المثل السائر، تحقيق الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوى طبانة، نهضة مصر، الطبعة الأولى، الجزء الثالث.
- البطاشى (سيف بن حمود)، إتحاف الأعيان فى تاريخ بعض علماء عُمان، مسقط، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.
- الترمزى (أبوعيسى محمد بن سورة)، سنن الترمزي، تعليق عزت عبيد الدكاس، مطابع الفجر الحديثة، حمص ١٩٦٨م.
- الجاحظ (أبوعثمان عمرو بن بحر)، الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، طبعة البابلى الحلبى، القاهرة ١٩٤٥م، الجزء الثالث.
- الجرجانى (عبدالقاهر)، ولائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانكى، مصر ١٩٨٤م.
- حماسة (د. محمد)، النحو والدلالة، مطبعة المدينة، مصر ١٩٨٣م.
- الخطيب القزوينى (جلال الدين أبوعبدالله محمب بن عبدالرحمن)، الإيضاح، تحقيق لجنة من علماء الأزهر، مكتبة المتنبى، بغداد، د.ت.
- الرماني (أبوالحسن على بن عيسى)، النكت فى إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن)، تحقيق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر.
- زكريا إبراهيم (دكتور)، مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة.
- الزمخشري (محمد بن عمر بن محمد)، أساس البلاغة، دار الشعب، القاهرة ١٩٦٠م.
- السكاكى (أبويعقوب يوسف بن أبي بكر) مفتاح العلوم، المطبعة الأدبية، مصر ١٣١٧هـ
- الشايب (أحمد)، الأسلوب، النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.
- شكرى عياد (دكتور)، اتجاهات البحث الأسلوبي، دار العلوم للطباعة والنشر، السعودية ١٩٨٥م.

- شفيع السيد (دكتور)، الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبى، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٨٦م.
- صلاح فضل (دكتور)، نظرية فى النقد الأدبى، الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية ١٩٨٠م.
- العسكري (أبوهلال الحسن بن عبدالله)، الصناعتين، تحقيق محمد على البجاوى والدكتور محمد أبوالفضل ابراهيم، مطبعة البابلى الحلبى، القاهرة.
- العوتبي (سلمة بن مسلم)، الضياء، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط ١٩٩١م الأجزاء ١-١١.
- محمد عبدالمطلب (دكتور) البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية ١٩٨٤.
- مخلوف (د. عبدالرؤوف)، من قضايا اللغة والنقد والبلاغة، دار الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى ١٩٨١م.
- المسدى (عبدالسلام)، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، طرابلس.
- ابن منظور (محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر، بيروت ١٩٥٦م.
- هلال (د. محمد غنيمى)، النقد الأدبى الحديث، القاهرة ١٩٨٢م.

٢- مراجع مترجمة :

- برند شبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية، ترجمة د. محمود جاد الرب، الدار الفنية، القاهرة ١٩٨٧م.

٣- مراجع أجنبية :

- G. Haugh, Style and Stylistics, Landan, 1969.
- S. Ulmann, Meaning a Style, Oxford, 1973.

٤- مخطوطات :

- العوتبي (سلمة بن مسلم)، الإبانة، مخطوط بوزارة التراث القومى والثقافة، مسقط.

٥- دوريات :

- درويش (د. أحمد)، الأسلوب والأسلوبية (مدخل فى المصطلح وحقول البحث ومناهجه)، مجلة فصول، المجلد الخامس سنة ١٩٨٤م.
- شكرى عياد (دكتور)، الأسلوب في التراث القديم، مجلة فصول، أكتوبر سنة ١٩٨٠م.

القـراءة السادسـة

المنهج التاريخي عند العوتبي

د. محمـــد قرقـــش

- محتويات البحث -

* المقـــــــــــــدمة.

١- العـوتبي بين مدارس التـدوين التـاريخي.
٢- أهميـــة كتـــاب الأنســـاب التـــاريخيـــة.
٣- البناء الفنـي / التاريخي لكتـاب الأنساب.
٤- طبيعـــة انتقـــاء المادة التـــاريخيـــة.
٥- مصـــادر العـــوتبي التـــاريخيـــة.
٦- طـرق النقل والإسنـاد عنـد العـوتبي.
٧- النقـــد التـــاريخي عنـــد العـــوتبي.

* الخاتمـــــــــــــة.
* المصـــــادر والمراجع.

تقـــديم :

أهميـة علم الانسـاب :

قدمت عُمان للحضـارة الإسلاميـة إنجازات هامـة في كافـة المجالات: من سيـاسية وفكرية وثقافية وغير ذلك. ويقف العوتبي على قمة العطاء العُماني للثقافة الإسلامية بصورة عامة معتمـداً على ما قدمه لها من مؤلفات متنوعـة في الفقة والعقيدة واللغة والأنساب. وكـان للدراسـات التاريخية التى ظهـرت في أخباره في كتـاب، «الأنساب» أهمية كبرى من الجانب التاريخي. واعتبر كتاب الأنسـاب مصدراً أساسياً من مصادر التاريخ الإسلامي وأهل العوتبي ليكون مؤرخاً قديراً.

ولذلك قمنا بدراسـة حول منهج العوتبي التاريخي من خلال استعـراضنا لكتابه الأنساب، وقد تمكنا من خلال الاطـلاع على أخباره بين سلسلة الأنساب من الحصول على أسس هامـة جعلت للعوتبي منهجيتـه الخاصة بين مـؤرخي عصره من القرنين الرابع والخامس الهجـريين، وساعده على تمكنـه من امتلاك تلك المنهجية التـاريخية الخاصة بـه امتلاكه لمعـارف عديدة وعلـوم متنوعـة، فجاءت امكانياتـه واضحة في التمكن من السيطرة على الخبر والتعامل بصدق وأمانة مع الرواية.

وقد حـددت مكانة العوتبي بين مـدارس التدوين التاريخي، وأبـرزت أهمية المادة التاريخيـة المتوافرة في كتـاب الأنساب بالنسبـة لجوانب التاريخ الإسـلامي بصورة عامـة والتاريخ العُماني بصورة خـاصة، على أساس أنـه قام بسد فـراغ كبير كانت تعانـي منه مكتبـة التاريخ العُماني، وأكمل حلقات مفقودة من حلقـات التاريخ. كما تعرضنا لطبيعـة انتقائه للمادة التاريخية من خلال سلسلة أنسـابه. كما عددت أهم المصادر التى استقى منهـا العوتبي أخباره وروايـاته، وأبرزنا أهميتهـا. وحددت من خلالها طـرق النقل والاسناد التي التزم بها العوتبي في التعـامل مع النص التاريخي وأسلوبه الذي التزم به في عمليات النقد التاريخي للخبر والرواية.

هذا .. وعلى الله قصد السبيل ،،

(١)
العوتبي بين مدارس التدوين التاريخي

لكتاب الأنساب لسلمة بن مسلم العوتبي أهمية كبرى بين مصادر التاريخ الإسلامي. ذلك أن الدراسات والأخبار التي وردت به قدمته بين صفوف مؤرخي عصره. وكان اهتمام العوتبي بتدوين كتاب للأنساب امتداداً للاهتمامات العربية والإسلامية منذ عصر الخلفاء الراشدين، في الوقت الذي حرص فيه الخليفة عمر بن الخطاب على إنشاءَ الديوان، مراعياً بذلك الاعتبارات الدينية والقبلية في آن واحد. واستمرت عناية المسلمين بهذا العلم في العصر الأموي عندما قامت الخصومات ونشأت الشعوبية(١).

وأصبح علم الأنساب عند المسلمين بمثابة الأعمدة والهيكل العام الذي نسجت معه ومن خلاله الأخبار التاريخية والروايات المتعددة. وارتبط علم التاريخ بهذا الأمر منذ البداية. حيث احتوت كتب الأنساب على العديد من الأخبار، وحيث بدأت كتب الأنساب تقوم بدراسة تاريخ العرب أفقياً ورأسياً. معتمدة على الروايات القديمة لتسجيل تاريخ حركة القبائل ورجالها السابقين، كما بدأت تعتمد على مخرجات النهضة الثقافية في العصر الإسلامي.

وأدرك العوتبي أهمية علم الأنساب والتأليف فيه وحث أهل الأدب والعلم على تعلمه ليحفظوا بذلك أنسابهم ويصلوا أرحامهم ويأتوا ما أمروا به، وينتهوا عما نهوا عنه من سوء الفعال وتجنب الأراذل والجهال(٢).

ومع شجرة الأنساب العربية التى رسمها العوتبي في كتابه ولدت مادة تاريخية هامة، وأصبح لعالمنا العوتبي قدرة المؤرخ الواعي. وأصبحت تلك المادة التاريخية مصدراً هاماً من مصادر التاريخ العُماني. ووضعت كتاب الأنساب ضمن أرفف المكتبة التاريخية العربية والإسلامية.

وقبل الحديث عن منهج العوتبي في كتابة التاريخ والتعامل مع النص التاريخي، كان لابد من التعرض لتطور عملية التدوين التاريخي وكتابة التاريخ حتى القرن الخامس الهجري، في مختلف نواحي العالم الإسلامي، من أجل تحديد مكانة العوتبي كمؤرخ عُمانى بين تلك المدارس التاريخية.

---

(١) سالم، السيد عبدالعزيز، مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية ص٧١، الاسكندرية، بدون تاريخ.
(٢) الأنساب، ص١، ص١١، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عُمان سنة ١٩٨١م.

فقد بـدأت عملية التدوين للعلـوم العربية في الإسـلام منذ نهاية القـرن الأول الهجري، لكنها ظهرت بشكل واضح في منتصف القرن الثانى الهجـري، خاصة سنة ١٤٣هـ، حينما ظهرت مصنفات هامة مثل: مـوطأ مالك بن أنس في المدينة، ومغازي ابن اسـحق ومصنفات الأوزاعي بالشام وسفيان بـالكوفة وغير ذلك[١]. وكان علم التاريخ من العلـوم الإسلامية التي ظهرت ضمن علوم الثقافة الإسلامية منذ البداية[٢]. وقبل ذلك كانت هناك طرق لحفظ العلم وتبـويبه، لكنهـا ظلت تتطـور حتى بلغت أوج أزدهارهـا في القـرنين الثالث والـرابع الهجريين.

وبالنسبة للتاريخ فقد مر هو الآخـر بمراحل حتى وصل إلى مرحلة متقدمة من التدوين التاريخي في عصر العوتبي. فقد كانت الأخبار والأنسـاب تروى. وكانت تلك المرحلة المبكرة ذات أهمية في تكوين الجمهور التاريخي وشكلت الحاسـة التاريخية عند المسلمين بما تكون لديهم من معارف تاريخيـة. وكان من رواد ملك المرحلة جبير بن مطعم (ت٥٩هـ/ ٦٧٩م) وأبوالجهم بن حذيفة العدوي، وأبوبكر بن الحكم. وقد امتدت تلك المرحلة حتى مطلع القرن الثانى الهجـري. وظل التاريـخ فيها مـرتبطاً بالحديـث والسير. ثم بدأت مـرحلة ثـانية في التدويـن التاريخي واهتم الأخبـاريون خلالها بجمـع الأخبار من كـافة المصـادر والجهات وتبيويها تحت عناوين خاصة معينة. وظهـر في تلك المرحلة رواد لها من الناحية التاريخية مثل الهيثم بن عدي (سنة ٢٠٨هـ) والواقدي (ت ٢٠٧هـ) وأبي عبيدة معمر (ت ٢١١هـ) ونصر بن مزاحم (ت ٢١٣هـ) وقد ألف الأخير كتبا متخصصـة في قضايا تاريخية مستقلة مثل: الجمل، صفين، مقتل الحسين، وغير ذلك[٣].

ومنذ تلك المرحلـة بدأت عمليات الاستقـلال تظهر بين علم الأنسـاب وبين علم التاريخ، فألف محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦هـ) في أنساب كل قبيلة على حده.

وأكمل من بعـده ابنـه هشـام ليكمل هـذا العمل[٤]. كما كتب على هـذا الـدرب أيضـاً أبواليقظان النسابة (ت ١٩٠هـ)[٥].

وجـاءت مرحلـة النضج للتـدوين التاريخي في القـرنين الثـالث والرابع الهجـريين، على أساس الاهتمام بوحدة التاريخ الإسلاميـة، ووحدة تاريخ البشرية، على أساس أن الإسلام دين يحمل في ذاته فكرة تاريخية عميقـة أوضحتهـا العقيدة الإسلامية في آيات كريمة عدة منها ﴿ملة أبيكم إبراهيم هـو سماكم المسلمين من قبل﴾ وكان الهيثم بن عدي أول من قام بوضـع كتـاب تاريخ مسـتقل مرتبـاً أحداثة على أسـاس السـنين محققاً بـذلك ثورة في

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ، ص٢٦.
(٢) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ص١ ، ص١٥١.
(٣) مصطفى ، شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ، ص٩٧.
(٤) سترد ترجمة كاملة لهؤلاء في دراستنا لمصادر العوتبي التاريخية.
(٥) ابن النديم ، الفهرست ، ص٩٨.

المنهج التاريخي مع بداية القرن الثالث الهجري، كما ألف كتاباً في الطبقات لتراجم الرجال.

ومع تطور عمليات وأدوات التدوين التاريخي وتوفرها، ومع تطور منهجية التدوين واستفادتها من المراحل السابقة عرفت البواكير الأولى لظهور مدارس تاريخية إسلامية لكل منها أسلوبها ومنهاجها في تدوين التاريخ(١)، في ظل المؤلفات العديدة التى ظهرت بين المسلمين والمهتمين بالتاريخ. كما أن ديار الإسلام قد امتدت واتسعت واختلفت أقاليمها وشعوبها، واختلفت بالتالي أنواع المعارف التاريخية. كما اهتم الناس بتفسير الإشارات القرآنية العامة، والتي تتصل بالأمم السابقة، كما بدأ المسلمون في الاهتمام بأخبار الرسول ﷺ وتسجيل الفتوح والمعارك في العصر الإسلامي، بعد أن أضحت حدثاً إسلامياً عالمياً بعيدة عن النظرة القبلية السابقة في الوقت الذي عثر فيه المسلمون على معارف تاريخية هامة عند الشعوب التى دخلت معهم في الإسلام(٢).

ومن أهم تلك المدارس التاريخية ما يلي :

* أولاً : مدرسة الشام :

وهي المدرسة التى نمت في عهد معاوية بن أبي سفيان. وقد عنيت تلك المدرسة بالتاريخ والأنساب والفتوح. وأصبحت بذلك وسطا بين المدرستين: المدنية والعراقية. وقد تخصصت تلك المدرسة في المقام الأول بالمغازي. كما أنها سبقت مدرستي المدينة والعراق من الناحية التاريخية، في الوقت الذي اهتمت فيه مدرسة المدينة بالحديث، بينما اهتم العراقيون بالأيام والأنساب(٣). ومن أهم روادها: أبوعثمان الصنعانى وجبير بن نفير الحضرمي (ت٨٠هـ) وعبدالرحمن بن جبير، وقد قدم معظم روادها من مناطق العالم الإسلامي المختلفة خاصة من اليمن بفضل جاذبية العاصمة السياسية من جهة واهتمام معاوية والأمويين بالتاريخ من جهة ثانية.

* ثانياً : مدرسة اليمن :

وهى مدرسة تاريخية ظهرت من أجل اثبات جوانب التاريخ اليمني القديم ونسب القحطانية. ولكنها أخذت تنمو في المنهج القصصي والأسطوري. ولعل ذلك يرجع إلى انصراف النسابين والمؤرخين اليمنيين صوب الشام والعراق ومصر واستقرارهم هناك، وكذلك انعزال اليمن من الناحية الجغرافية وتبوؤ الخليج العربي المكانة الهامة في مجالات

---

(١) مؤمن ، حسين ، التاريخ والمؤرخون ، ص٥٢.
(٢) مصطفى ، المرجع السابق ، ص١١٤.
(٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص٩٣.

الاتصال. واهتمت تلك المدرسة بتاريخ اليمن الأول. وظهرت على غرارها مدرسة الفرس أيضاً التي اتجهت توجهاً اقليمياً.

*** ثالثاً : مدرسة المدينة :**

وهي المدرسة الكبرى لبدايات التدوين بصورة عامة في الإسلام، بسبب موقع المدينة في التاريخ الإسلامي. ويعتبر عبدالله بن عباس من مؤسسيها الأوائل، بسبب اتساع معارفه ومكانته العلمية الكبيرة حتى سمي بالبحر. وقد ورد إليها رواد في الأخبار القديمة مثل ابن منبه وغيره. وقد عملت على حفظ السيرة والحديث(١).

*** رابعاً : مدرسة العراق :**

حيث اجتمعت في العراق في صدر الإسلام تيارات ومصادر ثقافية أساسية كونت أساساً لمكانته في تدوين التاريخ وهي: الثقافات الفارسية واليونانية ثم الثقافة العربية والإسلامية. وقد وجد الفكر الإسلامي بها مستقراً له في مراكزها الإسلامية الجديدة في الكوفة والبصرة وبغداد. وقد اهتمت تلك المدرسة بالأخبار والأيام والأنساب كما بدأت تهتم بالفتوح الإسلامية(٢).

ورغم ظهور تلك المدارس للتدوين التاريخي والتزامها بمناهج محددة في التعامل مع الأخبار والروايات إلا أن علم الأنساب ظل متداخلاً مع المادة التاريخية، خاصة وأن معظم القضايا التاريخية ارتبطت بهذا العلم أيضاً.

وجاء سلمة بن مسلم العوتبي من صحار ليشكل مدرسة مستقلة تجمع بين مناهج تلك المدارس التاريخية. وقد أهلت عوامل عدة صحار وعلماءها ليشكلوا مدرسة مستقلة للتدوين من بينها:

موقع صحار الاستراتيجي على طرق التجارة العالمية، حيث بلغت أوج أزدهارها في عصر العوتبي، وقد شهد لها بتلك المكانة الجغرافيون والرحالون المسلمون، بحيث وصفت بأنها خزانة الشرق وأعمر مدينة بدار الإسلام، وقد أهلتها تلك الظروف لتقوم بدور ثقافي موازٍ لدورها الاقتصادي أيضاً. وقد عاصر العوتبي بعض هؤلاء العلماء وأخذ عنهم ومن هؤلاء أبواسحق ابراهيم بن مسلم الضاحي العوتبي، وكان عالماً بالنسب وأخبار الأمم السابقة(٣).

---

(١) الدوري ، نشأة علم التاريخ ، ص٣٨.
(٢) مصطفى ، المرجع السابق ، ص١٧٠.
(٣) الأنساب ، ص١ ، ص١٧١.

كما أدى قرب صحار من البصرة ومراكز العراق الثقافية إلى استمرار الاتصال العلمي والفكري بين الطرفين، في الوقت الذي نبغ فيه العديد من أهل عُمان في تلك المدارس. وكانت صحار على اتصال أيضاً باليمن.

من هنا فقد قام سلمة بن مسلم العوتبي بإبراز سمات مدرسة في منهجه التاريخي من خلال كتاب الأنساب فيما يلي :

١- **اهتمام العوتبي بأنساب القحطانية**، على أساس أن معظم عرب عُمان يرجعون إلى النسب القحطانى. وقد ظهر ذلك في عرضه المفصل لأخبار الأزد ومالك بن فهم وقد أحتل هذا الأمر حيزاً كبيراً من أنسابه.

٢- **جمع العوتبي بين تخصصات المدارس الأخرى** ويتضح ذلك في تنوع مصادره.

٣- **أهتم العوتبي بتسجيل أيام أزد عُمان في الجاهلية والإسلام**. وظهر ذلك في حديثه عن يوم سلوت، ثم اشتراك أزد عُمان في حملة عثمان بن أبي العاص ضد الفرس.

(٢)
أهمية كتاب «الأنساب» التاريخية

يعتبر كتاب الأنساب أو «موضح الأنساب» من أهم المؤلفات التى تحتوى على جوانب تاريخية للعوتبي. بسبب ما اشتمل عليه من حوادث وأخبار وتراجم غاية في الأهمية بالنسبة للتاريخ بصورة عامة، وتاريخ عُمان بصورة خاصة. أي أنه جعل من كتاب الأنساب معونة وزاداً لطلاب الأدب والعلم والفقة، ويعلل ذلك بقوله «لأن طالب العلم والحديث إذا لم يكن يدري علم النسب وسمع حديثاً قد صحف فيه اسم أحد على غير جهته، أو نقل من قبيلة إلى غيرها، جاز ذلك عليه. وإذا كان بالأنساب عالماً، وبالأخبار عارفاً أنكر ذلك ورده إلى نسبه واسمه، وأتي بالصواب في موضعه وحقيقة أصله»(١). ويستطرد العوتبي في تحديد هدفه من كتابه بقوله «وجعلته جامعاً لما يحتاج إليه من علم الأنساب، إذ كان علم الأنساب يلزم كل من كان من قبائل العرب، ومن انتحل شيئا من فنون الأدب»(٢).

– احتوى أنساب العوتبي أيضاً على توضيح وتصنيف لأهم الممالك القديمة وحكامها منذ بداية عصور الحضارة، حسب ما استقى من مصادره، وحتى منتصف القرن الرابع الهجري، ويؤكد ذلك بقوله «ثم نظمت بعد تصنيف أجناس ملوك الدنيا من لدن آدم، –عليه السلام– إلى سنة ثلاثمائة وخمس وأربعين من تاريخ الهجرة»(٣).

تمكن العوتبي من تحديد أهم الممالك القديمة التى شهدتها منطقة شبه الجزيرة العربية، وتحدث بالتفصيل عن مملكة «إدم» وحدد مكانها الجغرافي في منطقة الأحقاف(٤). كما حدد أنسابهم إلى نوح –عليه السلام– وتتبع أخبارهم، باختصار بعد إهلاكهم، وتوجه من نجا منهم إلى مناطق الشمال الغربي من شبه الجزيرة العربية باتجاه مكة ويثرب، مع الإشارة إلى أوضاع مكة ويثرب في تلك الفترات(٥). كما استعرض أخبار الأمم الأخرى في مناطق الحجر(٦)، مع ذكر الآيات القرآنية الكريمة التى وردت بخصوص تلك الأمم، وكذلك أحوال وأوضاع ملوك جنوب العراق من النماردة. وإن كانت معلوماته عن منطقة جنوب العراق، زمن سيدنا ابراهيم –عليه السلام– قد اقتصرت على تحركات الجماعات السامية، دون ذكر الأمم الأخرى التى استقرت بها وأسست حضارات راقية منذ تلك الفترة.

---

(١) العوتبي ، الانساب ، ص١ ، ص٨ ، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.
(٢) العوتبي ، المصدر نفسه ، ص١١٣. (٣) نفسه ، ص١ ، ص١١٣.
(٤) يقصد بالأحقاف الجزء العُماني من صحراء الربع الخالي، وتقع رمال الأحقاف – جنوب عُمان وشرق حضرموت ، ورمالها كثيرة وغزيرة تعرف بالأحقاف.
– انظر : ابن حوقل ، أبوالقاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض ، ص٤٤ طبعة دار مكتبة الحياة ، بيروت ، سنة ١٩٩٢م.
(٥) العوتبي ، الأنساب ، ص١ ، ص١١٧. (٦) بين الحجاز والشام.

وتكاد روايات العوتبي التاريخية عن تلك الفترة تتفق مع أخبار وروايات المؤرخين والجغرافيين المسلمين السابقين خاصة عند الطبري، في تاريخ الرسل والملوك(١)، وعند المسعودي، في مروج الذهب ومعادن الجوهر(٢).

ورغم اعتماد العوتبي على رواة عدة في حديثه عن أخبار تلك الفترة من أمثال محمد بن اسحق باسناده عن ابن عباس، وعمرو بن دينار، والكلبي(٣)، إلا أنه استقى مادته التاريخية عن مصدر هام وأساسي لتلك الفترة وهو: وهب بن منبه الذماري اليمني، الذي ولد سنة ٣٤هـ وتوفي سنة ١١٤هـ وعبيد بن شرية.

ويعد وهب بن منبه المصدر الأساسي لأخبار الأمم القديمة في مصادر التاريخ الإسلامي بصورة عامة، وقد ساعده على ذلك اطلاعه على كتب وأخبار الأمم القديمة السابقة، فأبوه منبه من هراة بخراسان، قدم إلى اليمن في جيش كسرى لنصرة سيف بن ذي يزن، حينما استنجد الأخير بالفرس ضد الأحباش المحتلين لبلاده. وقد أسلم منبه زمن النبي ﷺ وولد ابنه وهب سنة ٣٤هـ في بلدة ذمار، بالقرب من صنعاء، ونشأ على الزهد وحفظ أخبار الأنبياء والأمم، حتى أطلق عليه المؤرخون وغيرهم ألقاب عدة منها: الأخباري صاحب القصص، أو صاحب الأخبار والقصص، والعلامة القاص، وهو بجانب ذلك يعد من أهم أعلام طبقة التابعين. كما أتاحت له فرصة الاطلاع على الثقافة العبرية واليونانية والسريانية فرصة هامة ليكون المصدر الأساسي لتاريخ ما قبل الإسلام(٤).

وبذلك جاءت روايات العوتبي التاريخية عن الشعوب والأمم السامية القديمة بصورة مرتبة ومنظمة، زاد من ترابطها وتنظيمها اعتماده على مصادر أخرى مع روايات وهب بن منبه مثل رواياته عن جبير بن مطعم بن عدي القرشي(٥).

- جاءت روايات العوتبي التاريخية موثقة بمصادرها، كما جاءت واضحة في عرضها حيث اهتم بإبراز أثر البيئة على الأنسان، وحدد المناطق الجغرافية التى بدأت تشهد تدفق لهجرات الجماعات البشرية منذ القدم. وتمكن بصورة واعية من تحديد المفهوم الجغرافي العام لشبة الجزيرة العربية، على أساس إحاطتها بالبحار والأنهار. ثم قسم شبه الجزيرة العربية إلى أقسام خمسة، هي: تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن وعُمان، بحيث

---

(١) أبوجعفر محمد بن جرير الطبري، توفي سنة ٣١٠هـ كتابه تاريخ الرسل والملوك.

(٢) المسعودي، أبوالحسن على بن الحسين، توفي سنة ٣٤٦هـ ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ص١.

(٣) سيرد ترجمة لكل منهم على حدة.

(٤) من أهم كتبه : قصص الأنبياء السابقين، مما يدعى بالإسرائيليات: وكتاب تاريخ اليمن القديم، وهو مطبوع باسم «التيجان» يختص بملوك حمير وأخبارهم مع اساطير يمينة قديمة. كما توجد له كتب في الفتوح. * كشف الظنون ، ص٢ ، ص٣٤٧.

(٥) كنيته أبوسعيد، كانت له مكانة في الجاهلية والإسلام، مات سنة تسع وخمسين في المدينة.
- انظر : البستي، ٣٥٤، أبوحاتم محمد بن حيان، (مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار)، تحقيق مرزوق علي ابراهيم، ص٣٢، بيروت، سنة ١٩٨٧م.

تشمل اليمن القسم الجنوبي الغربي، وعُمان القسم الجنوبي الشرقي. بينما جعل اليمامة والبحرين وما والاهما عروضا(١).

ونظراً لأهمية سواحل شبه الجزيرة العربية في الأحداث التاريخية وسبل الاتصال الحضاري المستمر، فقد تمكن العوتبي في الأنساب من تحديد أهم المحطات والمراكز الحضارية بداية من البصرة وكاظمة على رأس الخليج العربي وحتى ميناء أيلة على ساحل خليج العقبة، في الجانب الآخر من شبه الجزيرة العربية(٢)، مما أعطى لرواياته وضوحاً في عمليات الربط التاريخي، وفهما في استخلاص العديد من الحقائق التاريخية.

ولما كانت البصرة(٣) والكوفة(٤) ذات أهمية تاريخية في صنع القرار والحدث التاريخي، منذ تمصيرهما في زمن الخليفة عمر بن الخطاب (١٣هـ-٢٣هـ)، فإن العوتبي قد قام بتحديد سواد كل منهما على حدة قبل التعرض لأنساب القبائل بالتفصيل(٥). وذلك لبيان حركة القبائل العربية صوب العراق والمشرق الإسلامي عبر هذين المصيرين الجديدين، خاصة أثناء عمليات التدفق العربي الكبير في الأراضي الفارسية بعد انتصار المسلمين في معركة القادسية، وكذلك خلال العصر الأموي، بعد ذلك، وكان لهذين المصيرين الدور الكبير في تنظيم عمليات الهجرة والتدفق العربي بصورة واضحة.

حاول العوتبي ربط أشكال البشر وألوانهم وصفاتهم ببيئتهم الجغرافية، وذلك بقوله: «وكانت الأرض ثلاث منازل، فما كان قبل مهب الشمال والصبا وهو الصفون عن يمين الشمال إلى مغربها فلبني يافث بن نوح، فجعل الله فيهم الشقرة والحمرة لبعد أرضهم وسمائهم عن الشمس»(٦) واستمر في تحديد أثر البيئة أيضاً على الأجناس البشرية الأخرى، مع تعليل لأسباب انتشار الأوبئة والأمراض في بعض المناطق من العالم(٧). وكان لتلك الجوانب الجغرافية أثرها في تعزيز الروايات التاريخية عند العوتبي، خاصة وأنه عرضها قبل عمليات التفصيل لأنسابه.

---

(١) الأنساب ، ص١ ، ص٧٦ ، ص٧٧.

(٢) نفسه ، ص١ ، ص٢٧٧، ص٧٨.

(٣) أمر الخليفة عمر بن الخطاب قائده عتبة بن غزوان بتاسيس مركز في منطقة اتصال الصحراء العربية بسواد العراق، وبدأ عتبة التخطيط لها منذ سنة١٤هـ/٦٣٥م، حيث كان الهدف من تاسيسها منذ البداية أن تكون مركزاً للجند والمقاتلة ضد الفرس، لكنها ازدحمت بالسكان بعد ذلك، بسبب أهميتها التجارية والاستراتيجية، حيث أصبحت مدينة الدنيا، ومقصد التجار، ومنارة الفكر، ومدينة الساج والعاج والديباج والنهر العجاج.
انظر : البلاذري، أحمد بن يحيى، ت٢٧٩هـ فتوح البلدان، ج٢، ص٤٢٥، مصر.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، ت ٢٥٥هـ البيان والتبيين، ص١، ص٣٤.
- المقدسي ، محمد بن أحمد ، ت ٣٩٠هـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٠٥، طبعة بيروت.

(٤) تأسست تلك المدينة زمن عمر بن الخطاب سنة ١٧هـ/٦٣٨م، لأهداف عسكرية أيضاً.

(٥) الأنساب ، ص١، ص٧٩.

(٦) نفسه ، ص١ ، ص٧٨.

(٧) نفسه ، ص١ ، ص٧٨.

– ومهما يكن من أمر فـإن أنساب العوتبي يعـد المصدر الأول والمعـول الأساسي والمعين الغزيـر لتتبع أحداث التاريخ العُماني، منـذ بداية قـدوم الجماعات العربيـة بها وحتى القرن الرابع الهجـري/العاشر الميلادي، خاصة وأن هنـاك جوانب أساسية في التـاريخ العُمانى قد أهملت، بقصد أو بدون قصد، من قبل المؤرخين المسلمين منـذ بداية عصر التدوين التاريخي، في العصر العباسي[1]، ويرتبط تلك القضية بقضايا العلاقات العُمانية العباسية في المقام الأول. كما كان للصراعات الداخلية في عُمان أثرها في طمس مصادر التاريخ العُماني، هي الأخرى.

من هنـا كان للعـوتبي الفضل الأول في إعـادة بناء التسلسل التـاريخي لحلقات الـدور العُماني في تلك الفترة الهامـة، خاصـة وأنه تمكن من خـلال وعيـه، وموقع بلـدته عـوتب بصحار وسعـة اطلاعة أن يكون صـورة شاملة ومنظومـة متكاملة للإنتشـار العُمانـي في أرجاء العالم الإسـلامي. وبذلك سد هذا المصدر النقص والنـدرة في موارد التاريخ العُمانى بين مصادر التاريخ الإسلامي[2]، في صدر الإسلام والعصر العباسي.

ففى الجزء الأول من أنساب العوتبي، كـان من المفروض أن يخصص من أجل توضيح أنساب العـدنانية، حينما أقر ذلك بنفسـه بقوله «وبدأت في الأنسـاب بذكر معد بن عـدنان وقدمتـه على يعرب بن قحطـان إذا كان منهـم خاتم النبيين وإمـام المرسلين وسيد الأولين والآخرين محمد نبينا صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين وعترته تراجع»[3].

وقد عـاب العوتبي على بعض أهل النسب حينما عمدوا إلى تقديم يعـرب بن قحطان على نسب معد بن عدنان، مستندين إلى أن يعرب بـن قحطان أول من تكلم بالعربية، وإلى اسمه نسب اللسان العربي وسمي عربياً إذ نسب إلى يعرب بن قحطان، وأورد لذلك شعراً:

أنـــا ابن قحطـــان الهمام الأقيل ... الأيمـن المعـــــرب ذي التهلـل
يـــاقـــوم سيروا في الـــرعيل الأول ... أنـــا البـــدى بـــاللســـان المسهل
المنطـــق الأبين غير المشكـــل ... فسرت والأمـــــــة في تبلبـل

مجري عين الشمـــس في تهمـــل[4]

---

(١) قضية البحث في التدوين التاريخي عند المسلمين، حديثة العهد، ويبدو أنها بدأت منذ قرن واعتمدت على الكتابات التاريخية الشاملـة التى دونت في العصر العباسي، خاصة منـذ القرن الثالث الهجري، واعتقـد أن ذلك هو بداية التـدوين، لكن هناك شـواهد تـدل على أن هنـاك مدونـات وصحفا في أيـدي المؤرخين قبل ذلك، لكنهم كـان ينقلونها شفـاهـة ويرجعـون إلى نصوصهم وقت الحاجـة. وكان بعض الصحـابة والتابعين يقـولون في رواياتهم لـلأخبار: «وجدت في كتـاب أبي فلان أو كتاب أبائي».
– انظر : سزكين، فؤاد، تاريخ التراث الإسلامي، ص١، ص٢٢٥. طبعة القاهرة.

(٢) قاسم، جمال زكـريا، تاريخ عُمان بين الـوثائق والمصادر الأجنبية والمحليـة، ص٣٩١، فعاليات ومنـاشط، المنتدى الأدبي، إصدار يونيو سنة ١٩٩٠م، مسقط.

(٣) الأنساب ، ص١ ، ص١٠٤.

(٤) المصدر السابق ، ص١ ، ص١٠٦.

إلا أن العوتبي، -رغم ذلك- كان مشدوداً نحو أنساب القحطانية باستمرار، ولم يخلف لنا إلا ورقات معدودة عن نسب العدنانية، فسرعان ما يعود إلى عرض لأنساب القحطانية بصورة شاملة ومركزة وواعية ومترابطة، في حين ينتقل بين أنساب ربيعة وعبدالقيس وإياد بصورة سريعة(١).

لذا فقد أصبح العوتبي حجة هامة في أخبار القبائل القحطانية وأنسابها وتاريخها منذ عصور ما قبل الإسلام، بل تمكن من تحديد الجماعات العدنانية التى دخلت في محيط قحطانى أو العكس، حيث أشار إلى خروج بني مازن بن سعد من مذحج وإدعائهم إلى بني تميم، حتى عصره، وكانوا قبل ذلك مع جعفي بن سعد حتى قتل المخزم بن سلمة عبدالله ابن معدي كرب، فخافت بنومازن بن سعد من عمرو، فارتحلوا إلى تميم وانتسبوا إلى مالك بن عمرو بن تميم(٢).

وقدم العوتبي لتاريخ القحطانية عمقاً هاماً حينما تحدث عن امتداد النفوذ العربي القحطانى إلى جهات بعيدة من العالم القديم مثل التوغل في بلاد المغرب عبر الصحراء الافريقية والوصول إلى بلاد طنجة(٣)، حيث تم الانصهار مع قبائل البربر، سكان البلاد الأصليين، ويبدو أن هناك من أهل أفريقية من البربر وجماعات من شعوب الطوارق والزغاوة(٤) الذين أسسوا أسرة حاكمة في منطقة تشاد والتي عرفت باسم مملكة «قانم وبرنو» والتي كان لها شأن في تاريخ السودان الأوسط(٥)، يدعي أهلها أنهم ينتسبون إلى ملوك حمير، كما تدعي قبيلة صنهاجة البربرية القوية، والتي كان لها دور في نشر الإسلام في السودان بأنها تنتسب إلى حمير(٦)، كما نجد في تاريخ بلاد السودان الشرقي والأوسط وواحات أفريقية الصحراوية حيث جماعات البربر، نجد صدى لتحركات عربية من شبه الجزيرة العربية عبر باب المندب والبحر الأحمر داخل أفريقية(٧).

- كما تعرض العوتبي لصور من الاتصالات العربية القحطانية، أثناء حديثه عن سبأ الاصغر، إلى جوانب من العلاقات السلمية والحربية بين القحطانيين من جهة وبين حكام

---

(١) انحصر ذلك فيما بين الصفحات ١٤٥ إلى ص١٦٨ من الجزء الأول، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة.
(٢) المصدر نفسه ، ص١ ، ٣١٤. (٣) نفسه ، ص١ ، ص١٨٧.
(٤) شعب في منطقة بحيرة تشاد يجمع بين المؤثرات الزنجية والحامية، امتدت أوطانهم. من منطقة دار نور بغرب السودان الشرقي حتى بحيرة تشاد، وظلوا على الوثنية فترة طويلة، حتى بدأ تحولهم إلى الإسلام في النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي.
(٥) يسمى الشريط الافريقي جنوب الصحراء الافريقية الكبرى، وحتى خط الغابات الاستوائية باسم بلاد السودان، ويشمل هذا الشريط نطاق الساڤانا. وقد ظل هذا الاسم مرتبطاً به من قبل الغرب وحتى العصور الحديثة. وتنقسم بلاد السودان إلى ثلاثة أقسام: الشرقى من البحر الأحمر حتى دار نور، والأوسط حول بحيرة تشاد، أما السودان الغربي فيمتد من نهر النيجر وفروعه وحتى سواحل المحيط الأطلسي (بحر الظلمات).
- انظر الجوهري، يسرى، أفريقية الإسلامية ، ص٨٥ وما بعدها.
(٦) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٢٥٩.
(٧) محمود ، حسن ، الإسلام والثقافة العربية في افريقية، ص٢٣٤.

وشعوب السند والهند والصين. فيروي عن عبيد بن شرية[١]، أن الحارث ابن سدد أول من غزا بالجيوش أراضي بعيدة في الهند والسند، بعد أن أشار إلى اعتماده على استيراد سلع عديدة من الهند واعتماده على خبرات أهلها في مجالات الطب وغير ذلك، فقام بغزوها بحملة بحرية كبرى حتى دخل أرض الهند وأسس مدينة هناك تسمى «الرايش»، وأورد في ذلك شعرا برق بن سعد بن عمر بن ذي أنس[٢] :

سار بنا الرايش في جحفل	مثل مغيص السيل كالانجم
يؤم أرض الهند غازيا لها	يخترق الأمواج كالضيغم
والدر والياقوت من فوقها	وسبي أبكار بها تسوم

وتدل تلك الروايات من قبل العوتبي على كشف جوانب من صور العلاقات العربية الهندية قبل الإسلام وهي صورة هامة تجاهلتها المصادر الأخرى.

كما تعرض العوتبي لعلاقات ملوك اليمن بأراضي العراق القديم[٣] ونواحي فارس وبلاد الترك وأواسط آسيا[٤]، كما اشتملت رواياته التاريخية على توضيح لجوانب العلاقات العربية الصينية قبل الإسلام[٥]، وهي العلاقات التى تحتاج إلى تحديد جذورها التاريخية من وجهة النظر العربية. على أن استعراضه لأخبار العلاقات العربية الأفريقية[٦] واستمرار التواجد العربي منذ القدم على سواحل شرق أفريقية وفي منطقة القرن الأفريقي، قد أكد عليها الرحالون اليونان وغيرهم من الذين تعرضوا لتاريخ تلك المناطق[٧].

وكان لهذا الجهد من قبل العوتبي أثره في توضيح الكثير من الحقائق الهامة حول صلة عرب عُمان بالبحر منذ البداية، حيث برهن على أن الهجرات العربية التى قدمت من اليمن إلى عُمان في أعقاب انهيار سد مأرب، جاءت إلى عُمان حاملة خبراتها القديمة مع شعوب سواحل المحيط الهندي، إلى وطنها الجديد، وبدأت تلك القبائل العُمانية من الأزد وغيرهم الإرتقاء بتلك المكانة الملاحية وتحسين أدائها منذ عصور ما قبل الإسلام.

– أفرد العوتبي معظم كتابه حول أنساب أزد عُمان وتاريخهم، خاصة نسب مالك بن فهم وولده وأخوته. وبدأ ذلك باستعراض لفضائل الأزد وما جاء فيهم عن رسول الله، ﷺ[٨]، وأنسابهم[٩]، وأولاد الأزد وتفرقهم بعد ذلك.

---

(١) مصدره الأساسي عن ملوك اليمن وكندة.
(٢) المصدر نفسه ، ص١ ، ص١٨٣.
(٣) المصدر نفسه ، ص١ ، ١٨٣.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه ، ص١ ، ص٢٠٣.
(٦) المصدر نفسه ، ص١ ، ص١٨٦.
(٧) راجع : – على ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثالث.
– بافقيه ، محمد عبدالقادر ، تاريخ اليمن القديم ، ص١٦٥ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، سنة ١٩٨٥م.
(٨) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٤٣.
(٩) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٤٤ وما بعدها.

وتميز عرض العوتبي لأنساب أزد عُمان بغلبة الجانب التاريخي على تتبع سلسلة النسب ويتضح ذلك في حديثه عن نسب عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء وولده(١)، حيث أفرد روايات عدة عن ملوك الغساسنة من أولاد جفنة بن عمرو مزيقيا، وخاصة حديثه عن جبلة بن الأيهم وموقفهم من الدعوة الإسلامية، وخاصة مع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-(٢). من عرض تاريخ الأوس والخزرج مهتماً بالجانب التاريخي أيضاً، بحيث تمكن من عرض تاريخ الأوس والخزرج في فترة ظهور الدعوة الإسلامية ودورهم في نصرة الدعوة الجديدة وأهم رجالاتهم في هذا العصر، حتى أصبح هذا الجانب يمثل ركناً أساسياً لفهم السيرة النبوية الشريفة، ودور الأزد في بناء دولة الإسلام، وقد أفرد لذلك حوالي ثلاثين صفحة(٣).

- ويعد العوتبي المرجع الأساسي لفهم وتتبع حركة آل المهلب، الذين تألق دورهم في العصر الأموي، حيث أفرد لهم صفحات عديدة من كتابة الأنساب في أثناء حديثة عن العتيك بن الأسد بن عمران بن عمرو، فبدأ بعرض سيرة أبي صفرة، ظالم بن سراق، وأولاده، وأورد معلومات تاريخية غاية في الأهمية عن دور هذا البيت ودور أهل عُمان في صدر الإسلام في الدفاع عن الدولة الإسلامية(٤)، وبداية ظهور شخصية القائد الأزدي العُمانى الشهير المهلب بن أبي صفرة الذي اسندت اليه مهام استراتيجية(٥).

واستعرض العوتبي النشاط البحري العسكري للمسلمين في منطقة الخليج العربي في عصر الخلفاء الراشدين(٦)، وربطه بظهور دور أزد عُمان في عمليات الفتوح الإسلامية البرية والبحرية في المشرق الإسلامي منذ ولاية عثمان بن أبي العاص الثقفي. وتعد الصفحات التى قدمها عن تلك الفترة معلومات تاريخية في غاية الأهمية، كما تعد مادته عن المهلب بن أبي صفرة ترجمة وافية لسيرة قائد هام في صدر الإسلام.

كما قدم العوتبي روايات هامة عن أيام أزد عُمان في الجاهلية(٧) وخاصة يوم سلوت، ومعاركهم في الإسلام.

ورغم تلك الأهمية لأنساب العوتبي إلا أنه تجاهل تماماً الامتداد العُمانى نحو جهتين هما:

---

(١) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٥١ وما بعدها.
(٢) نفسه ، ج٢ ، ص٥٥ وما بعدها.
(٣) الفصل الثالث من الجزء الثانى.
(٤) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٢١ وما بعدها.
(٥) نفسه ، ج٢ ، ١٢٦ وما بعدها.
(٦) الأمر الذي يدحض الرأي السائد بأن المسلمين لم يكن لهم نشاط بحرّي قبل عصر عثمان بن عفان.
(٧) الجزء الثانى من الأنساب ، الفصل الرابع.

* **الأولى : جبهة السند والهند وجنوب آسيا:**

حيث شهدت تلك الجبهة نشاطاً عُمانياً وعربياً واضحاً من خلال استقرار العديد من الجاليات التجارية هنك، وخاصة من أهل عُمان. وقد سجل تلك الأحوال مصادر إسلامية معاصرة للعوتبي مثل المسعودي وابن حوقل والمقدسي وغيرهم. وورد بين أخبارهم نشاط لأهل عُمان في تلك النواحي.

* **الثانية : جبهة شرق أفريقية :**

حيث استقر بها العُمانيون منذ نهاية القرن الأول الهجري وبصورة رسمية منذ هجرة الأخوين سعيد وسليمان أبناء عباد. وأصبح هذا الوجود العُمانى امتداداً للقبائل العُمانية والوجود الإسلامي في شرق أفريقية.

(٣)
- البناء الفني - التاريخي لكتاب الأنساب -

يعد كتاب الأنساب للعلامة والنسابة والمؤرخ والفقية سلمة بن مسلم العوتبي أهم ما خلفه لنا من الناحية التاريخية. حيث يعد الكتاب الوحيد من مؤلفاته الذي يحتوي على مواد تاريخية هامة تمثل مصدراً خصباً للعاملين في حقل الدراسات التاريخية بصورة عامة، وتاريخ عُمان ومنطقة الخليج العربي بصورة خاصة حيث تمكن العوتبي من جمع معلومات وأخبار هامة عن الأوضاع في العالم الإسلامي من خلال تكوينه الفكري وقربه من مراكز الحضارة الإسلامية في منطقة جنوب العراق، خاصة منطقة البصرة والكوفة وبغداد. كما ساعده وجوده في بيئة تجارية هي مدينة صحار التي كانت تشهد حركة نشاط مستمرة في القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين، بحيث لقبت بخزانة الشرق ومدينة السلام، ووصفها الجغرافيون بأنها أعمر مدينة(١).

ومن خلال تلك الظروف تمكن العوتبي من الحصول على مصادر متعددة لأخباره ورواياته غلب عليها حصوله على نسخ من مؤلفات قديمة تيسر له الحصول عليها والرجوع إليها أثناء تدوينه لأنسابه فيما بعد، من خلال موقعه في عوتب بصحار على ساحل الخليج العربي. كما أن عوتب كان بها جماعة من أهل النسب في عصر العوتبي.

ويبدو أن مؤرخنا النسابة العوتبي قد قام أولاً بجمع مادته التاريخية ثم بدأ عمليات التدوين فيما بعد، خاصة وأنه أعلن أنه سيتوقف عند أحداث سنة ثلاثمائة وخمس وأربعين من تاريخ الهجرة(٢)/الموافق ٩٥٦ ميلادية. لكننا وجدنا أمامنا سيرا مستمرة لأبعد من هذا التاريخ تصل حتى بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي(٣).

وإن كان العوتبي في الواقع قد توقف عن عمليات عرض المواد التاريخية الهامة له عند تاريخه الذي حدده واكتفى بعد ذلك بعمليات سلسلة الأنساب وما يرتبط بها من جوانب تاريخية بصورة سريعة.

---

(١) انظر : - المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٨٩.
- لوفران ، مدينة صحار التاريخية وعلاقاتها بطرق الحرير ، ص٩١ ، بحث مقدم إلى الندوة الدولية لطرق الحرير، جامعة السلطان قابوس ، سنة ١٩٩٠م.
(٢) الأنساب ، ج١ ، ص١١٣.
(٣) انظر ترجمة للبسيوي ، ج٢ ، ص٢٠٧.

واتضح ذلك لنا من الأمور التالية :

* **أولاً : تكرار المواد والأخبار الواردة في بعض الصفحات** مع صفحات أخرى تتحدث عن نفس الموضوع والقضية(١)، فبينما تحدث عن طبقات الأنساب، عاد وكرر الحديث عن القضية والموضوع. وتتضح براءة عمليات النسخ بسبب تغيير الرواة والإخباريين الذين اعتمد عليهم العوتبي أثناء ذكره للأخبار. وكذلك أثناء حديثه عن أسباب تقديمه لأنساب العدنانية عن القحطانية.

* **ثانياً : تمكن العوتبي من حذف الأخبار المكررة والمتواترة لديه**، واقتصر على الأخبار والروايات الجديدة والتي أحس بأنها قد تقدم جديداً، فاقتصر أثناء حديثه عن أخبار وأنساب العدنانية حيث أدرك وجود العديد من المدونات والكتب في هذا الشأن، وأخذ في التفصيل والتوضيح لأنساب الأزد، وخاصة أزد عُمان وأهم رجالاتهم(٢)، وكان هذا الجانب مهملاً بالفعل لدى النسابين والمؤرخين بصورة عامة.

* **ثالثاً : ظل العوتبي يحدد نهاية كتاب وبداية كتاب آخر في الانساب لعدة مرات** بلغت حوالي ثلاث(٣). كما أن كتاب الأنساب قد ورد داخله أسماء عدة له مثل موضح الأنساب، وكتاب الشجرة في الأنساب، وكتاب الأنساب(٤). وهو أمر يدل على أن العوتبي كان دائم الفرز والفحص لمصادره، وأنه كان يهدف إلى تقديم مادة جديدة لكتابه تبتعد كثيراً عن التكرار للنسخ والروايات التي حصل عليها.

* **رابعاً : ظهرت إمكانيات العوتبي بوضوح منذ بدايته لعرض أنساب القحطانية**(٥)، حيث قدم لنا بعد ذلك مادة تاريخية هامة وعرضاً تاريخياً مترابطاً، يتضح فيه إمكانيات العوتبي الهائلة في مختلف نواحي النسب والتاريخ والأدب. وبلغ العوتبي قمته التاريخية في عرضه لملوك التبابعة والقحطانية، وتتبع أحداثهم وأعمالهم خارج شبه الجزيرة العربية حتى الصين وأواسط آسيا والهند والسند وأفريقية وفارس(٦). مما جعله يسد جزءاً هاماً من حاجة المكتبة العربية التاريخية في تلك الفترة. كما وصل العوتبي ذروة عطائه في حديثه في القسم الثاني من الانساب الذي خصصة للأزد.

---

(١) راجع الصفحات : ٩٦، ٩٧ مع الصفحات : ١٠٢، ١٠٣ من كتاب الأنساب ج١، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة.
(٢) راجع الجزء الثاني من كتاب الأنساب، الباب الثاني، من ص٤٣ وما بعدها.
(٣) راجع الصفحات : ٧، ٩٥، ١٦٩ من الجزء الأول من الأنساب.
(٤) انظر الصفحات : ٧، ١١١، ١٦٣ من الجزء الأول من كتاب الأنساب.
(٥) بداية من ص١٦٩ ، بالجزء الأول من الأنساب.
(٦) انظر : الأنساب ، ج١ ، ص١٨٢ ، ١٨٦ ، ٢٠٣ ، ٢١٤.

وأصبح العوتبي في حديثه عن أخبار الأزد عامة وأما عُمان خاصة المصدر الأوفى والأساسي للدارسين والباحثين حتى الوقت الحاضر بسبب ما يحتويه مصدره من الجديد في المادة والوضوح في العرض التاريخي.

الأمر الذي يشير لنا بأن العوتبي في أنسابه، كان يهدف أن يكون كتابه جديداً في عرضه مختلفا في ترتيب أنسابه، بحيث جعله جامعاً لعلوم أخرى مع الأنساب وخاصة وأنه ربطه بالتاريخ في مواضع كثيرة(١)، فاختلطت الحوادث التاريخية بالسير والترجمات، مما أعطت للكتاب أهمية جديدة بين كتب التاريخ والأنساب.

على أن الأمر لايخلو من إلقاء مسئولية كبرى على عاتق النساخ، فإذا كان الكتاب قد تم تدوينه من قبل مؤلفه في بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي(٢). فإن كتاب الأنساب يوجد منه نسختان إحداهما بدار الكتب المصرية برقم ٢٤٦١/تاريخ والأخرى بسلطنة عُمان. دونت الأولى في ضحى الاثنين لليلتين خلتا من شهر رمضان ١١٣٠هـ/الأول من أغسطس ١٧١٨م، والثانية قد نسخت ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م. الأمر الذي يدل على أنه قد تم نسخه عدة مرات حتى وصلت تلك النسخ الأخيرة بين أيدينا. حيث تم ضياع أجزاء من فقرات الكتاب، كان وجودها ضرورياً لفهم سياق المؤلف خاصة حينما ذكر هدفه من تأليف كتاب الأنساب وعدد كتبه الأخرى الأربعة ثم انقطع الكلام بعد ذلك(٣). وكذلك في اختلاف بعض العبارات عن البعض الآخر في كلا النسختين(٤).

وهذا الأمر يجعلنا نضاعف الجهد في سبيل البحث عن نسخ أخرى من مؤلف العوتبي حتى يتم الانتقاع على الوجه الأكمل بهذا العمل الهام.. وإن كانت عمليات طبع الكتاب وإخراجه أخيراً من قبل وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عُمان قد أدت إلى إعادة هيكلة مبدئية لهذا العمل، قد يعقبه جهد آخر من قبل المتخصصين لبناء كتاب الأنساب بالصورة التى كان يقصدها المؤلف في ظل الامكانات الحالية.

أما من حيث وضع المادة التاريخية عند العوتبي في كتابه الأنساب فإنه قد ربطها بعنوان عمله الكبير وهو الأنساب فالتزم أولاً بذكر النسب ثم يبدأ في ذكر الوقائع والأحداث التاريخية المترابطة بالشخصية التي يتحدث عنها وتكون تلك المادة التاريخية في الغالب على قدر صاحب الترجمة، ومكانته في مسيرة التاريخ الإسلامي عامة وتاريخ عُمان

---

(١) خاصة في الجزء الثاني من الأنساب.
(٢) على أساس وجود ترجمات ترجع إلى تلك الفترة.
– انظر : الأنساب ، ج٢ ، ص٢١٩. في ذكره للشيخ أبي الحسن البسيوي.
(٣) انظر ، ج١ ، ص١٠٢ ، ص١٥٧ ، ص١١٦. على سبيل المثال.
(٤) ج١ ، ص٩٨ . ص٢١٧ ، ص٢١٨. على سبيل المثال.

بصورة خاصة. وقد التزم بداية بذلك النهج حينما أفرد صفحات خاصة عن نسب الرسول ﷺ(١)، وشجرة أنساب العدنانية(٢).

وقد اضطر العوتبي إلى الاهتمام بالجانب التاريخي لأنسابه لما يقتضيه من تمييز بين رجاله، وربط أعمالهم بهم، كما ربطهم بآبائهم وقبائلهم. من هنا فقد جاء ترتيبه للأحداث التاريخية مرتبطاً بسلسلة النسب عنده معتبراً المادة التاريخية جانباً هاماً في توضيح الشخصية أو العلم الذي يتحدث عنه.

ورغم أن المادة التاريخية قد احتلت حيزاً كبيراً أثناء حديثه عن أنساب طيء حينما أفرد حديثاً طويلاً عن مازن بن غضوبة(٣)، فأورد قصة إسلامه، وقدم صورة لأوضاع عُمان زمنه في فترة ظهور الإسلام، ثم توجهه إلى الحجاز لإعلان إسلامه بعد أن ورد عليه رجل من أهل الحجاز.. وتعد المادة التاريخية التى قدمها عن عصر مازن مادة هامة لفهم أوضاع الجزيرة العربية وعُمان في تلك المرحلة واعتبرت مادته عن مازن بن غضوبة الأساس للعديد من الروايات العُمانية بعد ذلك. كما تمكن من جمع وترتيب صورة تاريخية هامة عن حديثه عن حاتم الطائي(٤). وقد أورد العوتبي العديد من الأشعار في سيرته. كما استعرض عددا من رجال طيء وسيرتهم التاريخية من أمثال إياس بن قبيصة الطائي، آخر حكام إمارة الحيرة(٥).

استغرق العوتبي في الجانب التاريخي أثناء حديثه عن بعض الشخصيات التى ارتبطت بأعمال هامة في التاريخ الإسلامي، ففي أثناء حديثه عن أنساب مذحج، مالك بن أدد، وولده مراد بن مالك، أورد دور عمرو بن معدى كرب، وقيس بن هبيرة المرادي، ابن أخت عمرو بن معدي كرب، في معركة القادسية، التي وقعت في خلافة عمر بن الخطاب، واستمر في عرضه لأسبابها وجوانب أحداثها وأهم الأعمال التى تمخضت عنها حتى تم النصر فيها للمسلمين. وتمكن العوتبي من تحديد أهم الإنجازات التى تحققت بعد هذا النصر في انتصار المسلمين في وقعة جلولاء ومعركة نهاوند وفتح نواحي عديدة من بلاد فارس.

---

(١) ج١ ، ص٦٨.

(٢) وقد اختصر أنساب العدنانية على سلسلة النسب فقط دون ذكر لأحداث تاريخية مرتبطة بالشخصيات إلا في اليسير.
– انظر الجزء الأول ، ص٩٥ وما بعدها.

(٣) يعتبر أول من أسلم من أهل عُمان. ووردت عليه أحاديث كثيرة عن الرسول ﷺ بخصوص دعوة الرسول لأهل عُمان.
– الأنساب ، ج١ ، ص٢٥٦ إلى ص٢٥٨.

(٤) هو حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عدي، كان مضرب الأمثال في الجود والكرم.
– الأنساب ، ج١ ، ص٢٦١ وما بعدها.

(٥) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٧١.

وظهرت مادة العوتبي التاريخية بوضوح أثناء حديثه عن مالك بن فهم الأزدي وخروجه بمجموعة إلى عُمان من اليمن، بعد أن قدم صورة جغرافية وتاريخية لتحركات مالك إلى الحجاز ثم عودته عبر حضرموت حتى وصوله إلى شمال عُمان واصطدامه مع الفرس في معركة سلوت(١). وكان حديثه ورواياته عن سلوت تعتمد على مصادر متعددة بالإضافة إلى رواياته المحلية. وتتبع نتائج تلك المعركة وانتصار الأزد بها في عرضه للجماعات العربية الأخرى التى لحقت بعُمان بعد هذا النصر(٢).

ورغم التزام العوتبي بالتسلسل التاريخي في ذكره للحدث الواحد، كما قدمنا في مثال عن حديثه عن معركة القادسية وما ترتب عليها من نتائج، وكذلك حديثه عن معركة سلوت، إلا أن لم يراع التسلسل الزمني بصورة عامة في سلسلة الأنساب، حتى لايخل ذلك بهدفه الأساسي في تتبع النسب وتحديد فروعه. ولذلك فقد قام كثيراً بالتوقف عن السرد التاريخي ليعود إلى ذكر الأنساب من جديد مع ذكر عبارة «رجع إلى ذكر»(٣) أو «ومنهم..»(٤) أو عبارة «ونزل ..»(٥).

والملاحظ من استقراء الأحداث التاريخية وتسلسلها مع الأنساب أن العوتبي لم يهتم كثيراً بتحديد سنوات الأحداث والأخبار التى أوردها، واقتصر في تحديده للحدث التاريخي بذكر عصر ملك من ملوك الفرس، قبل الإسلام، أثناء حديثه عن تحركات القبائل وأحداثها قبل الإسلام، كنحو تحديده لقدوم الأزد إلى عُمان في زمن دارا بن دارا(٦). ثم تحديده ظهور آل الجلندى كزعماء لعرب عُمان في عصر الدولة الساسانية(٧)، وهي التي حكمت إيران بعد زمن الدولة الفرتية وأشار إلى أوضاع العلاقات بين الفرس وبين عرب عُمان زمن الساسانية حيث حدد أماكن النفوذ لكلا الطرفين.

ولم يحدد لنا العوتبي سنوات لميلاد أو وفاة رجاله إلا حينما تحدث عن أولاد العتيك ابن الأسد وأولاده من أبي صفرة والمهالبة. ففى حديثه عن أبي صفره واسمه ظالم بن سراق، تحدث بالتحديد عن مراحل حياته ثم مساهماته في الفتوح الإسلامية، فتحدث عن اشتراك أبي صفرة في الحملات العسكرية البحرية التي شنها المسلمون على الفرس في

---

(١) المصدر السابق، ج٢ ، ص٢٦٥ وما بعدها.
(٢) المصدر نفسه ، ص٢ ، ص٢٧٧ وما بعدها.
(٣) نفسه ، ص١ ، ٣١.
(٤) نفسه ، ص١ ، ص٣٦٦ على سبيل المثال.
(٥) نفسه ، ص٢ ، ص٣٧٧.
(٦) حكم دارا الثاني فيما بين (٤٢٤-٤٠٤ ق.م)، وقد بلغت إيران أوج توسعها في عصر أسرة الاضمنيين التى ينتسب إليها دارا.
(٧) ظلت حتى اسقطها المسلمون ، وكانت عاصمتها المدائن.

منطقة الخليج العُماني صوب الفرس في حملة عثمان بن أبي العاص الثقفي(١)، وحدد سنة اشتراكه وهي سنة ١٥هـ/٦٣٦م(٢).

وظهرت براعة العوتبي في تحديد سنة ١٥هـ/٦٣٦م، دون غيره من الروايات، على أساس أن هذا التاريخ ينسجم مع أحداث المواجهة في شمال الخليج العربي، حيث كانت المعارك مستمرة قبل حسم الموقف في القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص سنة١٦هـ/٦٣٧م حيث خطط الفرس لسحب جزء من قواتهم نحو سواحل الخليج العربية الفارسية للقيام بشن هجوم هناك من أجل ارباك القيادة الإسلامية وتشتيت جهودها، وكانت خطة عثمان بن أبي العاص مواجهة تلك الجموع الفارسية منذ البداية(٣).

تمكن العوتبي من ربط أحداث الخليج العربي في عصر الخليفة عمر بن الخطاب بصورة لايقارنه فيها أحد، فتحدث عن اشتراك الحكم بن أبي العاص، مع أخيه عثمان في إدارة عُمان في تلك المرحلة، وعرض بصورة واضحة أوضاع المواجهة مع الفرس بصورة أقرب إلى يوميات الحرب، فحدد أماكن تواجد الفرس في سيراف وفارس، والمراسلات التى دارت بين عثمان بن أبي العاص الثقفي، والي عمر علي الخليج، وبين زعماء أزد عُمان وهما جيفر وعبد، طالباً منهم المعونة لمواجهة التحرشات الفارسية الجديدة(٤).

وحدد العوتبي بدقة فريدة التشكيلات القتالية الأزدية العُمانية، وأورد قيادة كل تشكيل، ورأس عمران أبوصفرة، واتجهت التشكيلات من منطقة جلفار باتجاه فكان رأس شنوة صبرة بن سيحان الحداني، ورأس بني مالك بن فهم مالك ابن كاوان، حيث تم عزل عبدالقيس عن الأزد، وتحركت أزد عُمان وأزد البحرين صوب جزيرة القسم وتمكنوا من مواجهة الجموع الفارسية بقيادة شهرك وهزيمتهم وقتل شهرك نفسه(٥).

انفرد العوتبي دون غيره بتتبع ازدياد نفوذ أزد عُمان في منطقة الخليج العربي من تلك السنة، وهو بذلك مؤرخ واع ودقيق، حيث بدأ في عرض خريطة الإنتشار الأزدي بعد هذا الانجاز على سواحل الخليج العربي الفارسية والعربية حتى وصلوا إلى البصرة، حيث حسدهم أهل البصرة على مكانتهم. وذكر أسماء الثمانية عشر رجلاً الأوائل من أهل عُمان الذين نزلوا البصرة وفي مقدمتهم كعب بن سوار، فاستقضاه عمر بن الخطاب عليها(٦). كما ذكر الجماعات التى اقامت بتوج على رأس الخليج العربي.

---

(١) هو عثمان بن ابي العاص بن بشر، من ثقيف، من خيار الصحابة، ولاه الرسول ﷺ وغزا فارس والهند. وكان من عباد الصحابة ومتقشفيهم، سكن البصرة ، وتولى الخليج لعمر بن الخطاب.
– البستي، أبوحاتم محمد بن حيان، مشاهير علماء الأمصار، ص٦٧. – ابن حزم، الجمهرة ، ص٢٦٦.
(٢) راجع روايات اليعقوبي ، ص٢، ص١٣٤. وإن كان قد حددها زمن خلافة ابي بكر ولكن الأصح ما أورده العوتبي.
(٣) انظر : – ابن الأثير ، الكامل ، ص٢ ، ص٣٣٨. – الطبري ، ص٤ ، ص٧٩ وما بعدها.
(٤) المصدر السابق ، ص٢ ، ص١٢٢. (٥) المصدر نفسه ، ص٢ ، ص١٢٤. (٦) نفسه ، ص٢ ، ص١٢٥.

كما حدد لنا العوتبي من خلال عرضه لرواياته فترة وفاة أبي صفرة في البصرة زمن ولاية عبدالله بن عباس لها من قبل الإمام علي، وصلى عليه ابن عباس[1]. كما تمكنا من تحديد فترة ميلاد ابنه المهلب وهي تعود بالتقريب إلى بداية خلافة الخليفة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-[2].

وبذلك يعتبر العوتبي عمدة في الرجوع إلى سنوات امتداد النفوذ العُماني في المشرق الإسلامي وكذلك في الرجوع إلى زعماء آل المهلب وسنواتهم.

لكن العوتبي انفرد بتحديد سنة ٨٣هـ/٧٠٢م[3] لوفاة المهلب بن أبي صفرة في منطقة مرو الروذ في خراسان ودفن بها، ويبدو أن هذا العام لايتفق مع مسار الأحداث في منطقة العراق وخراسان، وترجح الروايات الأخرى التي أوردها الطبري[4] وابن الاثير[5] على روايات العوتبي في تحديد سنة ٨٢هـ/٧٠١م كسنة لوفاة المهلب بن أبي صفرة[6].

أما الخطأ الذي ظهر من جديد في تحديد العوتبي لسنة معركة القصر سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م في خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١هـ-١٠٥هـ)، فيبدو أنه بعيد عن هذا الخطأ، ذلك أن الكتاب دون سنة ١٣٠هـ[7] لمقتل يزيد بن المهلب في معركة العقر، أي أن معركة العقر كانت سنة ١٣٠هـ. ذلك أن العوتبي قد حدد سنة ميلاد يزيد بن المهلب بدقة سنة ٥٣هـ/٦٧٢م، كما حدد عمره يوم مقتله حينما قال «وهو ابن تسعة وأربعين سنة»[8] وبالتالى فإن معركة العقر تكون قد وقعت سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م بعد إضافة سني عمر يزيد ابن المهلب إلى سنة ميلاده، ويحتمل أن يكون التحريف في عمليات النسخ.

ومن استعراضنا لتحديد سني الأحداث التاريخية عند العوتبي نجد أن هذا الجانب قد تميز بثلاثة أمور هي:

- الأول : عدم تحري الدقة في ذكر سنوات بعينها في عرضه لكثير من الحوادث والإكتفاء بذكر ما يقابل هذا الحدث كسني حكم حاكم أو معركة.

- الثاني : محاولته تحري الدقة في ذكر سنوات أحداث تاريخ عُمان خاصة زعماء الأزد من المهالبة والأئمة، ولم يوفق في بعضها خاصة قدوم جناح لعُمان سنة ١٠٧هـ[9].

---

(١) نفسه ، ص٢ ، ص١٢٧.
(٢) راجع التواريخ الثلاثة الوارده.
- «وهو غلام ابن نيف وعشرين سنة».
- «ويروون أنه يومئذ ابن عشرين سنة».
- «وانطلق أبوصفرة بالمهلب ويومئذ ابن سبع وعشرين سنة».
نفسه ، ص٢ ، ص١٢٦.
(٣) المصدر السابق ، ص٢ ، ص١٤٠.
(٤) الطبري ، تاريخ الأمم ، ص٦، ص٣٥٤، أحداث سنة ٨٢هـ طبعة دار المعارف المصرية.
(٥) ابن الأثير، الكامل ، ص٤، ص٨٣، أحداث سنة ٨٢هـ طبعة دار الفكر اللبنانية.
(٦) حيث ارتبطت سنة ٨٣هـ بأحداث هزيمة ابن الأشعث.
(٧) المصدر نفسه ، ص٢ ، ص١٥٦.
(٨) نفسه ، ص٢ ، ص١٥٦.
(٩) راجع ص٢، ص٢٢٢. حيث ذكر أن جناح بن عباد قدم إلى عُمان للمنصور سنة ١٠٧هـ

- الثالث : الاستغراق في تسلسل الأنساب وتجنب تحديد سنوات معينة لشخصياته.

على أن العوتبي تحول إلى مؤرخ ماهر وابتعد عن عملية تسلسل الأنساب حينما اختصر لنا تاريخ عُمان في فترة ظهور الإسلام(١)، فأشار إلى الوجود الفارسي على السواحل في العصر الساساني، وإلى أن ملك عُمان قد انتقل إلى آل الجلندى. وأن هناك هدنة مستمرة بين الطرفين العربي والفارسي. وقارن بين موقف أهل عُمان من دعوة الرسول ﷺ وبين رفض الفرس لتلك الدعوة. ودور أهل عُمان في نشر الإسلام منذ البداية(٢).

ونظراً لتوفر المادة التاريخية لدى العوتبي فقد أورد لنا عدة نسخ من رسائل الرسول ﷺ إلى أهل عُمان وإلى حكامها هي:

* **الأولى : إلى الجلندى بن المستكبر.**
* **الثانية : إلى ولديه جيفر وعبد، على أساس أن والدهما الجلندى** قد توفي قبل وصول الرسالة إلى عُمان.
* **الثالثة : إلى أهل عُمان لدعوتهم إلى الإسلام.**

وهو بالفعل ما يجده الباحث في مكاتيب الرسول ﷺ حيث تتنوع صيغ رسالة الرسول ﷺ إلى عُمان(٣).

بلغت دقة العوتبي في تحديده لحدود عُمان في تلك الفترة الهامة حيث أشار إلى أن جيفر أرسل إلى مهرة والشحر لدعوتهم إلى الإسلام فأسلموا، ثم بعث إلى دبا وما يليها من حدود عُمان الشمالية. لكنه سرعان ما التقط أنفاسه وعاد من جديد يتجه إلى الاستغراق في أنسابه.

واستخدم العوتبي تلك الامكانات الهامة في عرضه لأحداث وأسباب ونتائج المعارك والوقائع الحربية التى تعرض لها كتابه، فجاءت في معظمها منسجمة بنسق تاريخي مترابط.

في البناء التعبيري واللغوي :

ومن حيث البناء التعبيري واللغوي للكتاب وتأثير ذلك على الناحية التاريخية فإننا لاحظنا أن العوتبي كان يتمتع بثقافة واسعة بسبب اطلاعه على العديد من العلوم والفنون والأخبار في عصره، مكنته في ذلك بيئته ومقدرته، حتى أصبح في التاريخ أمهر من مؤرخ، وفى جوانب اللغة أديباً بارعاً في النحو والصرف والبلاغة والأمثال والشعر، حتى عبارات

---

(١) انظر الصفحات ٢٥٨ - إلى ٢٦٢ من الجزء الثاني.

(٢) على أساس أن هناك رجلاً من أهل عُمان يسمى كعب بن برشه الطاحي، قد اسلم وتوجه إلى كسرى ليعرفه الإسلام، بسبب إجادته اللغتين العربية والفارسية.
- المصدر نفسه ، ص٢ ، ص٢٥٩.

(٣) نفسه، ص٢ ، ص٢٦٠.
- وانظر الأحمدي ، مكاتيب الرسول ﷺ . طبعة دار صعب ، بيروت.

وروايات العوتبي عالية الأسلوب تامة المعنى فصيحة في الألفاظ.

وقد ظهرت جوانب ابداعاته اللغوية في التاريخ وفي الأنساب في الجوانب التالية:

* **أولاً : استخدامه الألفاظ والمصطلحات المعجمية والقيام بتفسيرها** لغوياً من أمثال:

- قيفان : من فعلان، والقفن دخول الرأس في العنق والصدر(١).
- جدن : موضع واشتقاقه من قولهم أرض جدن وهى الغليظة المتراكبة(٢).
- السحول : اسم مشتق من السحل، وهو فتل الخيط، وهو الثوب، أو القشر للعود(٣).

وذلك أثناء حديثه عن أنساب ذي يزن واسمه عامر بن اسلم بن زيد.

- وكذلك في تفسيره لاسم سبأ، على أساس أن أول من سبى الأمم وأدخل السبي أرض اليمن(٤).
- وكلمة رعين : اسم من رعن الرجل إذا سميت عليه الشمس(٥).
- عتيك من عتك الرجل أبناءه ورحماءه بالسيف، وعتكت المرأة بالطيب إذا تضمنت به حتى يحمر جلدها(٦).

وكان لهذا الأمر أثره فى فهم المادة التاريخية وتشبع سياق الروايات والأنساب.

* **ثانياً : تحديده للمصطلحات ونوعها السياسي أو الجغرافي :**

فقد حدد تسمية بلاد العرب بالجزيرة لإحاطة الماء بها من الأطراف. وحدد سبب تسمية اليمامة والبحرين بالعروض لانخفاض مسايل الأودية فيها(٧). بالإضافة إلى شرحه وتفسيره لأسباب تسمية معظم المواضع والبلدان والأقطار التى ذكرها.

- وفي المجال السياسي حدد المصطلحات والألقاب المستخدمة لدى حكام الشعوب والمرتبطه بهم كما يلي:(٨) وكثيراً ما كان يضبط المصطلحات بالحروف وليس شكلاً.
- التبابعة وهم ملوك حمير. والملوك من كهلان.
- كسرى ملك العجم.
- قيصر ملك الروم الأعظم.
- الخاقان ملك السند.

---

(١) المصدر السابق ، ص١ ، ص١٣٩.
(٢) نفسه ، ص١ ، ص١٤٠.
(٣) نفسه ، ص١ ، ص١٤٠.
(٤) نفسه ، ص١ ، ص١٧٣.
(٥) نفسه ، ص١ ، ص١٧٨. في حديثه عن أنساب حمير.
(٦) نفسه ، ص٢ ، ص١١٨.
(٧) نفسه ، ص١ ، ص٧٨.
(٨) مع ملاحظة أن تلك الألقاب ترتبط بالأنظمة السياسية التى سادت تلك المناطق قبيل ظهور الإسلام أو في صدر الإسلام.

- الشاه ملك جبال خراسان.
- بلهرا ملك الهند.
- نقفور أو يعبور ملك الصين.
- الخليفة أو أمير المؤمنين عند المسلمين(١).

وإن كان العوتبي قد اعتبر خلفاء الأمويين والعباسيين ملوكاً، ولم يسبق أسماءهم بألقاب تدل على الخلافة للأمة الإسلامية، ثم نص على ذلك صراحة في قوله «فلما بلغ ذلك أبا العباس السفاح واسمه عبدالله محمد بن علي بن عبدالله ابن العباس بن عبدالمطلب، وهو أول ملك من بني العباس، بعد ملك بني أمية»(٢) وذلك على أساس أن هؤلاء الحكام لم يصلوا إلى الخلافة عن طريق الشورى.

ثالثاً : تخير العبارات والأساليب المعبرة والبعيدة عن الغموض :

فقد تمكن العوتبي من تخير عبارات اللغة المعبرة التى تجمع بين البلاغة وبين الوضوح من أجل شرح رواياته التاريخية، فيذكر في حديثه عن غزو ملوك اليمن لافريقية وغيرها «فرأوا بلاداً كثيرة الخير واسعة الميسر، فحاصروا المدائن، وافتتحوا القلاع وظفروا بالسبي، وحووا الأموال»(٣) ونحو قوله في تصوير أحداث يوم سلوت «ثم باءت العجم ورجعت إلى بعضها بعضا، وأقبلت في حدها وحديدها»(٤). وقوله لتصوير خبر كاذب انتشر بين أهل البصرة زمن الأزارقة «طاش الخبر بالبصرة»(٥).

وهى تعبيرات هامة تعطي المؤرخ مدلولات عديدة لها في ظل بلاغتها ودقة تعبيرها التاريخي. وقد حافظ العوتبي على هذا المستوى في عرضه لأحداثه التاريخية، وأنسابه.

كما استخدم الألقاب اللغوية الدالة على أصحابها فأوجز في وصف ابن دريد بقوله «خطيب في شعره، مصقع في خطبه، قدوة في أدبه، وحكيم في نثره، لا زيادة عليه في فنون العلوم والآداب»(٦). وميز بين العلماء في الفنون والآداب والعلوم وبين العلماء من حملة العلم، بقوله عن الإمام الربيع بن حبيب «هو أحد العلماء الأربعة الذين حملوا العلم»(٧).

على أننا لم نلاحظ أن العوتبي ربط بين الأئمة والخلفاء وكبار العلماء بالترضي والترحم(٨)، إلا في موضع واحد فقط، حينما تحدث عن الشيخ أبي محمد عبدالله بن محمد ابن بركة، والشيخ أبي الحسن علي بن محمد البسيوي. وهذا أمر يحتاج إلى تحقيق حول

---

(١) راجع الأنساب ، ص١ ، ص١٧٤.
(٢) الأنساب ، ص٢ ، ص١٥٦، ١٥٧.
(٣) المصدر نفسه ، ص١ ، ص١٩٥.
(٤) نفسه ، ص٢ ، ص٢٧٠.
(٥) نفسه ، ص٢ ، ص١٣٩.
(٦) المصدر نفسه ، ص٢ ، ص٢٢٨.
(٧) نفسه ، ص٢ ، ٢٢٩.
(٨) إلا في حالات ذكر الخليفتين أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما وبعض ائمة عُمان.

ذلك ومسئولية النساخ، أو هدف العوتبي. فقد قرن ابن بركه بـ «رحمه الله»[1] وكذلك البسيوي بـ «رحمه الله تعالى»[2].

رابعاً : الاقتباس من آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة :

واتضح ذلك في حديثه عن أخبار الأمم السابقة عن الإسلام، والعرب البائدة، وذلك من أجل تأييد وتقوية رواياته وأخباره التاريخية. وظهر ذلك بوضوح في حديثه عن مبدأ خلق الكون وأخبار الملائكة وذكر الجن وذكر خلق آدم وهبوطه مع حواء من الجنة إلى الأرض[3]، وقصة قابيل وهابيل وأولاد آدم. وقصة نوح والأنبياء من بعده. وأخبار عاد وأنبياء بنى اسرائيل. وكانت الآيات القرآنية التى أوردها، أو الأحاديث النبوية الشريفة منسجمة مع حديثه وأخباره التاريخية.

خامساً : الإفصاح عن انفعالاته :

رغم حيدة العوتبي وموضوعيته في عرضه التاريخي لكتاب الأنساب إلا أنه لم يخف غضبه لما حل بآل المهلب بعد نكبة العقر سنة ١٠٢هـ/ ٧٢٠م، وما ترتب عليها من مقتل يزيد بن المهلب، زعيم أزد المشرق في تلك الفترة، ومعظم أهله، ثم حمل بقية أهله كأسرى إلى دمشق[4]، يقول العوتبي «وقدم مسلمة بن عبدالملك بأسرى آل المهلب إلى أخيه يزيد بن عبدالملك- لعنه الله»[5].. خاصة وأن الأمويين قد نكلوا بالفعل بصورة وحشية بآل المهلب. فلم يتمكن العوتبي من إخفاء غضبه على الخليفة الأموي يزيد بن عبدالملك (١٠١هـ-١٠٥هـ). حتى أنه زاد في لعنه للأمويين فكرر لعن يزيد بن معاوية، ومعاوية بن ابى سفيان، أو هما معاً كما في قوله «لفعل يزيد بن معاوية -لعنهما الله-»[6]. كما قرن اللعنة بالحجاج بن يوسف أيضاً[7].

أما عدا تلك الوقفة فلم يلاحظ لمؤرخنا العوتبي أي تأثير على عمليات العرض التاريخي للأحداث التى قدمها في أنسابه، وتمكن بموضوعية وأمانة من وضع الأخبار والروايات في موضعها الصحيح بغض النظر عن الوضع القبلي أو العقائدي.

سادساً : الشمولية التاريخية :

تتضح النظرة الشاملة للعوتبي في معالجته لتطورات التاريخ الإسلامي والعربي منذ البداية، فقد حرص على توضيح الأصول العربية وتفرعاتها من القبائل الكبرى، ويقوم بعملية الربط بين فروع القبيلة في المشرق أو المغرب وفي أي مكان. كما أنه تمكن ببراعة

---

(١) نفسه ، ص٢ ، ص٢١٨.
(٢) نفسه ، ص٢ ، ص٢١٩.
(٣) نفسه ، ص١ ، ص١٢ وما بعدها.
(٤) راجع الأحداث في المصدر السابق، ص٢ ، ص١٥٢ وما بعدها.
(٥) نفسه ، ص٢ ، ص١٥٣ ، السطر ٩.
(٦) نفسه ، ص٢ ، ص١٥٥ السطر الأول.
(٧) نفسه ، ص١ ، ص٣٢٦. اثناء حديثه عن بني صهبان كهيل بن زياد.

واضحة من دمج وحدات التاريخ الإسلامي في بوتقة واحدة ولم يغلب جنس على آخر، أو قطر على غيره، وحتى حديثه عن وطنه عُمان جاء مرتبطاً بنظرته الشمولية العامة على أساس أن عُمان جزء من الجسم الإسلامي الكبير[1]، وأن أداء أهلها منذ البداية في أي موقع أنما يصب في الوعاء والبوتقة الإسلامية الشاملة.

وبذلك فإن العوتبي ابتعد عن النظرة الإقليمية أو المذهبية الضيقة التى اتصف بها بعض معاصريه في مواضع أخرى.

سابعاً : كثرة الاستشهاد بالشعر والأمثال العربية لتعزيز أخباره :

فكثيراً ما كان يقوم بربط العلم الذي يترجم له، أو الشخص بما يرتبط به من أشعار أو الشعر الذي يتردد عنه، ومثال ذلك قوله.. ومنهم أبوشمر الذي يقول :

كيف المقـــام بأرض لا أشـــد بها ... سوطلا إذا ما اعترتني سواة الغضب

عني إذا مـــدحـب إن كنت ســـائلـــه ... ولد امـرىء للذي أنشـأه كان أبي[2]

وقوله في أنساب قحطان.. ومنهم الأقاول ومن الاقاول الأسود بن كثير والمرجاء ربيعة ابن معدي كرب، ونبت حضر موت نبت وائل، وهو الذي يقول فيه الأعشى :

قـــالت قتيلـــة من مـــدحت ... فقلـــت مسروق بـــن وائل[3]

كما تمكن من انتقاء جيد شعر الشعراء الذين وردوا في أنسابه من أمثال الشاعر زيد الخيل بن مهلهل الطائي[4]، وانتقائه كذلك لأشعار هامة من شعر مازن بن غضوبة أضافت لنا مادة تاريخية وفسرت لنا جوانب هامة من تاريخ عُمان في فترة ظهور الإسلام[5]. وكانت الأشعار التى أوردها في سيرته لحاتم الطائي تنسجم مع بناء العوتبي لشخصية هامة مثل حاتم، ورغم إكثاره من أشعار حاتم إلا أن أوضحت صورا هامة في حياته وحياة مجتمعه والعرف والعادات والتقاليد هناك وفي المناطق التى ارتبط بها حاتم[6].

كما أصبحت الأشعار التى أوردها في عرضه للوقائع تدخل ضمن عرض المعركة والواقعة، حيث ركز على الأشعار التى أثارت الحمية القبلية والعصبية بين الأطراف، والأشعار التى قيلت في رثاء القتلى.. من الأطراف تحمل هي الأخرى صورة من الخسائر والآلام التى تعرضت لها عُمان[7]. أما أشعاره عن المهلب وأولاده فقد أوضحت جوانب هامة عن مكانة الرجل وقبيله في المشرق الإسلامي خاصة وأن أوردها عن شعراء خدموا

---

(١) خاصة في عرضه لامتداد النفوذ العُماني في الخليج والمشرق الإسلامي.
(٢) المصدر السابق ، ج١ ، ص١٧٤.
(٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٧٣.
(٤) نفسه ، ج١ ، ص٢٥٣.
(٥) نفسه ، ج١ ، ص٢٥٦ وما بعدها.
(٦) راجع الصفحات ٢٦١ حتى ٢٦٤ ، من الجزء الأول.
(٧) المصدر السابق ، ص٢ ، ص٣١٥ وما بعدها (وقعة الروضة والقاع).

معه وكانوا على قرب منه من كافة القبائل، الأمر الذي أعطى وضوحاً في الجوانب التاريخية للمهلب وعصره(١). وكانت الأبيات التى أوردها في رثائه عن أحد الشعراء قمة في التعبير عن الخسارة التى لحقت بالمسلمين في تلك الفترة، يقول:

الا ذهب الغـــزو المقـــرب للغنى ومـــات النـدى والجود بعـــد المهلب

أقـــام بمـــرو الـــروذ رهن ضريحه وقـد قبضا من كل شرق ومغـرب(٢)

ثامناً : التباين في بناء الترجمة والنسب :

فقد برزت لـدى العوتبي في أنسابـه صور متباينة في ذكره لـرجاله وأحداثـه كانت بين الطول والقصر والإسهاب والاقتضـاب في نوعية مادة العلم والشخص، وإن كـان يرتبط في المقـام الأول بما يتوافـر لديـه من مـادة حول هـذا العلم المترجم له، أو متـوقف على دوره ومساهماته العامة المرتبطة به والمختلفة عنه.

ورغم ذلك فإن عالمنا العـوتبي قد وضع أســساً هامـة في بناء الترجمـة والسيرة والنسب هي :

١- الاسم :

فلابد أن يقوم بذكر اسم العلم أو الشخصية، وقد يمتد الأمر إلى ذكر الوالد والجد حتى اسم القبيلة. وكان العوتبي دقيقاً في ذلك إلى أبعد الحدود، حتى يعتبر ذلك أساساً لعمله.

٢- اللقب :

حـرص العوتبي أيضـاً على ايراد اللقـب مع اسم الشخص. فمثلاً يقـول عن أبي حنبل مدلج بن مر بن سويـد بن مرتد، أنه مجير الجراد، وسمي مجير الجراد «لان الجراد سقط بقرب داره وقعد الناس يصيدونه فحماه منهم وأجاره منهم فسمي مجير الجراد»(٣).

٣- ذكر الكنية :

وغالبـاً ما كـانت تلك العملية تقتصر على أهم أعلامـه. ففي نسبه للمهلب وولـده يقول، «وولد المهلب بن أبي صفـرة.. ثلاثة وعشرين رجـلاً واحدى عشرة بنتا، وهم: سعيـد وبه كان يكنى»(٤) وكذلك في نسبه لمالك بن فهم فأورد كنيته بـ «أبانوبتي»(٥).

---

(١) المصدر نفسه ، ص٢ ، ص١٢٨ وما بعدها.
(٢) وردت عند الطبري بهذا النص أيضاً.
انظر : المصدر نفسه ، ص٢ ، ص١٤٠. - الطبري ، تاريخ ص٦ ، ص٣٥٥.
(٣) المصدر السابق ، ص١ ، ص٢٦٥.
(٤) نفسه ، ص٢ ، ص١٢٨.
(٥) نفسه ، ص٢ ، ص١٨١.

٤- اسم الشهرة :

حينما يشتهر العلم المترجم له باسم اكثر من اسمه مثل عبدالله بن يحيى الشاري الكندي المسمى بطالب الحق(١). وكذلك المختار بن عوف بن يحيى بن مازن، المسمى بأبي حمزة الشاري فانه يذكر اسم الشهرة إلى جانب اسمه الحقيقي(٢). وأحياناً كان يذكر اسم الشهرة دون الاسم الحقيقي للشخص مثل حديثه عن وقعة القاع سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م وترديده لاسم قائد الحملة باسم محمد بن بور، دون ذكر اسم نور، وذلك لما فعله من دمار بعُمان(٣).

٥- ذكر الصفات والألقاب المرتبطة بالعلم :

وخاصة عن الأعلام التي ارتبطت بإنجازات هامة مثل قوله «ومنهم الفضل بن يزيد، الفقية» ومنهم بعد ذلك الشيخ أبومحمد عبدالله بن محمد بن بركة»(٤)، وقوله عن يزيد بن عبدالمدان من بني الحارث بن كعب بنو عبدالمدان «كان شريفاً شاعراً»(٥). وهي أمور تدل على تمكن العوتبي من فهم شامل لجوانب شخصية العلم الذي يقوم بالترجمة له.

٦- عدم الاهتمام بتحديد سنة الميلاد، وسنة الوفاة، إلا لكبار الأعلام :

وقد وضح ذلك في حديثه عن أنساب المهالبة وتقديرة لسنة ميلاد المهلب ووفاة، وسنة وفاة والده، وكذلك سنة مقتل يزيد بن المهلب وتقدير عمره(٦).

٧- الاهتمام بالنشأة والتكوين :

وذلك من أجل إبراز إمكانيات الأعلام وأسباب بزوغ مكانتهم، ومثال ذلك تتبعه لنشأة حاتم الطائي بقوله «وحاتم هو الذي كان يخرج وهو صبي بطعامه إلى الطريق، فإن وجد من يأكل معه أكل وإلا رده ورجع»(٧) وكذلك في ترجمته لعمرو بن معدي كرب أحد أبطال القادسية(٨). وكذلك في ترجمته لابن بركة ذكر شيخه أبا مالك غسان بن محمد الصلاني(٩).

كما اهتم بذكر أماكن النشأة والمقام. فذكر منزل أبي حمزة الشاري في قرية مجز من جنوب صحار(١٠)، ومنزل ابن بركة في بهلاء(١١).

---

(١) نفسه ، ص٢ ، ص٢١٨.
(٢) نفسه ، ص٢ ، ص٢١٨.
(٣) نفسه ، ص٢ ، ص٣٢٣.
(٤) نفسه ، ص٢ ، ص٢١٨.
(٥) نفسه ، ص١ ، ص٣١٧.
(٦) انظر ص٢ ، ص١٢٢ وما بعدها ، ص١٥٦.
(٧) نفسه ، ص١ ، ص٢٦٢.
(٨) نفسه ، ص١ ، ص٢٨٩.
(٩) نفسه ، ص٢ ، ص٢١٩.
(١٠) نفسه ، ص٢ ، ص٢١٨.
(١١) نفسه ، ص٢ ، ص٢١٩.

(٤)
- طبيعة انتقاء المادة التاريخية -

رغم اصرار العلامة العوتبي على تسمية كتابه بالأنساب، إلا أنه قدم من خلاله مادة تاريخية هامة لاغنى عنها للباحث في التاريخ العُماني والإسلامي، وخاصة فترة صدر الإسلام. كما أن مادته التاريخية قد شملت نواحي عديدة من الجوانب السياسية والإدارية والإجتماعية والفكرية والإقتصادية، خاصة في منطقة الجزيرة العربية وعُمان والخليج. كما أشار إلى جوانب جغرافية ولغوية هامة أعطت مادته التاريخية ثقلاً ورسوخاً.

فرغم أنه لم يفرد لنا موضوعاً تاريخياً مستقلاً في أنسابه، إلا في حالة موجزة الذي قدمه عن عُمان في العصر الإسلامي، فإنه كان يجعل النسب في الصدارة في رواياته ثم يبدأ في ربط كل الأعمال والروايات التاريخية بهذا النسب بما يتيسر لديه من مصادر، وأحياناً كان يتدخل بصورة واضحة في تهذيبها وصهرها مع سياق حديثه بحيث لايشعر القارىء أن هناك خللاً في السياق العام للنسب والموضوع، ويبدأ الجانب التاريخي لديه بصورة عن بداية حياة الشخص، صاحب النسب، وظهور مواهبه، ثم يربطها بنواحي اجتماعية وسياسية واقتصادية حسب هدفه لخدمة المعلومات التى يقدمها(١).

وظهرت تلك الجوانب في أنسابه حينما تحدث عن أبي صفرة وأولاده فأعطى صورا عن حياتهم منذ البداية(٢)، وعلو مكانتهم في الدولة الإسلامية منذ خلافة عمر بن الخطاب -رضي او عنه- وقدم روايات هامة عن مراحل تأسيس مدينة البصرة التى أصبحت مركز أحداث المشرق الإسلامي، في هذا العصر(٣)، واحتوت تلك الروايات على صورة للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للمنطقة من وجود حركة تجارية وظهور اتجاهات معادية لبعضها البعض، حتى يظهر العصر بصورة صادقة للقارىء من كافة الجوانب.

واعتمدت المادة التاريخية التى قدمها العوتبي في أنسابه على أساس الهدف العام لكتابه والمتمثلة في: «معرفة أنساب قبائل العرب وبيان الأقرب من ذلك الهدف والابعد ومعرفة اجتماعهم وافتراقهم، «ثم أبدأ بعد ذلك باشتقاق اسمائهم»(٤) ثم بعد ذلك حدد حدود المادة التاريخية التى يحتاج اليها في عمله بقوله «وشرح ذلك من الأخبار وشواهد الأشقاء وماحشوته من اشتقاق أسماء قبائلهم ورجالهم وذكر أخبارهم وأيامهم إن شاء الله تعالى»(٥).

---

(١) المصدر السابق ، ص١ ، ص٢٤٧ وما بعدها.
(٢) المصدر نفسه ، ص٢ ، ص١٢٣ وما بعدها.
(٣) نفسه ، ص٢ ، ص١٢٦.
(٤) المصدر السابق ، ص١ ، ص١٣٢.
(٥) المصدر نفسه ، ص١ ، ص١٣٢.

ولذلك فقد أصبح أنساب العوتبي كتاباً شاملاً لطلاب الأدب، والعلم والفقه وغير ذلك، ويعلل العوتبي أهمية الأنساب بقوله «لأن طالب العلم والحديث إذا لم يكن يدري علم النسب وسمع حديثاً قد صحف فيه أسم أحد على غير جهته أو نقل من قبيلة إلى غيرها جاز عليه. وإذا كان بالأنساب عالماً وبالأخبار عارفاً أنكر ذلك ورده إلى نسبه واسمه، وأتى بالصواب في موضعه وحقيقة أصله»(١) وقد زادت أهمية هذا العلم في العصر الإسلامي من أجل صلة الرحم(٢)، ومعرفة أخبار الشعوب والأمم.

غير اننا يمكننا أن نميز أسساً هامة اتبعها العوتبي في انتقاء أنسابه والأخبار التاريخية المرتبطة بها وهي :

أولاً : الشمول النوعي :

أي أن العوتبي لم يقصر أنسابه على مجال واحد ونوع مميز من رجال القبائل التى أوردها، بل ترجم وتحدث عن شخصيات مختلفة في الجاهلية وفي الإسلام، وفي مجالات الأدب والسياسة والعلم والحرب. كما تحدث عن سير العديد من رجال الدولة، وعن فئات الناس بصورة عامة(٣). كما تحدث عن الرجال والنساء(٤) أيضاً والسادة والموالي والجند والأمراء والعمال والتجار وأصحاب الحرف وغير ذلك من فئات أنسابه.

ثانياً : الشمول المكاني :

تمكن العوتبي من موقعه في صحار بحي عوتب، حيث كانت المدينة في عصره في قمة مجدها وازدهارها كمدينة للتجارة العالمية المتجهة إلى شمال الخليج حيث البصرة والكوفة وبغداد، وكذلك كانت صحار متصلة في هذا العصر بجهات عديدة من الحضارات، الأمر الذي مكن العوتبي من الحصول على العديد من الأخبار والروايات والمدونات، وأصبحت مادة هامة له لبناء كتابه الأنساب والذي اشتمل على أخبار من كافة مناطق المشرق الإسلامي، وتحدث عن روايات شملت نواحي العالم الإسلامي وغيره(٥).

وبذلك جاء كتاب الأنساب شاملاً لروايات تاريخية عامة على المستوى العُماني والخليجي والعربي والإسلامي وحتى العالمي. وساعده على ذلك تفهمه للنواحي الجغرافية للمناطق والأماكن التي يتحدث عنها في أنسابه(٦). ورغم شمول كتابه على قسم كبير لأزد عُمان وخاصة آل المهلب، إلا أنه تتبع أخبارهم في كل مكان وسعى وراء حركة رجالهم في كل موقع(٧).

---

(١) نفسه ، ص١ د ص٨. (٢) نفسه ، ص١ ، ص١١.
(٣) يقول في ذلك : «وقد نظمت نسب كل شريف ومذكور وبليغ وخطيب وشاعر من القبائل». – نفسه ، ص١ ، ص٨.
(٤) راجع حديثه عن أم جندب، التى تزوجها امرؤ القيس . على سبيل المثال. – المصدر نفسه ، ص١ ، ص٣٤٠ ، ص٣٤١.
(٥) المصدر نفسه ، ص١ ، ص٨. (٦) نفسه ، ص١ ، ص٧٨ وما بعدها. (٧) نفسه ، ص٢ ، ص١١٩ وما بعدها.

ثالثاً : الشمول الزماني :

عمد العوتبي إلى تقديم صورة واضحة للعصر الذي يتحدث فيه عن رجاله حينما يتوقف لترجمة واسعة لأحدهم، فيترك سلسلة النسب جانباً ويأخذ القارىء، في نظرة شاملة لزمان الحدث حتى يتمكن من وضعه في الصورة الصادقة، وقد تمكن من ذلك في حديثه عن الوقائع والحروب بين العرب وتأثيرها على معاصريها فهو يقول في وصفه لمشاعر أهل عُمان حينما علموا بقدوم محمد بن بور إلى بلادهم «واتصل الخبر بأهل عُمان، فاضطربت عُمان من كل جانب، ودفع الخلف والعصبة بين أهلها، فكانت النزارية ومن كان على رأيهم في حزب، واليمانية في حزب، وتخاذل الناس عن الإمام عزان بن تميم، وتنقضت الأمور عليه، فخاف أهل صحار وما حولها من الباطنة، فخرجوا بأموالهم وذراريهم وعيالهم إلي سيراف والبصرة وهرمز وغير ذلك من البلدان»(١).

وقد حافظ العوتبي على الربط بين الشمولين الزماني والمكاني بحيث لم تأخذه الأنساب والروايات التاريخية إلى الاستغراق في مجال أو مكان واحد وفي فترة واحدة بل ربط توضيح صورة العصر في الفترة التى يريد التحدث فيها. وبلغ من درجة ثقافة العوتبي وقوة تصوره لآثار الأحداث التي يتحدث عنها وصفه لآثار وفاة المهلب.. لأنه ليس من كتاب ألف من بعده، في أي جنس كان من التأليف إلا وقع فيه من أخبار المهلب وأحكامه وبلاغته وسياسته وجوده»(٢).

وهذه نظرة جديدة من أجل احداث توازن بين الرؤى العالمية والاقليمية والمحلية في دراسة التاريخ، يمكن ان يستفيد منها في عصرنا.

رابعاً : العمل على خدمة الخبر للنسب :

حاول العوتبي أن يكون منهاجه واضحاً في الأنساب، ولذلك فقد اعترف بأن الروايات التاريخية والأشعار التي أوردها جاءت على صورة ثانوية بقوله «وما حشوتها من الأخبار وشواهد الأشعار»(٣) أي أن العلاقة بين الخبر وبين النسب عند العوتبي كانت علاقة محددة تتفق مع أهداف العوتبي من كتابه، وأن هذه العلاقة لم تأت بصورة عفوية أو ارتجالية وإنما كان وراءها قلم العوتبي ومنهاجه وكأن العوتبي يقصد بذلك أن العلم الذي يتحدث عنه هو الذي يصنع الحدث.

ولذلك فقد لاحظنا أن العوتبي كان دائم التوقف في عمليات الروايات التاريخية، وكثيراً ما نلاحظ أنه يحاول ألا يطيل في الشواهد التاريخية، وأنه كان يكتفي منها بما يدلل بها

---

(١) المصدر نفسه ، ص٢ ، ٣٢٣.
(٢) نفسه ، ص٢ ، ص١٤١.
(٣) نفسه ، ص١ ، ص١٢.

على أهمية ودور الشخصية التي يتحدث عنها، ويعلل لنا ذلك بقوله «وكان غرضي في جميع ما اقتصصت الايجاز والإختصار، ولو قصدت الاستقصاء لطال الكتاب ولاختلط الخفي بالجلي فمحبته الآذان وملته النفوس»(١).

أي أن العوتبي يعترف بامكانياته التاريخية الواسعة، لكنه كان يستخدم منها القدر الكافي لابراز النسب ودور الشخصية التى يتحدث عنها. وكان يخشى بذلك من تفوق الوصف والخبر التاريخي على النسب، وهو بذلك يعد من المؤرخين بالخبر والنسب معاً، وجعل بين الخبر والنسب صلة لفهم الشخصية والعلم الذي يتحدث حوله.

ولم يغلب الخبر على النسب عند العوتبي إلا في حالات قليلة، حينما أورد أخباراً وروايات عديدة عن المهالبة أثناء عرضه لنسبهم حتى استغرق الخبر بصورة واضحة ولم يتمكن من التوقف بقلمه التاريخي إلا على أعتاب العصر العباسي(٢).

كما كان العوتبي يحاول تنويع مادته التاريخية، رغم اختصارها، من النسب، فكثيراً ما يتناول كافة المجالات التي ارتبطت بالشخصية وأهل بيتها. ومن ذلك قوله في نسب رهاء بن حارث أحد بطون مذحج «وكان يزيد بن شجرة الرهاوي، وكان فارساً، وهو الذي وجهه معاوية بن أبي سفيان ليقيم بالناس الحج، ووجه علي بن أبي طالب إلي عبدالله بن العباس، فلما اجتمعا بمكة خشيا أن يكون في حرم الله حرب فاصطلحا»(٣).

وقد انعكس الأمر عند العوتبي في ذكر النسب ضمن الخبر في سياق رواياته التي تتعرض لقضية تاريخية طويلة، فقد أورد ذكر الخيار بن سبرة المجاشعي ضمن روايات عن المهالبة والأمويين(٤)، وكذلك بعض القواد والجند أثناء حديثه عن المعارك والوقائع والأيام والتي أدرك أنه من الصعب اختصار أخبارها. وهو بذلك يحاول اخراج صورة متكاملة عن الموضوع الذي يتحدث عنه، وكان يلجأ إلى ذلك حينما يدرك أنه من الصعب الاعتماد على الانساب وحدها.

خامساً : إبراز علاقة السببية :

ويتضح ذلك بتحديد العوتبي لهدفه من كتابه (الأنساب) «ليحفظوا بذلك أنسابهم ويصلوا أرحامهم ويأتمروا بما أمروا به وينتهوا عما نهوا عنه»(٥).

ففى حديثه عن الأمم القديمة أبرز لنا العوامل والأسباب التى أدت إلى اهلاكم واستشهد بذلك بآيات من القرآن الكريم، وخاصة عن عاد وقوم هود(٦). كما ظهرت امكانيات العوتبي

---

(١) المصدر السابق ، ص١ ، ص٧.
(٢) نفسه ، ص٢ ، ص١١٩ وما بعدها.
(٣) نفسه ، ص١ ، ص٣٢٨.
(٤) نفسه ، ص٢ ، ص١٤٣ وما بعدها.
(٥) المصدر السابق ، ص١ ، ص١١.
(٦) نفسه ، ص١ ، ص٦٨ وما بعدها.

التاريخية في أبراز علاقة السببية بأسباب وقوع المعارك والأيام التى تحدث عنها وتعليله أسباب وقوع المعركة، وأسباب انتصار المنتصر وهزيمة المنهزم.

ففي روايته عن سبب يوم سلوت «فلما وصل جوابهم مالك بن فهم، أرسل اليهم أنه لابد من المقام في قطر من عُمان، وأن تواسوني في الماء والمرعى، فإن تركتمونى طوعاً نزلت في قطر من البلاد وحمدتكم، وإن أبيتهم أقمت على كرهكم، وإن قاتلتمونى قاتلتكم.. فأبت الفرس أن تتركه طوعاً، وجعلت تستعد لحربه وقتاله»(١).

وظهرت امكانيات العوتبي في هذا الجانب في ذكره أسباب الكراهية التى بدأت في الظهور بين الحجاج وبين آل المهلب وتتبع ذلك حتى انتهت بسجن يزيد بن المهلب، وتطورت أخيراً بنكبة العقر سنة ١٠٢هـ/ ٧٢٠م. وقد عدد تلك الأسباب ودوافعها عندالأمويين وعمالهم(٢).

كما كان العوتبي يحرص على ذكر السبب وراء أي حدث هام يسوقه في نسبه، ومن الأدلة على ذلك اهتمامه بشرح أوضاع اليمن قبل خروج القبائل العربية منها وانتشارها في الأمصار والمناطق الأخرى، والحديث الهام الذي قدمه عن سد مأرب. وكانت تلك العملية هامة في فهم المؤرخ لعوامل خروج العرب وخاصة جموع الأزد إلى عُمان بقيادة مالك بن فهم(٣).

---

(١) نفسه ، ص٢ ، ص٢٦٨.
(٢) نفسه ، ص٢ ، ص١٥٤ وما بعدها.
(٣) المصدر السابق ، ص٢ ، ص١٨١ وما بعدها.

(٥)
- مصـــادر العوتبـــي التاريخيـــة -

أولاً : أنواع المصادر

١- المشافهة :

اعتمد العوتبي على نقل الخبر التاريخي بـالمشافهة على نطاق واسع بحيث غلب ذلك على جانب كبير من عصره، حيث كـانت مفاهيم عصره تقتضي أن يكون العـالم على درجة كبيرة من الحفظ، بعضها من أصحـاب الأخبار والتواريخ والأنساب مثل وهب بن منبـه، وهشام ابن محمد السـائب الكلبي والواقدي وابـن دريد والجاحظ والكلبي وغيرهم(١). وأغلبهـم دونها العوتبي من ذاكرته الخاصة دون أن ينسبها إلى صاحبها.

ويبـدو أن العوتبي كـان على صلة وثيقـة بعدد من شيـوخ عصره في بلده وفي المنـاطق المجاورة في عُمان والبصرة، الأمر الـذي مكنه من الاتصال المستمر بهم والأخـذ عنهم مثال ذلك قولـه «قال أبواسحق ابراهيم بن مسلم الضـاحي العوتبي»(٢). ممـا يدل على وجـود نسابين في بلدته أخذ عنهم شفاهة.

وقد تكررت كلمـة : «قال»(٣) في بدايات العبارات عنـد العوتبي، دون ذكر اسم المصدر مما يدل على أخذه العديد من روايـاته بطريقة المشافهة(٤). كما ردد كلمات أخـرى بنفس المعنى مثل قوله : حدثني، روى عن(٥) قال بعضـهم(١)، ويقال(٦)، وقال قوم(٧)، وقال آخرون، وأكثر القول(٨)، وقيل(٩)، وقال غيره، وقد ذكر يقول، أما قول. وهى عبارات تدل على أهمية دور المشافهة في بناء المادة التاريخية عند العوتبي.

وطبيعى أن يلجأ العـوتبي إلى عنصر المشافهـة لتوفير مـادته التاريخيـة، حينما تصمت المدونات والمصادر بين يديـه، أو لمحاولة توثيق الخبر ومقابلته بمصـادر أخرى شفاهية أو مكتوبـة، أو أن يكون المصدر الشفاهي قـريبا من الحدث ومرتبطا بـالخبر، مثل استشهاده

---

(١) نعرف بهم بايجاز في الصفحات القادمة.
(٢) نفسه ، ص١ ، ص١٧١.
(٣) انظر : نفسه ، ص١ ، ص١٧١ ، ص١، ص١٦٩ ، ص١ ، ص١٢٥.
(٤) نفسه ، ص١ ، ص٥٨ ، ص١ ، ص٦٠ على سبيل المثال.
(٥) نفسه ، ص١ ، ص٦٢.
(٦) نفسه ، ص١ ، ص٧٢.
(٧) نفسه ، ص١ ، ص٧٤.
(٨) نفسه ، ص١ ، ص٧٤.
(٩) نفسه ، ص١ ، ص٩٣.

بأشعار أبي بكر محمد بن حسين بن دريد التى يعير فيها قومه من ولد مالك بن فهم ويحرضهم على أخذ ثأرهم بمن قتل منهم في الروضة من تنوف(١).

وكان لعنصر النقل بالمشافهة دوره الكبير في عصر العوتبي وكذلك في منطقة صحار، وذلك بسبب ازدياد حركة الناس والتنقل بين مناطق العالم الإسلامي وعالم المحيط الهندي وازدياد روح البحث وطلب العلم والمغامرة، بحيث كان بعض الناس ينتظرون على المحطات التجارية لأخذ الأخبار والروايات من التجار والمسافرين والبحارة، وخاصة الاشياء والأخبار الغريبة التى صادفوها.. حتى أن أزهى عصور الرحلة في التاريخ الإسلامي كانت ما بين القرنين الرابع والسابع الهجريين. كما كان هناك فئة من العلماء يرتحلون إلى مناطق بعيدة للعلم والتعليم(٢). حتى ان المدونات الكبرى في التاريخ الإسلامي قد دونت في عصر العوتبي مثل كتاب أخبار الزمان للمسعودي الذى اختصر في مروج الذهب(٣).

ويتضح من روايات العوتبي الشفاهية أنها لم تكن منقولة ومأخوذه مباشرة من المصدر التاريخي بل أنها روايات منقولة إليه مشافهة عن طريق شيوخه أو انه كان يشير إلى أحد المصادر التى سمع بها دون أن يتمكن من الحصول على نسخة أو يتصل مباشرة بالمصدر، ولذلك أصبح المقصود بعبارة «قال» أو «روى» يقصد بها مصدرا إما اتصل به العوتبي أو أخذ عن وسائط حتى وصل إليه.

٢- الوثائق والمدونات :

استفاد العوتبي من توفير عدد كبير من المخطوطات بين يديه، والتي يبدو أنه حصل عليها من عُمان من خلال مراكزها العلمية مثل صحار، أو من البصرة التى كانت تعج بالحركة والنشاط الفكري، ويحتل أهل عُمان مكانة هامة هناك، مما وفر له العديد من المصادر التاريخية المدونة، ولذلك فقد ترد الإشارة إلى المصدر والمخطوط بكلمة «قال» أو «يقول» أو «روى». ولكنه أحياناً كان يشير إلى هذا الأمر صراحة بكلمة: «وفي نسخة»(٤). الأمر الذي يدل على توفر العديد من المخطوطات. كما ينسحب ذلك على العديد من النصوص الشعرية التي أوردها.

٣- المؤلفات السابقة :

رغم اعتماد العوتبي على روايات شفاهية، إلا أنه اعتمد بصورة أساسية على المؤلفات السابقة للنسابين والمؤرخين، بحيث أصبحت مادتها البنية الأساسية لكتابه، بالإضافة إلى كونها الموارد الأساسية لتتبع الخبر والنسب.

---

(١) المصدر نفسه ، ص٢ ، ص٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦.
(٢) شاكر، مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، ص١ ، ص٢٩٠، بيروت.
(٣) وإن كانت دار النشر حالياً تفصل بينهما حيث تصدر مروج الذهب، ثم كتاب آخر بعنوان اخبار الزمان.
(٤) المصدر نفسه ، ص١ ، ص٢٣.

وهو بالرغم من قلة ذكره لأسماء مصادره وعناوين مؤلفاتهم، إلا أنه كان يشعر القارىء باعتماده على مؤلفات عديدة، باشارته إلى مصادره بكلمة «قال»، «وقال»، حتى انه كان يعدد ذكر المصدر من خلال ذكر اسم المرتبط به أو قبيلته أو جزء من اسمه(١).

وحينما يجتمع لديه أكثر من مؤلف في القضية أو الموضوع الواحد فإنه يذكر عبارة «قال بعض أهل النسب»(٢) أو عبارة «ويزعم بعضهم»(٣). الأمر الذي يدل على محاولته اختصار المصدر وعنوانه كهدف أساسي عند العوتبي وهو الأمر الذي اشار اليه منذ البداية، خوفاً من الاطالة والاستطراد في كتابه.

أهم مصادر الانساب :

ومن أهم المصادر التى اعتمد عليها العوتبي لاستقاء مادته التاريخية ما يلي:

*** وهب بن منبه :**

ولد سنة ٣٤هـ وتوفي سنة ١١٤هـ، وهو من أصل فارسي، أبوه من خراسان. أسلم والده. ولد وهب في ذمار بالقرب من صنعاء، وارتبطت نشأته بالزهد والإطلاع على كتب وروايات الأمم القديمة وقصص الأنبياء، ولذلك فهو يعد صاحب معارف دينية وتاريخية واسعة. وعني بنقل أخباره من مصادرها العبرية أو السريانية أو اليونانية القديمة، حيث كان صاحب ثقافة واسعة، وحفظ كثيرا مما يتصل بالنبوات وكان يرويها رواية عن نفسه أو يرويها جماعة من أهله.

تكونت في اليمن مدرسة كاملة للزوايات التاريخية عملت على تسجيل وتنظيم وترتيب روايات ابن منبه وكان من روادها: أبو إلياس مولى وهب بن منبه، وعبدالمنعم إدريس، واسماعيل بن عبدالكريم بن معقل. وكان لهؤلاء دور في نهضة عمليات التدوين التاريخي منذ بداية القرن الثالث الهجري.(٤).

استفاد العوتبي من روايات ابن منبه التاريخية في مجالات ثلاث هي:

أ- الاستعانة به في رواية قصص الأنبياء، ومبدأ الخلق، وهبوط آدم(٥)، وأولاد آدم وسلالاتهم(٦). ويعتبر ابن منبه بذلك أول من وضع الهيكل القصصي العام للتاريخ البشري، من وجهة نظر المؤرخين الذين قدموا بعد ذلك، وارتبط بهذا الهيكل سلسلة الرسل والنبوات(٧). كما روى عنه أخبار نوح وأولاد نوح، عليه السلام(٨).

---

(١) المصدر نفسه ، ص١ ، ص١٩٣ ، ١٩٤ ، على سبيل المثال.
(٢) نفسه ، ص١ ، ص٢٣٣.
(٣) نفسه ، ص١ ، ص٢٣٤.
(٤) مصطفى ، المرجع السابق ، ص١ ، ص١٣٨.
(٥) المصدر السابق ، ص١ ، ص٣٩.
(٦) نفسه ، ص١ ، ص٤٢ ، ٤٣.
(٧) نفسه ، ص١ ، ص٤٦.
(٨) نفسه ، ص١ ، ص٥٩ وما بعدها.

ب- تاريخ اليمن القديم، والعرب القحطانية[1]. وقد ذكر أن له كتابا يسمى الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم، ورغم شموله لجوانب عقائدية وأسطورية عديدة إلا أنه يعد مصدراً هاماً للعوتبي لاستقاء أخبار اليمن في تلك الفترة. ويعد وهب بن منبه مصدر العوتبي المفضل لرواياته عن انتشار القحطانية وأصولهم[2]، وبعض ملوك التتابعة[3].

*** عبيد بن شريه الجرهمي :**

من الرواة المخضرمين، ولد في الجاهلية، وتوفي في خلافة عبدالملك بن مروان. وقد استقدمه معاوية بن أبي سفيان من صنعاء وسأله عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب واختلاف الانسبة. وأمر معاوية كتابه أن يدونوا ما يتحدث به عبيد بن شرية في كل مجلس وأن ينسب ذلك له، فكتبوا ما أملاه في كتابين أحدهما: أخبار اليمن، والثاني في الأمثال. وألحق الكتاب الأول بكتاب وهب بن منبه «اليتجان» تحت اسم «أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها». وقد أخذ عنه مؤرخو العراق واليمن والشام.

اعتمد العوتبي على وراية عبيد بن شرية في أنسابه، أثناء حديثه عن ملوك التبابعة من اولهم وهو الرئاش[4]. ولذلك كان حديث العوتبي التاريخي ينم عن قاعدة واسعة في حديثه عن التبابعة لاعتماده على مصدر هام وهو عبيد بن شرية فتحدث عن أعمالهم في بلادهم وحملاتهم الخارجية[5]. وظل العوتبي يكرر: «قال عبيد بن شرية» عدة مرات في أخباره عن التيابعة لصفحات عدة من كتابه الأول، حتى وصل إلى الصراع الحبشي اليمني زمن ذي نواس[6]، وإلى الصراع الحبشي الفارسي على اليمن[7].

حتى ان العوتبي بلغ اهتمامه بنصوص عبيد بن شرية أن نقلها مباشرة دون تمحيص أثناء حوار وروايات عبيد في مجالس معاوية[8].

*** محمد بن السائب الكلبي، وابنه هشام بن محمد الكلبي :**

ولد محمد بالشام، وتوفي سنة ١٤٦هـ/٧٦٣م، اهتم بعلم الأنساب في العصرين الأموي والعباسي، وتمكن من جمع أطراف هذا العلم وتكبد الكثير من المشاق في سبيل ذلك معتمداً على مساعدة قبيلته. ودون أفضل ما ذكره النسابون في كل قبيلة، وأضاف إليه الكثير[9].

---

(١) نفسه ، ص١ ، ص٩٠.
(٢) المصدر نفسه ، ص١، ص١٢٤ ، ص١٢٨.
(٣) نفسه ، ص١ ، ص١٨٥ وما بعدها.
(٤) نفسه ، ص١ ، ص١٣٢.
(٥) نفسه ، ص١ ، ص١٨٦ وما بعدها.
(٦) نفسه ، ص١ ، ص٢١٣ وما بعدها.
(٧) نفسه ، ص١، ص٢١٩ وما بعدها
(٨) راجع اخبار ابرهة بن الصباح الأصبحي ذي اصبح. - المصدر السابق ص١، ص٢٢٦ ، ٢٢٧.
(٩) ابن النديم ، الفهرست ، ص٩٤.

وهو بذلك يعتبر أعظم النسابين في الدولة الإسلامية في صدر الإسلام. وأخذ عنه الكثير من طلاب علم التاريخ والأنساب شفاهة، حيث انه روى ولم يؤلف.

وتابع ابنه هشام هذا الاهتمام، حتى انه أضاف العديد من الأنساب والأخبار إلى رصيد أبيه وألف حوالي مائة وخمسين كتاباً قبل وفاته سنة ٢٠٤هـ/ ٨١٩م.

اعتمد العوتبي على المصدرين في رواياته عن أخبار الأوائل، خاصة عصور التاريخ اليمني القديم، وأخبار الأمم السابقة وكذلك أخبار آدم والأنبياء وأخبار حمير. وكان العوتبي يعتمد كثيراً على هشام بن محمد بن السائب الكلبي في أخبار نوح(١) وقصة الطوفان(٢)، وأحياناً يذكر اسم كتب من كتبه(٣). كما اعتمد العوتبي أيضاً على روايات أبي المنذر وهو ابن هشام بن محمد بن السائب الكلبي أيضاً. كما قام العوتبي بعملية ربط بين آراء وروايات هشام، وبين روايات وهب بن منبه وعبيد بن شرية بالنسبة لأخبار الأمم والشعوب القديمة وكذلك في مبدأ الخلق وآدم ونوح -عليهما السلام- الأمر الذي يدل على مهارة العوتبي في التعامل مع المصادر المتعددة داخل القضية والموضوع الواحد. كما اعتمد العوتبي على ابن الكلبي في رواياته عن يوم سلوت(٤). وقد أكثر العوتبي من ترديد مصدر أبي المنذر الكلبي عدة مرات(٥).

*** الهيثم بن عدي الطائي :**

عاش في بغداد والكوفة، توفي سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م. احتل مكانة هامة في تطور عملية التاريخ والأنساب. اطلع على كتب الفرس، حتى أن البعض يجعله من رواد مدرسة التاريخ الفارسية، ولذلك فهو حجة في معرفة أخبار الفرس واليونان والعرب. وله كتب هامة تزيد عن الخمسين كتاباً في الأنساب والأخبار والولاة(٦). ومن أهم كتبه في الأنساب: كتاب المثالب، وكتب البيوتات، وأهم ما كتبه في التاريخ: تاريخ الدولة (العباسية)، وتاريخ العجم وبني أمية، وتاريخ الأشراف، وكتب الطبقات وكتاب التاريخ المرتب على السنين(٧)، ولعله أول كتاب تاريخ اسلامي أو عالمي بهذا النوع من التاريخ. وتتميز مؤلفاته بالتساهل بالإسناد(٨).

وقد استعان العوتبي بروايات وأخبار الهيثم بن عدي مع روايات رواة اليمن في تتبع تاريخ ملوك اليمن وقبائل القحطانية(٩).

---

(١) الأنساب ، ص١ ، ص٤٨.
(٢) نفسه ، ص١ ، ص٤٩ ، ٥١.
(٣) نفسه ، ص١ ، ص١٠٣.
(٤) نفسه ، ص٣ ، ص٢٦٥.
(٥) نفسه ، ص١، ص١٧٦،١٧٧.
(٦) مصطفى ، المرجع السابق ، ص١ ، ص١٨٢.
(٧) الخطيب ، تاريخ بغداد ، ص١٤ ، ص٤٦.
(٨) مصطفى ، المرجع السابق ، ص١ ، ص١٨٣.
(٩) الأنساب ، ص١ ، ص١٣٧.

*** أبو اليقظان النسابة :**

وهو عامر بن حفص مولى بني تميم، ويلقب بسحيم، توفي سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م، كان عالماً بالأنساب والأخبار والمآثر والمثالب. ويتميز بأنه أول من ألف في الأنساب عامة نقلاً عن الروايات القبلية، ولذلك فقد نقل عنه الكثير من النسابة. كما مزج بين الأنساب والأخبار، وكان أهم مصدر للبصرة وأحداثها، وأهم من أخذ عنه البلاذري وابن خياط. ووصفه ابن النديم بأنه «كان عالماً بالأخبار والأنساب والمآثر والمثالب ثقة فيما يروية»(١) ولم يكن له عناية برواية الحديث، ولذلك لم يترجم له المحدثون في كتبهم.

وقد اعتمد العوتبي على روايات أبي اليقظان وأخباره بصورة نادرة في أحداث قبائل الأزد(٢)، وفي أخبار العرب قبل الإسلام.

*** أبوعبيدة معمر بن المثنى التميمي :**

من علماء البصرة توفي سنة ٢١١هـ/٨٢٦م، كان من أشهر الرواة والعلماء في البصرة، وتيسر له هذا بشكل كبير من الروايات القبلية والمحلية والأسرية، حتى قيل عنه أنه من «أعلم الناس بجميع العلوم»، كما كان أعلم علماء عصره بأخبار الإسلام والجاهلية، حتى أنه كان ديواناً للعرب. وله عدد من الكتب في المآثر والفتوح، وأخبار العرب القديمة، وأيام العرب، وفي عدد من الأخبار التاريخية المتخصصة، وكانت إشارات العوتبي إليه باسم «أبوعبيدة». كما اعتمد عليه في الأنساب(٣).

*** شبيب بن شيبة :**

هو شبيب بن شبيه بن عبدالله بن عمرو بن الأهتم من بني تميم، من خطباء بني غنيم(٤)، اهتم بالأنساب وأخبار الأمم السابقة، وكان من علماء البصرة في صدر الإسلام حتى القرن الثاني الهجري.

اعتمد العوتبي على روايات شبيب في أخباره عن البصرة(٥)، وبعض أخبار العرب وأنسابهم في شمال منطقة الخليج العُماني.

*** عبدالملك بن حبيب الأندلسي :**

هو عبدالملك بن حبيب بن سليمان القرطبي، أبومروان، رحل إلى المشرق لطلب العلم، ثم رجع إلى الأندلس وقد حصل على مكانة عالية في العلم، وأصبح عالماً بعلوم اللغة والأخبار

---

(١) الفهرست ، ص١٠٧. (٢) الأنساب ، ص٢.
(٣) الجاحظ ، البيان والتبيين، ص١ ، ص٢١٤. الأنساب ، ص١ ، ص٣٤٢.
(٤) ابن حزم ، الجمهرة ، ص٢١٧.
(٥) الأنساب ، ص١ ، ص١١٢.

الأنساب والأشعار. وله مؤلفات في الفقة والتاريخ والآداب منها: كتاب فضل الصحابة حروب الإسلام. توفي سنة ٢٣٨هـ(١).

اعتمد العوتبي عليه رواياته عن أخبار الأنبياء والأمم القديمة(٢)، كما جاءت معظم أخبار عوتبي في الأنساب عنه(٣).

*** عبدالله بن عباس :**

من أبرز فقهاء المدينة والصحابة وأوسعهم إطلاعاً وعلما، كان يسمى البحر لكثرة علمه الفقة والأخبار والأنساب والأشعار واللغة والحساب وعلوم الفرائض حتى روي أنه كان جلس يوماً لكل علم من العلوم، فيجلس يوماً لا يذكر فيه إلا الفقة ويوما للمغازي ويوما يام العرب، وكان يقصده الناس من كل صوب للأخذ عنه في كل تلك العلوم أو بعضها(٤).

تتضح أهمية ابن عباس التاريخية في أنه ورد عن الطبري اكثر من ٢٨٦ مرة في تاريخ رسل والملوك في كافة مراحل تاريخ الطبري قبل الإسلام وبعده(٥). ولم يترك ابن عباس تباً ولكنه ترك أقواله ومعلوماته مكتوبة لدى بعض مواليه وتلاميذه، وكانت من الكثرة تى أنها بلغت حمل بعير، واعتمدت معظم روايات الصحابة عليه وكذلك روايات التابعين.

اعتمد العوتبي على روايات ابن عباس في ذكر بدء الخلق وأخبار الملائكة وخلق آدم لأنبياء، وكانت رواياته عن ابن عباس إما مباشرة دون ذكر الاسناد(٦). أو ذكر سلسلة سناد قبل ذكر الخبر عن ابن عباس مثل قوله: «حدثنا هشام بن محمد بن السائب كلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال(٧): «وقد اعتمد عليه اعتماداً كبيراً في هذا المجال.

*** محمد بن اسحق المطلبي :**

أهم رواد مدرسة المدينة، ولد سنة ٧٥هـ وتوفي سنة ١٥١هـ أو سنة ١٥٢هـ بدأ في صى الأخبار منذ الصغر وتحصيل العلم من جهات عدة. فجمع الروايات عن أهل الكتاب لموالي والاعاجم وعن العديد من مشايخ عصره. وقصد العراق في مطلع خلافة المنصور هداه مغازيه. ولذلك أخذ عنه معظم علماء العراق والري. وله كتب في الخلفاء والمغازي.

وقصص اليمن، والسيرة النبوية. وقد راجت سيره وأخباره في المشرق الإسلامي واعتمد يه اليعقوبي في تاريخه والطبري كذلك وابن الأثير وابن حجر فيما بعد في كتاب صابة(٨).

) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص٢ ، ص٢٧٠.
) المصدر السابق ، ص١ ، ص١١١. (٣) نفسه ، ص١ ، ص١١٠.
) ابن سعد ، الطبقات ، ص٢ ، ١٢١. – ابن الأثير ، الغابة ، ص٣ ، ص١٩٣.
) مصطفى ، المرجع السابق ، ص١٥٠. (٦) الأنساب ، ص١ ، ص٥٠.
) الأنساب ، ص١ ، ص٤٩. (٨) مصطفى ، المرجع السابق ، ص١٦١.

وأصبحت روايات ابن اسحق هي الأساس في روايات العوتبي عن أولاد آدم، وكان يقابلها بروايات ابن عباس، فيقول «وأما ابن اسحق فذكر عنه أنه قال[1]: لكنه كان يردد ذكر ابن اسحق في قصة نوح والطوفان بمفرده دون ذكر مصادر أخرى معه[2].

*** محمد بن حبيب الهاشمي :**

هو أبو جعفر محمد بن حبيب الهاشمي، كان مولى محمد بن العباس بن محمد الهاشمي، ولذلك نسب إليهم، وله كتاب المحبر. وكان عالماً بالأنساب والأخبار وأيام العرب. توفي في بغداد سنة ٢٤٥هـ[3]. وقد اعتمد على كتب ومصادر ومدونات مفقودة، ولذلك يعتبر كتابه المحبر من أهم المصادر التاريخية، وكذلك للأنساب والأشعار. وله كتب كثيرة نقلها عن تلاميذه. واعتمد عليه العوبتي قليلاً.[4].

*** العباس بن الوليد الأموي : (الشام)**

هو العباس بن الوليد بن مسلم الأموي، أخذ العلم عن أبيه الوليد بن مسلم الأموي المتوفى سنة ١٩٥هـ/ ٨١٠م. وكان من أشهر محدثي الشام. وقد ارتبط برواياته التاريخية والأنساب والسير والمغازي. ويعتبر شيخ الطبري، ومن أهم رواته، خاصة في جانب السيرة[5].

واعتمد العوتبي على العباس في أخبار ثمود وعاد، وأورد رواياته باسناد عن ابن اسحق، كما في قوله «عن العباس بن الوليد عن محمد بن اسحق»[6].

*** كما اعتمد العوتبي على مصادر هامة لاخباره ورواياته التاريخية مثل:** ابن قتيبة الباهلي وأبي حاتم السجستاني، وجبير بن مطعم[7]، وابن جربح، والجاحظ، كما روى أخبار الأمم السابقة في بعض منها عن الطبري. كما أخذ عن أبي بكر ابن دريد وعبدالله بن إدريس[8]وكذلك عن كعب بن مالك الأنصاري[9]، كما أخذ عن عاصم بن عمر ابن قتادة. كما اعتمد في عملية الاشتقاق اللغوي على الخليل بن أحمد الفراهيدي بصورة واضحة[10].

---

(١) الأنساب ، ص١ ، ص٤٣ ، ص٥٧.
(٢) نفسه ، ص١ ، ص٥١ ، ٥٢. .
(٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص١١٩.
(٤) الخطيب ، تاريخ بغداد ، ص٢ ، ص٢٧٧.
(٥) مصطفى ، المرجع السابق ، ص١٣٠.
(٦) الأنساب ، ص١ ، ص٨٤.
(٧) كنيته أبوسعيد. عظم في الجاهلية والإسلام معاً، مات سنة ٥٩هـ بالمدينة. – البستي، مشاهير علماء الامصار، ص٣٢.
(٨) فقية ومحدث كوفي. اسمه عبدالله بن ادريس بن يزيد بن عبدالرحمن بن الأسود من بني صعب بن سعد العشيرة.
(٩) من قراء الأنصار وعباد التابعين، مات سنة ٩٧هـ أو سنة ٩٨هـ في مكة. – البستي ، المصدر السابق ، ص١١٥.
(١٠) الأنساب ، ص١ ، ص٢٤٦.

(٦)
- طرق النقل والإسناد عند العوتبي -

ظهرت عمليات التدوين المبكر للأخبار والروايات عند المسلمين، والدليل على ذلك ما نجده من ألفاظ خاصة بهذا الأمر مثل: الأصول، الكتب، الصحف، النسخ. وكانت عملية تدوين وتسجيل الأنساب من أقدم تلك المحاولات(١)، فقد شكل عمر بن الخطاب لجنة ثلاثية من أبي عدي جبير بن مطعم، ومخرمه بن نوفل، وعقيل بن أبي طالب كلفها بوضع ثبت بأنساب العرب يقوم على أساسه الديوان(٢). وكانت الأبحاث التاريخية وكُتُب الأنساب غزيرة في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة.

وقد بلغت الكتب والرسائل التاريخية حتى نهاية القرن الثالث الهجري أكثر من ٦٠٠ بحث ورسالة. وهي مادة تاريخية واسعة أقامت هذا العلم على قاعدة واسعة من المعلومات الأولى. وإن كانت تلك المعلومات على مستويات مختلفة من الدقة والصحة والسعة والشمول، أثرت فيها المستويات والمواقف والبينات.

ومن الملاحظ أن المدارس التاريخية الأولى قامت في البصرة واليمن والمدينة والشام وكانت أهمها مدرسة البصرة واليمن، حيث أثرت مدرسة اليمن في البصرة عبر العلاقات التجارية بين الطرفين. وكانت صحار العُمانية محطة هامة بين مدارس التاريخ، إذ ارتبط أهلها بالتيارات الفكرية والثقافية والبصرة وأثروا فيها وتأثروا بها، كما تأثروا بانتاج مدرسة اليمن عبر الاتصال بينهما، أي أن صحار مثلت حلقة وصل فكري بين اليمن وبين البصرة وفارس.

واستخدم المؤرخون والنسابون طريقة الإسناد متأثرين بأسلوب المحدثين، حتى أن بعضهم صرف همه إلى السند أكثر من الخبر، وتساهل البعض في ايراد السند. وحين ظهر الاسناد في الثلث الأخير من القرن الأول الهجري فقد كان سببه ضرورة الشهادة على الرواية نقلاً من مصدرها الأول، وهكذا فإن الأسماء الواردة في الاسناد عند المؤرخين كالطبري والواقدي والبلاذري مثلاً إنما تتضمن شجرات من المؤلفين ومن الرواة استمرت في الامتداد حتى عصرهم.

لكن هناك أموراً أدت إلى تطور عمليات التدوين التاريخي تمت في عصر العوتبي، وأدت في النهاية إلى تطور كتابة التاريخ وتسجيل الروايات التاريخية، من هذه الأمور والأسباب:

---

(١) مصطفى، المرجع السابق ، ص١٧٣.
(٢) الطبري ، ص٤ ، ص٢٠٩.

أ- سقوط الاسناد تدريجياً وعدم الاهتمام بكتابته :

وهي عملية تدل على استقلالية علم التاريخ عن علم الحديث، وقد بدأت منذ نهاية القرن الرابع الهجري، ويعد المسعودي من أهم روادها الأوائل، عكس الطبري الذي يعد آخر رجال مدرسة التاريخ الحديثة. ويبدو أن هناك عوامل قد اسهمت في ذلك منها انتشار المخطوط المكتوب وتوفر مادة الورق للتدوين(١)، وكذلك الرغبة في الاختصار.

وقد اعترف العوتبي بذلك في بداية أنسابه حينما قال «وكان غرضي في جميع ما اقتصصت الإيجاز والإختصار، ولو قصدت الاستقصاء لطال الكتاب ولاختلط الخفي بالجلي فمجته الآذان وملته النفوس»(٢). في نفس الوقت توفرت مادة غزيرة من الأخبار والروايات والأشعار بدأت تفرض نفسها على المؤرخين والنسابين في المقام الأول. مع عدم مطالبة الناس بسند للرواية التاريخية يوازي تشددهم في طلب السند للحديث الشريف. وإن كان ذلك لم يمنع عدداً كبيراً من المؤرخين ظلوا متمسكين بالسند طوال القرون اللاحقة ومن أبرزهم ابن كثير(٣).

ب- تزايد الاعتماد على النسخ والمخطوطات :

حيث بدأت تظهر في الساحة الفكرية كتب ومخطوطات مستقلة عن التاريخ وفي الأنساب بعيدة عن المجالات الدينية. وقد احتفظ المؤرخون بالعديد من تلك النسخ المدونة، وفي ظل كثافتها بدأ الاعتماد على معلوماتها وأخبارها دون ايراد نصوصها أو إيراد رواتها بصورة كاملة. وكان العوتبي من المؤرخين والنسابين الذين تمكنوا من الحصول على العديد من المدونات استخدموا مادتها بصورة ميسرة، دون الالتزام بنصوصها حرفيا.

*** أولاً : طريقة الإسناد عند العوتبي :**

ومن خلال دراستنا لمنهج العوتبي في الإسناد والتعامل مع مصادره يمكننا أن نقرر مايلي :

١- استغنى العوتبي عن الإسناد في صلب كتابه بصورة كبيرة، خاصة في القسم الثاني من أنسابه(٤)، ولم ينص صراحة على سنده وعلى مصدر خبرة إلا في روايات قليلة(٥). يرجع معظمها إلى فترة ما قبل الإسلام في أخبار الأنبياء والأمم السابقة.

---

(١) مصطفى ، المرجع السابق ، ص٣٧٨.
(٢) الأنساب ، ص١ ، ص٧.
(٣) مصطفى ، نفسه ، ص٢٨١.
(٤) راجع أخبار مالك بن فهم مثلا ، ص٢ ، ص١٨١ وما بعدها.
(٥) الأنساب ، ص١ ، ص١١ وما بعدها.

٢- **توافرت لدى العوتبي مدونات ومخطوطات عديدة للخبر الواحد** والموضوع واحد الأمر الذي جعله يستخلص أهمها وأصدقها وأوثقها أو أقربها للحدث. وإذا فاق أحد تلك المصادر عن غيره أو تميز بشيء يلجأ العوتبي إلى ذكر كلمة «وفي نسخة»(١). وكان قيام العوتبي بتلك المصادر إلماماً واعياً حيث ظهر ذلك في كيفية تعامله معها وصهرها في القضية الواحدة.

٣- **لم يلتزم العوتبي بنص مصدره أو مدونته بل كان يهضم** ما جاء في المصدر في سياق أسلوبه. وإذا أورد نص المصدر فانه غالباً ما كان يسبقه بكلمة «انه قال»(٢) أو «قال»(٣) كما ظهر ذلك في تعامله مع الأشعار والأمثال والحكم.

٤- **حاول العوتبي اختصار السند في كثير من رواياته التاريخية** والاكتفاء بالمصدر الأول فيه، رغم بعد المسافة الزمنية والمكانية بينهما، ومثال ذلك ترديده لنسابين وأخباريين من القرنين الأول والثاني الهجريين مثل: ابن عباس ومحمد بن اسحق والخليل بن أحمد ووهب بن منبه وعبيد بن شرية وجبير بن مطعم وغيرهم. واكتفى فقط في أول روايته كلمة «قال ...» أو «حدث» أو «روى» أو «عن»(٤) أو «حدثنا».

٥- **ردد العوتبي في بعض سلسلة الاسناد** كلمة «حدثني» أو «حدثنا» وكان يقصد رجاع الخبر إلى صاحبه، وليس الحديث المباشر. مثل قوله «حدثنا هشام بن محمد عن أبيه قال:(٥) والمعروف أن هشام بن محمد توفي في بداية القرن الثالث الهجري سنة ٢٠٥هـ/ ٨١٩م. أو أحيانا يروي سند الرواية مختصراً على صاحب الخبر مثل قوله «حدثنا ابن حميد عن ابن اسحق»(٦).

٦- **يبدو أن العوتبي كان ملماً بصورة شاملة بجميع كتب أنساب القحطانية،** خاصة، وأخبارهم.. فبمجرد حديثه عن أخبار القحطانية يغلب عليه بدء روايته بعبارة وقال بعضهم» «وقال بعض أهل النسب»(٧) «وقال ..» «وقال غيره» «ويقال»، وأحياناً كانت تتم تلك العملية داخل الصفحة الواحدة من أنسابه لمناقشة خبر واحد(٨) .

٧- **تناسى العوتبي عملية الاسناد غالباً، وكذلك عملية الإشارة إلى مصدره في** تناوله لبعض الأخبار والروايات وخاصة أثناء حديثه عن الأزد وخروجهم، وقصة مالك بن

---

١) نفسه ، ص١ ، ص٢٢.
٢) نفسه ، ص١ ، ص٦٢ . على سبيل المثال.
٣) نفسه ، ص١ ، ص٦١. على سبيل المثال.
٤) نفسه ، ص١ ، ص٦٧.
٥) الأنساب ، ص١ ، ص٤٨ ، ص٦٨.
٦) نفسه ، ص١ ، ص١٢٦. واحياناً يضع بينه وبين هشام اكثر من ثلاثة رواة ، ص٢ ، ص١٨١.
٧) نفسه ، ص١، ص١٦٩/.
٨) نفسه ، ص١ ، ص١٧٠.

فهم، ولم يرجع إلا إلى أسماء بعض مصادره بعد فترة طويلة من استمراره في الرواية وتتبع الحدث[1].

ويبدو ذلك من تمكنه من جمع مصادر عدة حول الموضوع وتمكنه من فهمها وصهرها، سواء كانت شفاهية أو مدونة.

٨- ظهرت عناية العوتبي بالسند ومحاولته ذكره لسلسلة الاسناد أو اختصارها في رواياته عن بدء الخلق وأحداث الأمم القديمة وقصص الأنبياء مثل قوله «وقال الحسن ابن محمد، حدثنا شيبان، عن قتادة، عن سمرة بن حندب، عن النبي ﷺ قال :سام أبوالعرب، وحام أبو الحبش، ويافت أبوالروم»[2] رغم أنه كان غالباً ما يسند الخبر إلى مصدره الأصلي مباشرة.

٩- برغم عدم اهتمام العوتبي باثبات اسناد مصادره، فإنه أهمل أيضا الإشارة إلى كتبهم ومؤلفاتهم، ولم يظهر ذلك إلا في حالات نادرة ذكر فيها المؤلف مع مؤلفه كقوله «وقال ابن اسحق صاحب المغازي»[3]، واكتفى بذكر كلمة «روى» أو «قال» أو «حدثنا» أو «عن» أو «زعم» قبل اسم المؤلف أو صاحب المصدر. ويبدو أن هذه الطريقة كانت منهجية جديدة في التدوين ظهرت في عصر العوتبي وقد سبق بها العوتبي غيره.

*** ثانيا : أما طريقة نقل مادة الخبر من المصدر عند العوتبي فكانت كما يلي:**

١- عدم الإشارة إلى موضع النقل من المصدر أو المخطوط وذكر رقم الصفحة أو الورقة، لأن هذه الطريقة من انجازات المنهج العلمي التاريخي الحالي، كما ان هذا الأمر كان متعذرا فيه عمليات النشر وتداول الكتب إلا في نطاق محدود، في عصر يعد فيه توفر أدوات التدوين أمراً صعباً، بالإضافة إلى صعوبة الحصول على المصدر نفسه.

واكتفى العوتبي بذكر الموضوع المنقول عن المصدر، ولم يكن في حاجة إلى ذكر بيانات عن المصدر ذاته. وإن كان أحياناً يحدد موضع النقل ويشعر القارىء بذلك إذا كان هناك أهمية لذلك، مثل قوله: «وروي عن ابن عباس: العرب والفرس والنبط والسند والهند من ولد سام بن نوح»[4] وكانت تلك العملية تتم على نطاق ضيق بحيث لايزيد ما أخذه نصا عن بضعة أسطر، وسرعان ما يعود إلى اسلوبه ونظامه في السرد. كما كان لايجعل النص عقبة فى عمليات سرد الخبر بل يجعله مترابطاً مع الرواية ترابطاً وثيقاً[5] وهو دلالة على وضوح التصور العام عند العوتبي للموضوع وقدرته على السيطرة على مصادره.

---

(١) راجع الجزء الثانى ، ص٤٥ وما بعدها.
(٢) نفسه ، ص١ ، ص٦٨.
(٣) المصدر السابق ، ص١ ، ص٢٦.
(٤) نفسه ، ص١ ، ص٦٨.
(٥) نفسه ، ص١ ، ص٢٢٨.

٢- بداية النقل وانتهاؤه :

رغم تمكن العوتبي من صهر وحدة أخباره التاريخية، إلا أننا لاحظنا أن هناك مصطلحات معبرة عن المنقول وسابقة عليه مثل قوله: «قال»، «ذكر» «زعم» «يقال بعضهم» «أحياناً» «حدثنا» «وفي نسخة».

وفي بعض الحالات يورد منقولات محصورة بين تعبيرين يفيد أولهما أن المتبوع من مصدر بعينه فيتحدد بذلك بداية، بينما يشير الثاني إلى انتهاء النقل صراحة أو ضمنا، مثل قوله: «وعن ابن جريج قال حدثت أنه لما أخذتهم الصحية..، ويقال إن أبار غال هو ثقيف»(١).

وكثيرا ما تقابلنا كلمة «وقال» متخللة للمنقول مقطعة له مشيرة إلى أن مصدر النقل مازال مستمراً مثل قوله «قال بن اسحق..» «وقال» «فقال»(٢). وإن كان كثيراً ما يفصل بين المصدر نفسه بروايات أخرى بدون ذكر سند لها، ثم يعود إلى المصدر بكلمة «قال» أو «يقال». وإن كان استخدامه لكلمة «قال» لاتعنى بالضرورة استخدامه لحرفية النص.

وكان هدفه من استخدام كلمة «قال» الإعلام بأن الخبر مازال متتابعاً من المصدر وأن مصدره مازال ملازماً.

٣- دلالات النقل عند عدم التصريح به :

في حالات عدم اسناد المنقول إلى مصدره استخدم العوتبي بعض العبارات الدالة على أن هناك مصدراً منقولا عنه. وقد تعبر تلك العبارات عن مصدر واحد أو عدة مصادر مثل قوله: «حدثنا»، «قال» «وذكر» «قال شعراً» «وفي رواية»، «وقال بعضهم» «وقيل»(٣) «وفي نسخة»(٤) «ويروى»(٥) «وقال أهل التوراة»(٦) «وفي نسخة أخرى»(٧).

٤- الاهتمام بموارد مصادره أحياناً :

عمد العوتبي أحياناً إلى إثبات منقوله مسنداً إلى مصادره الأصلية ولعل ذلك يأتى إدراكاً منه بأهمية هذا العمل في توضيح أو تعليل أفضلية المصدر الذي ينقل عنه وخصوصيته. وهنا يورد الخبر مصاحباً لمصادر توثيقه أو سنده. وفي هذا محاولة من العوتبي للمحافظة

---

(١) الأنساب ، ص١ ، ص٩٤.
(٢) مفسه ، ص١ ، ص٩٥.
(٣) نفسه ، ص١ ، ص٩٣.
(٤) نفسه ، ص١ ، ص٩٣.
(٥) نفسه ،ص١ ، ص٣٣.
(٦) نفسه ، ص١ ، ص٤٧.
(٧) نفسه ، ص٢٢ ، ص٢٨١.

على مصدره وضمان المحافظة على اجتهاد هذا المصدر. وفي هذا نوع من الأمانة العلمية[1].

٥- أما طرق النقل عند العوتبي فكانت بطرق منها :

أ- الالتزام الحرفي قدر الإمكان في قليل من النصوص.

ب- التصرف في النص من حيث اللفظ، تعديلاً وإبدالاً وزيادة واختصاراً مع الحفاظ على النسق الترتيبي.

ج- الالتزام بالحرفية بالنسبة للألقاب والحكم والأمثال، بالإضافة إلى الأحاديث النبوية الشريفة.

د- التصرف في اللفظ والنسق الترتيبي معاً.

هـ- النقل بالفكرة مع اغفال العبارة الأصلية لمصدره.

---

(١) انظر ص٢ ، ص١٨١.

(٧)
- النقد التاريخي عند العوتبي -

اهتم العوتبي بنقد وتمحيص رواياته وأخباره التاريخية، خاصة وأنه كان يعمل العقل والمنطق لفحص أخباره، كما كان على مكانة كبيرة في الفقة وعلوم الدين، وهي علوم تستخدم العقل والنقد بدرجة كبيرة. وأصبح العوتبي مرتبطاً بالنقد كمنهج علمي في أعماله وآثاره.

ومن تفحصنا للجانب التاريخي من أنساب العوتبي، نلاحظ أنه كان يقوم بعمليات النقد التاريخي من جانبين هما :

- الأول : ضبط الوقائع، فلا يتقيد بمصدر معين، بل يقوم بالتحري في النقل من المصادر الأخرى المتوفرة لديه، ولايكتفي بالنقل الشائع. ويحاول جمع أقرب المصادر إلى الحدث التاريخي، وإن تعددت المصادر فإنه يوردها، ويربطها بالإسناد إلى مصدرها(١).

- الثاني : بالنسبة للأعمال والأحداث التى ربطها برجال أنسابه، فمنها من عمم، ومنها من تقيد، على قدر الرجال، وهو بذلك يعتبر عارفاً بمقادر الرجال ومنازلهم وكان دائم ابراز فضائل أعمال رجاله، ولايتعقب سقطاتهم ومساوئهم، وحتى القادة والولاة والخلفاء الذين أساءوا إلى وطنه لم يتعرض لحياتهم وسيرتهم بسوء(٢). وقد حرص على ذلك في تتبعه لسيرة المهلب، فيقول «ومن كمال عقله أنه لم يحضر في فتنة قط، وكان أكثر وصاياه لأولاده بلزوم الطاعة، ولم يطعن عَليه في سب، ولم يسابب أحداً في شبيبته، ولم يسب أحداً في كهولته إلا مرة واحدة فقط»(٣) وأورد مصدر هذا الموقف بقوله: «هكذا حكي عن الجاحظ»(٤). واعتبر هذه السقطة الوحيدة التى أوردها عنه الجاحظ دليلاً على خلق المهلب، لأن الجاحظ لم يحسب له غيرها رغم معرفة الجاحظ وكثرة علمه بالخبر(٥).

منهجه النقد التاريخي :

ويمكننا أن نحدد منهجه في النقد التاريخي، من خلال رواياته في الأنساب في الأمور التالية:

١- أن العوتبي كفقيه ونسابة وراوية حتمت عليه مكانته، قبل كل شيء، الأمانة والدقة في نقد الرجال، بحيث لايرفع الوضيع ولايضع الرفيع، وإنما لكل منزلة ومقام حسب أعماله.

---

(١) الأنساب ، ص١ ، ص١٩٢، على سبيل المثال.
(٢) نفسه ، ص٢ ، ص١٤٤ وما بعدها. في تنكيل الأمويين بالمهالبة.
(٣) نفسه ، ص٢ ، ص١٢٩ ، ١٣٠.
(٤) نفسه ، ص٢ ، ص١٣٠.
(٥) نفسه ، ص٢ ، ص١٣٠.

٢- انه التـزم بذكر المصـدر في الروايات والأخبـار التي تحتاج إلى دليل وبـرهان، خاصـة وأنه اعتمـد على مصادر ثقـة. حيث تعامل مع الأخبـار على أنها جزئيـات مستقلة تخضع لتصديق العقل أو تكذيبه، وفي حالـة تشككه يقارن بغيره من النصوص التي كانت بين يديه، ويتنقل بينهما بصيغ منها: قيل، قال البعض، ويقال(١)، وفي نسخة، وزعم(٢).

٣- لم يحاول العوتبي تتبع سقطـات الرجـال في أخباره، بل كـان يتتبع الصفـات الأصلية ويكشف عنهـا بوضـوح وبأدلة قـاطعة، وكان في تـرجمته لسيرة وفضـائل حاتم الطائي ملتزمـاً بالموضوعية، وأورد رواية في مجلس لمعاويـة بن ابى سفيان تثبت أن حاتم هو أسخى الأحياء والأموات(٣). ثم اعقب ذلك بقوله «وأدرك حاتم الإسلام إلا أنه لم يسلم ومات نصرانياً»(٤). ولذلك ظل العوتبي يتتبع صفات الشهامة والشجاعة والمروءة وحسن الخلق والـورع، وظهـرت تلك الجوانب أيضـاً في عرضـه لسيرة رجل صـالح وهـو أويس القرني ودلل على ذلك بأحاديث نبـوية شريفة(٥). كما كان يستدل بفضـائل أخرى بأشعار مأثورة.

وكثيراً ما كان يختصر فضائل رجاله وأعمالهم بكلمات واضحة معبرة مثل قوله «وكان شاعـراً فارسـاً»(٦) أو «ومن فرسـانهم» أو «من شعرائهم». وإذا وردت سقطـة لرجل من رجاله يحاول البحث عن السبب لـذلك، ففي أخباره عن أحد ملوك التبابعة «قـال عبيد كان رجلاً ضعيفاً، لم يغز حتى مات ولم يبعث جيشاً. فأما أهل اليمن فيزعمون أنه كان يتحرج من الدماء»(٧).

٤- أبدى العوتبي تسامحاً في عرضه لأخبـار رجاله، فلم تظهر في أخباره جـوانب عصبية مذهبية أو اقليمية، بل ارتبط بالنظرة الإسلامية الشاملة، رغم اهتمامه بسير رجاله من أهل عُمان. وظهر ذلك بصورة جلية في تعرضـه لتلك الجوانب وخوضه فيها، حتى انه التـزم بذلك مع الشخصيـات التي عاشت في عُمان فسـاداً مثل أخباره عن الخيـار بن سبرة المجاشعي(٨)، ومحمد بن بور(٩)، وترك العوتبي إصدار التقايم والأحكام للقارىء مكتفياً بالالتزام في عرضه للأخبار وترابطها. الأمر الذي يميز العوتبي بصورة واضحة عن معظم مؤرخي عصره.

وقد أخـذ العوتبي على نفسه عهـداً في بداية كتابـه بقوله «وأعـوذ به -أى من الله- من الحمية والعصبية وأخلاق الجاهلية»(١٠).

---

(١) المصدر السابق ، ص١ ، ص٣٢ ، ٣٣. على سبيل المثال.
(٢) نفسه ، ص١ ، ص٢٢.
(٣) نفسه ، ص١ ، ص٢٦٢.
(٤) نفسه ، ص١ ، ص٢٦٣.
(٥) راجع ص١ ، ص٢٨٥.
(٦) نفسه ، ص١ ، ص٢٨٦.
(٧) المصدر السابق ، ص١ ، ص١٩٧.
(٨) نفسه ، ص٢ ، ص١٤٥ وما بعدها.
(٩) نفسه ، ص٢ ، ص٣٢٣.
(١٠) نفسه ، ص١ ، ص١٣.

٥- محاولة الكشف عن العامل الرئيسي في توجية الحوادث والأخبار :

حاول العوتبي ربط الوقائع بمسبباتها. حيث حرص على ترتيب حلقات الخبر فيذكر أولاً أسبابه التى دعت إليه، ثم يستعرض أحداثه المترتبة عليه، وبعد ذلك يعد النتائج والمخرجات. ووضح ذلك في أخباره عن الوقائع والأيام في الجاهلية والإسلام. ففى يوم سلوت استعرض عوامل توجه مالك بن فهم وجموعه من الأزد إلى عُمان والسبب الرئيسي لصدامه مع الفرس ثم استعرض عوامل انتصار مالك بن فهم وخروج الفرس من عُمان(١). وكذلك في أيام ذي قار أسباب انتصار المسلمين في القادسية(٢) وجلولاء(٣) ونهاوند(٤).

كما اتضح ذلك في معالجته لأخبار خروج الأزد من اليمن، وانتشارهم في البلاد، كما علل لعوامل انتشار أهل عُمان منذ البداية على سواحل الخليج العربي واستقرارهم أخيراً في البصرة، وأورد في بداية ذلك قوله: «وكان سبب الذين نقل منهم من البصرة..»(٥)، كما ظهرت براعته في تتبع أسباب عظمة المهلب بن أبي صفرة وظهور علامات النبوغ منذ البداية.

٦- استخدام عبارات مهذبة لنقده النص :

ظهرت قدرات العوتبي العلمية والخلقية في عدم المجازفة في القول والحكم حتى مع خطأ المصدر أو احتمال ذلك. ففى حالة شكوكه في صدق النص الخبري يقوم بنقده بطريقة مهذبة بعد أن ينتهي منه. ففى رواية جرير يقول: «قال -ويقصد محمد بن عيينة-»(٦)، وحدث جرير أنا نفسي أدركت بقية خيل أبي صفرة تلك ولم تزل في أيدي أصحابنا حتى صارت إلى بشر بن عبدالملك»(٧) ولما كان هذا الأمر لايستقيم مع العقل وفهم تطور الأحداث، حيث أن قائد جيش الأمويين ضد المهالبة كان مسلمة بن عبدالملك، أخا الخليفة يزيد بن عبدالملك، والعباس بن الوليد ابن أخيه، فأرءق العوتبي هذه الرواية بقوله «وأظنة أراد مسلمة»(٨).

ومن أجل توثيق فقده النص ساق لنا حينما ذكر دليلاً على صحة رايه «وحدث محمد ابن النضر أن مسلمة أخذ بقية تلك الخيل أيام يزيد بن المهلب، وأنه قال: والله هذه لمآثر كريمة أن مائة وسبعين فرساً رباطاً لقوم موصول جاهليتهم»(٩)، وهو يقصد آل المهلب.

---

(١) نفسه ، ص٢ ، ص٢٦٥ وما بعدها.
(٢) نفسه ، ص١ د ص٢٨٩.
(٣) نفسه ، ص١ ، ص٢٩٨.
(٤) نفسه ، ص١ ، ص٢٩٩.
(٥) المصدر السابق ، ص٢ ، ص١٢٥.
(٦) محمد بن ابى عينية بن المهلب بن ابي صفرة. ابن خهم ، الجمهرة، ص٣٦٩.
(٧) المصدر ، ص٢ ، ص١٢٨.
(٨) نفسه ، ص٢ ، ص١٢٨.
(٩) نفسة ، ص٢ ، ص١٢٨.

٧- الحرص على ذكر مآثر الرجال وتخصصاتهم :

فقد حرص العوتبي على ربط مآثر الرجال بهم من أعمال خيرة أو تخصصات عملية مميزة. فيقول مثلاً «وجناح بن عباد الهنائي هو صاحب المسجد المعروف بمسجد جناح»(١). ويقول في نسب ولد سليمة بن مالك بن فهم «ومنهم أبوحمزة الشاري واسمه المختار بن عوف الأزدي، وهو صاحب وقعة قديد وملك الحرمين وهو صاحب عبدالله بن يحيى الكندي المسمى بطالب الحق»(٢)، وقوله كذلك «ومنهم بعد ذلك الشيخ/ أبومحمد عبدالله بن محمد بن بركة، العالم، -رحمه الله-، وهو العالم المشهور والبليغ المذكور صاحب الكتاب الجامع، وكتب التقييدات ومسائل أصول الدين وغير ذلك من مسائل الفروع الحرام والحلال، والكتاب المبتدأ في خلق السموات والأرض وما فيهن من خلق»(٣).

كما حدد القدرات التى كان يتمتع بها رجاله، فيقول منصفاً ابن دريد بقوله: الشاعر النسابة، صاحب كتاب الجمهرة وله مصنفات كتب عدة، وهو الخطيب المذكور والشاعر المشهور، الفصيح الذي تقف عن كلامه البلغاء وتعجز عن آدابه الأدباء، وتستعير منه الفصحاء، وتستعين بكلامه الخطباء، وهو خطيب في شعره، مصقع في خطبه»(٤)، كذلك يحدد قدرات وتخصصات الخليل بن أحمد الفراهيدي بقوله «وهو صاحب كتاب العروض في النقط والشكل والناس تبع له وله فضيلة السبق إليه والتقدم فيه»(٥).

وبذلك فإن العوتبي كان من المؤرخين الموضوعيين المنصفين في رواياته وأخباره، يظهر ذلك من خلال تتبعنا لأخباره في كتابه الأنساب. فقد حرص على نقل آراء الموافقين والمخالفين من أجل اكتمال الخبر وتوضيح جوانبه. كما كان حريصاً على مناقشة النص التاريخي بصورة هادئه في سياق سلسلة أنسابه بعيداً عن الانفعال والتعصب. وقد ساعده على ذلك تكوينه وثقافته الواسعة وعلمه الواسع الغزير. ويتضح قمة انصافه في دقته في نقل الخبر وتتبع سلسلة النسب وما يرتبط به من أخبار.

والحق أن العوتبي يعتبر من العلماء المميزين في عصره، نتيجة لما تحلى به من صفاء الذهن ورهافة الحس وحسن الخلق والأمانة في النقل والتحليل وما توفرت فيه من حساسية في التعبير وتخير الألفاظ والمصطلحات المعبرة عن خلقه وعلمه.

ورغم غلبة الأنساب على كتاب العوتبي إلا أن رواياته وأخباره أصبحت مصدراً هاماً للكتب التاريخية المتخصصة التى ظهرت فيما بعد، ويعد كتاب تحفة الأعيان للإمام نور

---

(١) نفسه ، ص٢ ، ص٢٢٢.
(٢) المصدر السابق ، ص٢ ، ص٢١٨
(٣) نفسه ، ص٢ ، ص٢١٨ ، ٢١٩.
(٤) نفسه ، ص٢ ، ص٢٢٧.
(٥) نفسه ، ص٢ ، ص٢٢٨.

الـدين السالمي من أهم المصـادر التاريخيـة التى اعتمـدت عليه حتى أحـداث القرن الـرابع الهجـري. كما اعتمدت عليـه غالبيـة الـدراسات التى تعمل فى حقـل الدراسـات الأنسانيـة العُمانية عليه بصورة أساسية.

كما استفادت الأخبار التاريخية التى أوردها العوتبي في أنسابه من آدابه وعلمه فظهرت تلك الروايـات بأسلوب مهـذب مفيد عبر حلقات متـوازنة، وكان أدبـه قبل علمه عـاملاً في صدق روايتـه، وقد روي عن النبى ﷺ أنه قال: «من تعلم العلم قبل الأدب فقـد استعد أن يكذب على الله عز وجل وعلى رسـوله ﷺ»، ويقول العوتبي «من لم يكن للأدب عـارفاً كان للعلوم مصحفاً وللكلام محرفاً»(١).

وحدد العوتبي آداب العلماء في أقوالهم وأفعالهم وأن يأتوا في كل مقام بمقالة، وكل أوان بمقتضى حاله(٢).

وقد انعكست أخـلاقيات العـوتبي في تعامله مع الخبر التـاريخي فجاءت معـاملة للخبر تعتمد على الصدق والإخلاص والأمانة والبعد عن التعصب والنظرة المحدودة.

---

(١) العوتبي ، الضياء ، ص١ ، ص١٤٢ ، طبعة وزارة التراث القومي ، سنة ١٩٩١.
(٢) نفسه ، ص١٤٧.

- الخاتمـــة -

احتل العـوتبي مكانـة هامـة بين خارطـة مـؤرخي العالم الإسـلامي في القرنين الـرابع والخامس الهجريين من خلال الأخبـار التى احتواها كتابه الشهير «الأنسـاب» فرغم هدف العوتبي، منذ البداية، في أن يقوم الخبر بخدمة النسب، إلا أن أخباره التى حواها هذا الكتاب أصبحت مصدراً تاريخياً هـاماً من مصادر التاريخ الإسلامي عامـة وتاريخ منطقة الخليج العربي وعُمان خاصة.

لقد تمكن العوتبي من صهـر المدارس التاريخية التى بدأت تتمحـور في العالم الإسلامي منذ القـرن الثالـث الهجري في البصرة والكـوفة وبغـداد وفي الشام وفي المدينـة المنورة وفي اليمن وفي فـارس، واستعان بـانتاج مـؤرخيها ومفكـريها وتكونت لـديه معـارف غزيـرة ومتنوعـة في كافة مجالات العلـوم وخاصة التاريخ وأخبـار الأمم القديمة. ومسـاعده على استقلال تلك المعارف ما تتمتع به من صفات العالم الواعي والأمين والصادق في عمله.

قدم العـوتبي للمكتبة التاريخيـة روايات هامـة عن العديد من الشخصيـات التى قامت بأدوار هامة في التاريخ الإسلامي وأهمها المهلب بن أبي صفرة الأزدي العُمانى، ورغم عدم اهتمامه بتحديد سنوات التاريخ والحوادث، إلا انه تمكن من الحفاظ على السياق والتسلسل الزمني لأحداثـه التاريخية بصورة واعيـة، حتى أنه يعتبر عمدة للرجـوع إليه فى أخبار أزد عُمان ومراحـل امتداد نفوذهـم التاريخي، وبلغت بـه الدقـة أنه حدد أمـاكن ومراحـل هذا الامتداد.

وقد التـزم العوتبـي في انتقاء مـادته التاريخيـة وأخباره على عمليـات الشمول النـوعي والشمول المكاني والشمـول الزماني، الأمر الـذي أعطى لمصدره أهمية تـاريخية. كما كان حريصاً على أبـراز علاقة السببية. وقد تعـددت مصادره من المشافهة والـوثائق والمدونات وظهرت إمكانياته الواسعة في التعامل مع النص الخبرى التاريخي. كما التزم بما وصل إليه علم التاريخ في زمنه من التقاضي على الاسناد إلا في الضرورة. واهتم بضبط أخباره كمؤرخ واع ودقيق.

وهكذا يعد أنساب العوتبي مصدراً هاماً من مصادر التاريخ العربي والإسلامي عامة.

** أهم المصادر والمراجع **

* أولاً : المصادر :

١- ابن الاثير ، أبوالحسن علي بن أبي المكرم محمد بن محمد عبدالكريم.

- الكامل في التاريخ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٢- الأحسائي ، محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن آل عبدالقادر الأنصاري.

- تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، الرياض، ١٩٦٠م.

٣- الإدريسي ، أبوعبدالله محمد بن محسب بن عبدالله.

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت، بدون تاريخ.

٤- الأصفهاني ، حمزة بن الحسن.

- تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، بيروت، بدون تاريخ.

٥- الأصفهاني، علي بن الحسن بن محمد، المعروف بأبي الفرج الأصفاني.

- كتاب الأغاني، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتب المصرية ودار الشعب، القاهرة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

- الامـاء الشواعـر، تحقيق دكتـور فوزي حمود القيسـى، ودكتور يـونس السامرائي، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٦- البلاذري ، أحمد بن يحيى.

- فتوح البلدان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م.

٧- الجاحظ ، أبوعثمان عمرو بن بحر.

- كتاب التاج في أخلاق الملوك، تحقيق فوزي عطوي، بيروت سنة ١٩٧٠م.

- كتاب البخلاء، تحقيق فافلوتن، بيروت، بدون تاريخ.

- كتاب الحيوان، تحقيق الدكتـور يحيى الشامي، دار ومكتبة الهلال، بيروت سنة ١٩٨٦م.

٨- ابن خياط، أبوعمرو خليفه بن خياط الليثي العصفري.

- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق دكتور كرم ضياء العمري، دار القلم، دمشق،الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ/١٩٧٩م.

٩- ابن دريد ، أبوبكر محمد بن الحسن.

- الاشتقاق، تحقيق عبدالسلام هارون، دار المسيرة، بيروت سنة ١٩٧٩م.

١٠- الطبري ، أبوجعفر محمد بن جرير.

- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة.

١١- ابن قتيبة ، أبومحمد عبدالله بن مسلم.

- المعارف ، تحقيق دكتور ثروت عكاشة، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.

١٢- قدامة بن جعفر ، أبوالفرج.

- كتاب الخراج وصنعة الكتابة، تحقيق دكتور محمد مخزوم، بيروت سنة ١٩٨٨م.

١٣- القرشي، أبوزيد محمد بن أبي الخطاب.

- جمهرة أشعار العرب، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

١٤- ابن كثير، عماد الدين أبوالفدا.

- البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة السادسة سنة ١٩٨٥م.

١٥- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم.

- لسان العرب، بيروت، دار صادر، بدون تاريخ.

- نثار الجوهر، شرح أحمد عبدالفتاح تمام، بيروت سنة ١٩٨٨م.

١٦- ابن النديم، محمد بن اسحق، المعروف بالوراق.

- الفهرست، تحقيق دكتورة/ ناهد عباس، دار قطري بن الفجاءة، قطر سنة ١٩٨٥م.

١٧- السخاوي ، محمد بن عبدالرحمن بن محمد.

- الإعلان بالتوبيخ عن ذم أهل التاريخ، نشرة روزنتال.

١٨- الهندي ، محمد طاهر بن علي.

- المغني من ضبط أسماء الرجال ومعرفة كنى الرواة وألقابهم وأنسابهم، بيروت سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

١٩- اليعقوبي ، أحمد بن يعقوب بن واضح.

- كتاب البلدان ، دار إحياء التراث، بيروت ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ.

* المراجع الحديثة :

١- سالم ، السيد عبدالعزيز ، دكتور.

- مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.

٢- خليل ، عماد الدين ، دكتور.

- التفسير الإسلامي للتاريخ، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ، سنة ١٩٨٣م.

٣- كاشف ، سيدة ، دكتور.

- مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، القاهرة سنة ١٩٦٠م.

٤- ماجد ، عبدالمنعم ماجد ، دكتور.

- مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي ، القاهرة سنة ١٩٥٣م.

٥- مصطفى ، شاكر ، دكتور.

- التاريخ العربي والمؤرخون ، بيروت سنة ١٩٨٠م.

٦- الدوري ، عبدالعزيز.

- بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، بيروت سنة ١٩٦٠م.

٧- السالمي، العلامة نور الدين عبدالله بن حميد السالمي.

- تحفة الأعيان في تاريخ أهل عُمان، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة.

٨- السيابي ، سالم بن حمود.

- عُمان عبر التاريخ، ٤ أجزاء وزارة التراث القومي والثقافة.

٩- حسن ، على ابراهيم.

- استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي العام وفي التاريخ المصري الوسيط، الطبعة الثالثة، النهضة المصرية سنة ١٩٨٠م.

١٠- روزنتال ، فرانتز.

- علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور/ صالح العلي، بغداد سنة ١٩٦٣م.

١١- العلي ، صالح ، دكتور.

- خطط البصرة ومنطقتها، بغداد ، سنة ١٩٨٦م.

١٢- عنان ، محمد عبدالله.

- مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري، القاهرة سنة ١٩٦٩م.

١٣- مؤنس ، حسين ، دكتور.

- التاريخ والمؤرخون ، دار المعارف ، ١٩٨٤م.

١٤- لويس ، برنارد.

- العرب في التاريخ، ترجمة دكتور نبيه فارس، ودكتور محمد يوسف زايد، بيروت.

١٥- هونشو.

- علم التاريخ، ترجمة عبدالحميد العبادي، القاهرة سنة ١٩٣٧م.

الفهـــرس

صفحة

١- القراءة الأولى : معجم الابانة للعوتبي.
د. ابراهيـــم الدســـوقي ٧

٢- القراءة الثانية : العوتبي بين الفقه والأصول.
«سماحة الشيخ/ أحمد بن حمد الخليلي» مفتي عام السلطنة. ٦٤

٣- القراءة الثالثة : العوتبـــي نســـابة
أحمـد بن سـعود السـيابي ٧٧

٤- القراءة الرابعة : العوتبـي مؤرخـــا
أ. د. جـــاد محمـــد طـــه ٨٧

٥- القراءة الخامسة : الضياء - منهجـــا واســـلوباً ولغـــة
د. عبدالحفيـــظ محمـــد حســـن ١٠٣

٦- القراءة السادسة : المنهج التاريخي عند العوتبي
د. محمـــد قرقـــش ١٤٦

صدر من هذه السلسلة عن المنتدى الأدبي

١- قراءات في فكر السالمي

٢- قراءات في فكر الخليلي

٣- قراءات في فكر البهلاني الرواحي

ما ورد في هذا الكتاب من قراءات
لايمثل بالضرورة رأي المنتدى الأدبي